الإتباع اللغوي
دراسة في تاريخ المفردات
والعلاقة بينـها

الدكتور/ عبد اللطيف السعيد يوسف الخميسى
قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمياط

مقدمة

اهتم اللغويون قديما بمعاني المفردات الغريبة علي الأسماع. و خُصِّصت لذلك كتب عرفت بكتب الغريب و النوادر , علي ما هو شأن "الجيم" لأبي عمرو الشيباني , و "نوادر" أبي زيد الأنصاري[1], و "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلاّم , و "المنتخب من غريب لغة العرب" لعلي بن الحسن الهُنائي , المشهور بكُراع النمل. و ربما احتوت كتب النوادر علي ما لا يصدق وصفه بذلك. و لعل السبب في ندرته عند المؤلف كونه طريفا, أو ذا قيمة لغوية أو أدبية. و لابد من التسليم بأن الغرابة أمر نسبي ؛ فما هو غريب عند البعض ربما بدا علي غير تلك الحال عند البعض الآخر.

و يرجع سبب الغرابة إمّا إلي بداوة اللفظ , أو إلي احتماله معاني متعددة.

و قد عرضت كتب فقه اللغة لكلا الأمرين , علي ما نجد في "المزهر" للسيوطي ؛ إذ عرض للغريب أو الحوشيّ , كما تناول المشترك و الأضداد و المجاز. و عقد بعضا من مباحث كتابه لتناول مفردات تندرج تحت الأبواب الثلاثة الأخيرة. و هذه هي : الألغاز, و الملاحن , و فُتْيا فقيه العرب. و هذه المباحث تتناول مفردات تحتاج إلي التدقيق في المواءمة بينها وبين سياقاتها ؛ لاختيار المعني المناسب لكل سياق , و إن كان بعض هذه المفردات قد لا يبدو غريبا , و قد يكون مبعث الغرابة راجعا إلي السياق الذي ورد فيه.

---

[1] يعتني هذا الكتاب بذكر المعاني غير الشائعة لمفردات في أشعار يذكرها , يغلب أن تكون قديمة. كما يلاحظ أنه ربما احتوت بعض الأشعار علي الشاذ من الصيغ ؛ مما يجعله يتوقف عنده ليشرحه. و ربما أشار إلي دنوّ المستوي اللغوي لما يعرض له , أو أنه من العامّيّ الشائع. من ذلك توقفه عند "اليُجَدَّعُ" ليشير إلي أنّ "أَلْ" هنا بمعني "الذي". و قد ورد ذلك في أبيات لذي الخرق الطُّهَوي (جاهلي). و البيت المحتوي علي الكلمة هو:

يقول الخَنَا , و أبغَض العُجْم ناطقًا إلي ربنا صوت الحمار اليُجَدَّعُ

قال : "و قوله : الحمار اليُجَدَّعُ , أراد : الذي يُجَدَّعُ ؛ فحذف الذال و الياء". و يذكر مفردات, مما قد نسمعه من العامة الآن. نجد ذلك في نقله عن الأصمعي أنه يقال : جاء بالبَطِيط ؛ أي بالعجيب. النوادر , لأبي زيد ٢٧٤, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٨٩.

و يأتي مبحث "الإتباع" ليكون أحد المباحث المحتوية علي بعض من غريب اللغة , أو أوابدها. و قد توقف عنده بعض القدماء؛ فذهب إلي أن من مفرداته ما هو غير مفهوم , أو غير ذي معني , و هو ما لم يرضه آخرون.

و قسّم بعضهم مفردات تراكيبه إلي ما له معني واضح , كما في التركيب القرآني : "هنيئا مريئا"(٤ /النساء) , و ما ليس له معني حال الإفراد ؛ نحو قولك :"حسَن بَسَن قَسَن". و هناك قسم ثالث له معني متكلف غير ظاهر ؛ نحو "خبيث نَبِيث" من قولنا : نبَثت الشيءَ : استخرجته. و اختلف في قولهم : "أكتعون أبْصَعون" بين أن تكون من القسم الثاني أو الثالث.[٢]

و هذا أبو علي القالي يعرض للموضوع في كتابه "الأمالي" فلا يدع كلمة تبدو غريبة في تراكيبه إلاّ أبان معناها , بل أورد أكثر من وجه لمعاني الكلمات و تراكيبها. و يبدو أن ابن سِيدَه جاء , من بعد ؛ فنهج نهج القالي في أن الكلمات المتبَعة ليست خالية من المعني. فبعضها يكون بمعني الأول؛ فيكون توكيدا له لمخالفته للفظه, و بعضها يكون ذا معني جديد.[٣]

---

[٢] شرح الاستراباذي لكافية ابن الحاجب ١/ ٣٣٣ , ٣٣٦ , ٣٣٧.و يبدو هذا قريبا مما ذهب إليه ابن فارس ؛ إذ جعل المفردات المتبعَة قسمين ؛ فقسم له معني معروف , إلا إنه كالإتباع لما قبله , و آخر غير واضح المعني و لا بيّن الاشتقاق. الإتباع و المزاوجة ,لابن فارس ٢٨. و ذهب القالي إلي أن (بسَن) من : بسَسْت السويق أبسّه بسًّا ؛ فهو مبسوس ؛ بمعني : لَتَتّه بسمن أو زيت ليكمل طِيبه. و وضع (البَسّ) موضع (المبسوس) و حذفت إحدي السينين , و زيدت النون ؛ لتكون الكلمة علي مثال (حَسَن). و المعني : حسَن كامل الحسن. قال : و أحسن من هذا أن تكون النون بدلا من حرف التضعيف ؛ كما تبدل الياء في مثل :تظنّيْت و تقَصَّيت. و آثروا النون هنا لأجل الإتباع. وعمل في (قَسَن) ما عمل في بسَن. و القَسّ : تتبع الشيء و طلبه. فكأنه حسن مقسوس , أي :متبوع مطلوب. الأمالي ٢ /٢١٦ , ٢١٧, و المزهر ٤١٦/١،٤١٧. و أشار الزَّبيدي إلي توجيه أبي علي الأول. و ذكر أنه يقال : أَبْسَن الرجل :حسُنت سَحْنته. و الباسنة :سكّة الحرَّاث. و في الحديث : نزل آدم - عليه السلام – من الجنّة بالباسنة. و قال الهروي : هي اسم آلات الصُّنّاع. و ليس بعربي محض. و هي تعني أيضا : الجوالق الغليظ... (تاج العروس/بسن). و الفعل (أبسن) هو وحده المناسب هنا , و إن كان ما جاء بعدئذ يدلنا علي استعمال الجذر , و إن اتفقت بعض صوره مع بعض المعرّب.

[٣] المخصص لابن سيده ٢٨/١٤, و انظر تناول الموضوع في الأمالي ٢/ ٢٠٨ – ٢١٨ , و المزهر ٤١٦/١. و قد خُصّص له النوع الثامن و العشرون من الكتاب (٤١٤ – ٤٢٥).

إنّ و جود كثير من المفردات الإتباعية غير المفهومة المعني, بل غير ذات الأصـــل في اللغة أحيانا – هو ما حدا بعض القدماء أن يقصـروا دور هذه الكلمات – الثواني بخاصـة – علي التوكيد وحده؛ إذ ليس لها معني في نفسـها ؛ بل جيء بها لنَتِد كلامنا – أي : نشُـدّه - كمـا قـال ابن الأعرابي راويـا عن العرب إجـابتهم لـه عن معني "شـيطان لَيْطان".[٤] و يلزم أن تكون الكلمة التابعة متوافقة وزنا وقافية (أو رويًّا) مع الكلمة المتبَعة , ذات المعني الواضح , في الغالب.

و قد رأيت أن أدرس "الإتباع" في هذا البحث ؛ لأقف من خلال استقراء معاني مفرداته , بخاصة غير الشائع الاستعمال منها, أو الغريب – علي بعض من مظـاهر تـاريخ المفردات , في عصـــور لغوية مختلفة. و سنعوّل في ذلك علي المعجمات الشهيرة التي نرجح أنها قد حفلت بما هو شـائع , و معروف – علي اختلاف درجات هذا الشـيوع , و تفاوت طبقات المتكلمين – فدوّنته ؛ ليكون مرآة للغة في هذا العصـــر , إلي حدٍّ ما. كما ســتتيح لنا دراســة مفردات الإتباع استنباط بعض الأسس المفيدة لنا في تفهم طبيعة اللغة في دلالتها علي المعاني , و علاقة ذلك بصـــوغ مفرداتها , و تطورها الصـــوتي و الدلالي.

و اعتمدت علي ما تضـمنه كتابا "الأمالي" لأبي علي القالي , و "المزهر" لجلال الدين الســيوطي من مادة التراكيب الإتباعية. و قد تناولا الموضـوع تحت مبحث خاص به. و هذا علي العكس مما فعل ابن فـارس في كتابـه "الإتبـاع والمزاوجـة" الذي يرجح أنـه هو نفســه "إلماع الإتباع". و قد كان هذا الكتاب أحد مصـادر السـيوطي في تنـاول الموضـــوع[٥], و فيه الكثير من نمـاذج المزاوجـة. و تعني

---

[٤] و الإتباع و المزاوجة لابن فارس ٢٨, و المزهر ٤١٦/١.

[٥] ذكر السيوطي تسمية ابن فارس لكتابه في خطبته "الإتباع و المزاوجة". و عندما نقل عمّا لدي ابن فارس مادة إتباعية سـمّي كتابه "إلماع الإتباع". اختصـر السـيوطي هذا الكتاب. و لعله عمد بذلك إلي إخراج ما رأي أنه ليس من الباب ؛ كأن يكون مما لا يلزم أن تقترن فيه الكلمتان, أو ما هو من نماذج المزاوجة. و ذكر السيوطي أن ابن فارس فاته أكثر مما ذكر , و أنه أضـــاف ما فاته إلي مختصـــره لكتابه ؛ ليكونا جميعا ضـــمن مؤلفه : "الإلماع في الإتباع". المزهر ٤١٤/١، ٤٢٠. و قد رجع السـيوطي - في المزهر - إلي ثمانية مصـــادر

المزاوجة انضمام كلمة , أو جملة أو ما يشبهها إلي أخري سابقة لها؛ لعلاقة معنوية تتمثل في التلازم الغالب بين المتضـــامّيْن , مع ما قد يصحب ذلك من سجع.[٦] علي أني راجعت بعض مصادر السيوطي , و بخاصة كتاب ابن فارس الذي أشرت إليه من قبل. و الذي يبدو لي أن تراكيب الإتباع إن لم تكن في الأصل من نماذج المزاوجة , فعلي الأقل كان بعضـــها كذلك. ثم طال عليها الزمن وهي لا تســتعمل إلا كذلك ؛ فصـــار إفراد بعضـــها غريبا. وتعثر الفيْنةَ بعد الأخري في كتاب ابن فارس هذا علي التداخل بين نماذج الإتباع و المزاوجة , أو عدم وضوح نسبة التركيب إلي أحد الجانبين.[٧]

و راجعت الجزء المخصص للموضوع في كل من "الجمهرة" لابن دريد , و "المخصص" لابن سِيدَه. كذلك استشرت "صِحَاح" الجوهري في الكثير من التراكيب الإتباعية. كذلك رجعت إلي معجمات أخري , كـــ"الغريب المصنف" , و "المنتخب من غريب لغة العرب" لعلي بن الحسن الهُنائي , المشـهور بكراع النمل. و قد خص كلاهما الباب بمبحث. علي أنا نجد بعضـا من تراكيب الإتباع, أو ما يقرب منها في غير المبحث المخصص له في كتاب أبي عبيد.

و جعلت البحث متناولا القضايا التالية:

١- تصنيف تراكيب الإتباع حسب الحقول الدلالية , مع بيان ما للبناء الصوتي و الصرفي و التركيبي من أثر في المعني.

هي : جمهرة ابن دريد – إلماع الإتباع لابن فارس – تذكرة الشـيخ تاج للدين بن مكتوم – أمالي ثعلب – أمالي القالي – ديوان الأدب للفارابي – صحاح الجوهري – مختصر العين.

[٦] الصناعتين , لأبي هلال العسكري ٢٦٠ – ٢٦٥.

[٧] ثمّة نماذج إتباعية عند القالي و السيوطي وجدناها عنده تبدو كما لو كانت ليست كذلك ؛ إذ أوردها بعد قوله : "و يقولون من أسجاعهم" ص ٣٨ , و ذكر التراكيب : "حقير نَقير – شديد أديد – ماله سَبد و لا لَبّد – خالد تالد – سَهْد مهد – بَذّ و فذّ , و شيء فَذٌّ و شَذّ – عين حَدْرة بَدْرة – صَيّر شَيّر – تفرّقوا شَغَرَ بَغَرَ , و شَذَر مَذَر". و يمكن الوقوف علي أمثلة أخري لهذا. و يذكر بعض النماذج معقبا بأنها من الإتباع , كما فعل مع "كثير بثير , و بَذِير". فهل ما عداها غير إتباع؟ إن التداخل بين نماذج الإتباع و المزاوجة , أو الأسجاع لا مناص من وقوعه. و المرجح أن ابن فارس جَهَد في التدقيق في ذلك. و ربما كان من الصحيح المصير إلي رأيه في الأمر لأنا سنجد كثيرا مما ساقه السيوطي علي أنه من الإتباع ليس منه.

٢- ألفاظ الإتباع في المعجمات.
٣- دراسة في أصول كلمات الإتباع و مدي شيوعها.
٤- نتائج البحث.

* * *

و لقد وقفت علي بحثين حديثين في مجال دراستي هذه, بعد أن كنت قد فرغت من إعدادها ؛ فلزم أن أشـير إلي ما يحتويانه , و إلي ما يفصل بين درْسهما للموضوع و درْسي أنا له.

هذان البحثان هما :

١ - مفهوم الإتباع اللغوي بين المهمل والمسـتعمل. أعدّه عبد الجواد عبد الحسن البيضاني , و نشر في مجلة جامعة كربلاء.[٨]

٢- الإتباع و المزاوجة في ضـوء الدرس اللغوي الحديث , للدكتور عطية سليمان أحمد.[٩]

- وقع البحث الأول فيما لا يزيد عن ثماني صـفحات. بدأه صـاحبه ببيان تعريف القدماء للإتباع , و اهتمام النحويّين و اللغويين بـه. و ذكر أن المتـأخرين , في القـديم , قـد انصـرفوا إلي تعليل الظاهرة , و أن المحدَثين نقلوا ما قاله القدمـاء , ثمّ توقّفوا عنده مقِرّين أنّ الكلمـات التـابعـة ارتجـاليّـة , لا معني لهـا , إنّمـا جيء بهـا لتـأكيـد معني متبوعاتها , و الإلحاح علي إرادة المتكلم لها.

و ينتهي الباحث إلي أنّ هذه الظاهرة لصـيقة بكلام الناس بعد تحوّله عن طور الفصـاحة الأولي , تلك التي تميّز العربية , قبل أن تلين , و تضعف بدخولها الحواضر , و تأثرها بلغات الأمم الأخرى. و إلي هذا تعزَي غرابة ألفاظ الإتباع , و عدم استعمال صيغه , أو تراكيبه في الشعر , أو القرآن الكريم. كما يُعزَي إليه عدم استطاعتنا

---

[٨] المجلد ٣, العدد ١١ ,٢٠٠٥.
[٩] دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٤.

أن نسلك هذا السلوك اللغويّ ؛ فنضع تراكيب مماثلة , تُؤَكَّد فيها الكلمة بتالية لها , علي غرار ما نجده فيما رُوِي لنا من هذه التراكيب.

- أمّا البحث الثاني فقد وقع في مائتي صفحة و عشْر. و عالج فيه صاحبه الموضوع معالجة متعدّدة الجوانب بعد أن عرّف بالإتباع ؛ فدرسه من النواحي الصوتية , و الصرفية (الأبنية) , و التركيبية (أنماط التراكيب لجمَله). كما درس المعني في هذه الأبنية و التراكيب , و درس أيضا علاقة الإتباع بالمجتمع.

كثُر اعتماد الباحث – في استمداد مادته المدروسة – علي : الإتباع و المزاوجة لابن فارس , و الإتباع لأبي الطيب اللغوي , و الأمالي للقالي. كما رجع إلي المزهر.

رأي الباحث أنْ لا وجهَ للتفريق بين الإتباع و المزاوجة , و لا بين أن تفصِل الواو بين المتبوع و التابع أو لا تفصل. و هو لا يرتضي أن يكون التابع بلا معني , و إن كان يأخذ بهذا الرأي في دراسته ؛ لبروز الدور الصوتي لهذا التابع. و نجده – فيما بعد- يدرس علاقات المفردات التابعة بالمتبوعة ؛ فيقفنا علي أنّ ما بينها من علاقات معنوية ينقسم إلي : ترادف , و تضادّ , و تنافر. علي أن ما بين المترادفات من هذه المفردات لا يمثّل الترادف التامّ.

لقد درس الجانب الصوتي في الإتباع , و أبان قيمته , و دوره في إحداث النغم المطلوب في التراكيب الإتباعية. كما عرض للصيغ الإتباعية و أبنيتها الصرفية , و ما يكثر استعماله منها و ما يقلّ.

كان الباحث يعرض لتراكيب الإتباع في بحثه كله داخل جُمَل أو عبارات. و قد عمل علي تصنيفها حسب طبيعة تركيبها النحوي , من حيث نوع الجملة , و التقديم و التأخير , و النفي و الإثبات.

ثمّ بعد أن عرض للنظريات الدلالية الحديثة – أخذ يصنّف المفردات و العبارات الإتباعية[١٠] حسب ما جاء في قاموس

[١٠] لا أدري لم تصنَّف العبارة معجميًّا , أو أجزاؤها من غير كلمتي الإتباع : المتبوعة و التابعة؟

"Greek new testament". و قد صـنّف هذا المعجم الموجودات في الكون إلي :

- موجودات تشمل الكائنات الحية علي اختلافها , من حيوان و طيور و حشـرات , و إنسـان , و كائنات أخري غير طبيعية. و هناك الكائنات غير الحية كالأشـياء الطبيعية مثل الرياح و الصـحراء و النبات , و الأشـياء غير الطبيعية , كالطعام و ما يتعلق به , و غير ذلك.
- و هناك حقل الأحداث الطبيعية و غيرها.
- و هناك حقل المجرَّدات.
- و هناك – أخيرًا – حقل العلاقات. و هو يشـمل العلاقات المكانية , و الزمانية , و الإشـارية , و العقلية. و ذكر أنّ العلاقة الزمانية من أبرز العلاقات داخل العبارات الإتباعية.

و قد انتهي الباحث إلي أن المتبوع و التابع ينتج من تواليهما معني جديد , هو المراد من التركيب الإتباعي.

و وقف البحث عند الجانب الاجتماعي للإتباع , و أبان أن مثل هذه التراكيب , أو العبارات , مسـتعملة في العصـور اللغوية المختلفة. و استشـهد بما ساقه عن محقّق كتب "الإتباع" لأبي الطيب اللغوي : عزّ الدين التنوخي , ممّا يشـهد لاستعمل السوريين له , في الحديث. كذلك أوقفنا الباحث علي شواهد له في لغة عامّتنا.

أمّـا بحثي هذا فـإنّـه معنيٌّ ببحث تـاريخ مفردات الإتبـاع في مصـدرين اثنين من مصـادره , هما المبحثان الخاصّـان به في الأمالي للقالي , و المزهر للسيوطي.

و قد درسـت الموادّ اللغوية لمعظم ما جاء فيهما ؛ لأسـتكشـف شـأن هذه المفردات الإتباعية المأخوذة منها , و مدي حضـورها في معجمات اللغة , و اسـتعمالات الشـعراء , و غيرهم لها , أو لما أُخِذ من مادّتها.

و دراســـة تاريخ مفردات الإتباع – فيما أحســـب – هو ممّا ينبغي أن ينال الاهتمام ؛ لأنّنا , عن طريقها , نجيب عن أسئلة تطرح نفســـها حول غرابة كثير من هذه المفردات , و مدي شـــيوعها , أو الحاجة إليها. و قد رأينا نســـبة هذه الألفاظ – أو التوابع منها غالبًا – عند الأستاذ البيضـاني إلي مرحلة غلبة لغة الحواضـر الضـعيفة. و قد رأينا أنها كثيرًا ما تكون مستغلقة المعني , أو لعلّها تكون – أحيانًا قليلة – بغير معنًي. و هذا كلّه ممّا يحدو بالباحث إلي أن يتحقّق منه بمراجعة المعجمات. و هو ما رأيت أن أنهض به في هذا البحث. إنّه دراسة تبحث معاني المفردات , و تدرس أوجه تلاقي معاني الكلمات التابعة مع متبوعاتها ؛ لتقف علي ما قد ينشـــأ من معني جديد يترتّب علي تلازم كلمتي الإتباع. و قد رأينا بحث الدكتور عطية ســـليمان يشـير إلي هذا , و هو ما أقدم الدليل عليه باسـتنباط أوجه التلاقي بين معـاني الكلمـات ممّـا أوردتـه المعجمـات عنهـا. و في رأيي أنّ هـذا المعني يتمثّل غالبًا في تأكيد معني الكلمة الأولي , و ليس معنًي ثالثًا , يلزم أن ينشـــأ في كل مرّة مع كل تركيب إتباعي. و ســـنقف أحيانًا علي أنّ هذا المعني الجديد ينشـأ من تغير في معني الكلمة المتبوعة ؛ بسـببٍ من تاليتها , علي ما هو الحال في "شَـهْلةٌ كَهْلَة" وصْـفًا للمرأة النَّصَف المقبولة.

و قد انتهيت إلي ترجيح أنّ المزاوجة هي أصـل الإتباع ؛ ذلك أنّ هـذه الأولي يتوقّف عنـدهـا البلاغيون. و لعلهم هم و غيرهم لم يكونوا يفرقون بينها و بين الإتباع عندما يكون التابع مألوفًا في اللغة الأدبيـة , علي مـا في : "هنيئًـا مَريئًـا – هُمَزَةٌ لُمَزَة". وهمـا تركيبـان قرآنيّان , كما لا يخفي. و لعل اختلافهم – قديمًا - حول كون التابع ذا معنًي أو غير ذي معنًي , راجع إلي تقـادم العهـد ببعض المفردات التابعة ؛ حتي صـــارت مســـتغلقة المعني , أو منحدرة إلي مســـتوي لغوي غير أدبي. و ربما كان التغير الصـــوتي الذي لحق بعض هذه المفردات قد بسبب من هذا الانحدار.

و قد درست علاقة مفردات الإتباع بلغتنا اليوم , سواء أكانت لغة للكتابة أم للأدب , أم شائعة علي الألسنة و بين العوامّ. و كثيرا ما تخلّل ذلك بيان ما بين الأصـــوات و المعاني من علاقة وثيقة , و كيف تتقارب المعاني لتقارب الأصـوات في الكلمات. و قد جاء ذلك ليمثّل معظم ما أسهمت به هذه الدراسة في تناول الموضوع.

و لم أُغفِل قيمة البناء الصـــوتي , و الصـــرفي للتراكيب الإتباعية ؛ فتوقّفت عند وظيفة ذلك في اصـــطناع المعني , و ما لعلّه يشـــير إليه غلبة الأبنية الثلاثية (أو أصـــولها) , و كذا تلك المزيدة بحرف - علي كلمات هذه التراكيب. و عدّدتُ الأبنية الصـــرفية للكلمات الإتباعية , مبيّنًا بناءها المقطعي.

و قد كنت مهتمًّا بالاختلاف في عدّ التراكيب الإتباعية من المترادفات , أو عدم عدّها منها. يؤكّد كونها منها أنّ كلمتيها[١١] تؤكّد ثانيتهما الأولي ؛ فهي تتطابق معها في المعني , أو تقترب منه. و هي ليســـت كذلك , علي ما يبدو أنّه الرأي الغالب ؛ لغرابة الكلمات التابعة ؛ و هو ما جعلها فاقدة المعني عند بعضـــهم , و ســـاعد عليه تلازم كلمتي الإتباع.

و درست العلاقة المعنوية بين طائفة غير قليلة من التراكيب, و ما إذا كانت قائمة علي الترادف التامّ , الذي قد يكون ســـببه انعدام تبين الفروق بين الكلمتين , أو علي كون إحـدى الكلمتين علّـة لملازمتها , و هو ما لا يخرج الكلمتين عن دائرة الترادف , إلي حد كبير.

و نظرت في المادة الإتباعية التي جمعت ؛ فانتهيت إلي توزع مفرداتها بين حقول معجمية بعينها ؛ فأشـــرت إلي ذلك ممثّلا بنماذج من الكلمات لكلٍّ من هذه الحقول.

ثم خلصت إلي دراسة كلمات الإتباع في المعجمات , و كتب اللغة , و اهتمام كلٍّ منها بأن يتضـــمّن قدرًا من هذه الكلمات , حسبما يتناسب مع حجمه , و اهتمامات صاحبه. و اهتممت بمراجعة ما في "المعجم الوسيط" من تراكيب الإتباع , و مفرداته , أو

[١١] و يغلب أن تكون من كلمتين , و أحيانًا تتوالي كلمات ثلاث في التركيب الإتباعي.

الكلمات المأخوذة منها ؛ لأنتهي إلي احتواء هذا المعجم علي قدر من هذه التراكيب , و بعض من مفرداتها الغريبة , و علّلت لذلك.

و بعدئذٍ جاءت الجزئية الثالثة من البحث , حول أصـــول كلمات الإتباع و مدي شـيوعها ؛ لتمثل أكبر جزئية فيه ؛ باسـتقرائها لمعاني المفردات , و بيان أوجه العلاقة بين كلمتي كلٍّ من التراكيب الإتباعية , و مدي استعمالها في لغتنا اليوم.

و خرجـت بنتـائج لهـذا البحـث , حول العلاقـة الوثيقـة للأصـــوات بصـــوغ معاني المفردات , و اقترابها من بعضـــها في الدلالة. كذلك كثيرا ما يرجع إليها الســـبب في اختلاف اللهجات. و لعل تعدد صيغ بعض كلمات الإتباع يشهد لذلك , علي ما نجد في: حَيثَ بَيْثَ – حَيْصَ بَيْصَ[١٢]. كذلك رجحت أن يكون للتصـحيف دور في وجود بعض المفردات الإتبـاعيـة , علي مـا ســـنري في انفراد يعقوب بكلمة "حَشْل" بدلا من "خَشْل" في قولهم : فلان خَشْل فَشْل , أو فَسْل. كذلك قرّرت تلك النتائج العلاقة الوثيقة بين مكوّني التركيب الإتباعي ؛ ممّا يجعلهما مترادفين , و إن تفاوتت التراكيب في درجة هذا الترادف.

و لعلّي أكون بذلك قد أســهمت في دراســة الموضــوع من زاوية , رأيت أن أســلكها إليه ؛ لتُســتجلَي بعض غوامضـــه. و الله الموفّق.

[١٢] سنقف علي اختلافات أخري بشأن هذا التركيب عند الدراسة.

تصنيف تراكيب الإتباع حسب الحقول الدلالية مع بيان ما للبناء الصوتي والصرفي و التـركيبي مـن أثـر في المعني

يثير هذا البحث القضيتين التاليتين :

- غرابة المفردات , و بخاصـة التابعة ,في الغالب , علي ما نري في: جائع نائع – خفيف ذَفِيف – حارٌّ يارّ – حيّاك الله و بيّاك – خَضِر مَضِر – شَغِب جَغِب.
- طبيعة التراكيب , من حيث العلاقة الصـوتية و المعنوية بين جزئيها.

أمـا عن طبيعـة التراكيـب , فـإنهـا – كمـا نري – تتكون من جزءين – في الغـالـب – يكونـان متوازنين , يمثلان أنمـاط السـجع المعروفة – و هي : المتوازي , و المتوازن , و المطَرَّف.[١٣] و يغلب عليها الأول. و يرد الأخير مراتٍ ملحوظة.

و لا شك أن لاعتماد السجع ليكون القالب الذي تصـاغ وفقه هذه التراكيب – دورًا غير منكور في تصـور السـامع دلالتها ؛ لما يمثله من جرس موسيقي لافت للانتباه , حافز للتوقف عند المعاني.

و من المؤكد أنه قد كان لها , أو لبعضـها – علي الأقل – من الجدّة , في العصـور السـابقة ما يجعل ظَفَر المستمع بها كسبا لغويًّا , لا يُضَـنّ عليه بالتوقف عنده. و قد أشـار إلي ذلك علماؤنا الأقدمون , كابن جنّي. فقد اسـتوقفه التوكيد المعنوي , و ما يسـتلزمه – أحيانا – من تكرار بعض مفرداتـه , علي مـا في قولهم : جـاء القوم كلُّهم أجمعون أكتعون أبصـعون أبتعون. فنبه إلي أنهم اسـتعملوا كلمات تشـبه أن تكون تكرارا للكلمة الأولي, التي هي أسـاسـية في التأكيد.

---

[١٣] قال يحيي بن حمزة العلوي :" فإن اتفقت الأعجاز في الفواصـل مع اتفاق في الوزن سمّي(أي السجع)المتوازي؛كقوله – تعالي -:"فيها سُرُرٌ مرفوعة , و أكواب موضوعة". و إن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سمي المطرَّف , كقوله – تعالي - :"ما لكم لا ترجون لله وقاراً , و قد خلقكم أطواراً؟"... و إن اتفقا في الوزن دون الحرف سمي المتوازن , كقوله – تعالي - :"و نمارق مصفوفة , و زَرَابِيّ مبثوثة".الطراز ١٩،١٨/٣.

علي أنهم تغلّبوا علي ثقل هذا التكرار بتغيير صوتين في أول الكلمات الثلاث , و أبقوا علي المقطع الأخير ؛ لاحتوائه علي صـــوت العين ذي النصاعة , و إطالة الصوت بالمد المنتهي بالنون. قال ابن جنّي : إنهم أعادوا العين "لأنها أقوي في السجعة من الحرفين اللذين قبلها ؛ و ذلك لأنها لام ؛ فهي قافية لأنها آخر حروف الأصـــل ؛ فجيء بها لأنها مقطع الأصـــول. و العمل في المبالغة والتكرير إنما هو علي المقطع , لا المبدأ و لا المَحْشَي".[١٤]

إنّ ما يبدو لنا الآن غريبا من هذه المفردات , قد صـار ضـمن المهجور – قد كان في العصور الماضية أو بعضها – علي الأقل – ليس كذلك , بل كان مألوفا بين الأدباء , و ربما لدي بعض ممّن سواهم. يشهد لذلك ما نجده في "الأصمعيات" و "المفضَّليات" من احتواء أشعارهما علي الكثير من كلمات الإتباع الغريبة , أو مشـتقات من الموادّ المأخوذة منها هذه الكلمات. ويشـهد له كذلك ما نجده من اسـتعمال كبار الشـعراء قديما و حديثا لمثل هذه الكلمات. و غالبا ما تستشهد المعجمات بالشعر علي معاني هذه المفردات , و إن كان بعضه لغير المشهورين من الشعراء , و أتي بعضه الآخر رجزاً, يبدو عليه بساطة القيمة و المحتوي. و قد سبقت الإشارة إلي أن القالي شـرح كل تراكيب الإتباع التي ذكرها في كتابه "الأمالي", و عرض لمعاني مفرداتها.

نخرج مما سبق بالأخذ بالرأي القائل بأن المفردات التابعة ليست بلا معني, قد جيء بها لمجرد إحداث اتّزان لفظي , أو وقْع صوتي.

و وقف بعض الباحثين أمام هذا اللون من المفردات ؛ فقرر أن منها ما هو ذو معني متطابق , يؤتي بالثاني منه ليكون توكيدا للأول؛ كقولهم : رجل قَسِيم وَسيم ؛ للجميل – ضئيل بَئيل ؛ للصغير.

علي أن منها غير ذي المعني في ذاته ؛ مثل الكلمات الثواني في التراكيب (عطشان نَطْشان – جائع نائع – حسن بَسَن). و قد جيء بها لتكون مؤكدة , و لا يُتكَلم بأيّ منها منفردا. و هو – كما نري –

---

[١٤] الخصائص ٨٣،٨٢/١.وكان ابن قتيبة قد ذهب إلي مثل ما ذهب إليه ابن جنّي في توجيهه التراكيب: عطشان نطشان – حسن بسَن – شيطان ليْطان. قال :إنهم غيّروا الحرف الأول لكراهيتهم تكرار الكلمة.تأويل مشكل القرآن٢٣٦،٢٣٧.

آخذ بما وقفنا عليه سابقا عند الإستراباذي , و رأينا أخذ ابن فارس به من قبل.

و أشار هذا الباحث إلي أن في الإتباع طرافة "تقوم علي ابتكار بنية ليس لها , غالبا , معني حقيقي , يردفون بها لفظة قبلها. كأن ذلك نوع من الإطناب الصوتي , أو اللفظي ؛ للتقوية و التوكيد , كما يقولون.و هو ليس من باب الإبدال ... بل هو أسلوب تعبيري خاص, دلالته جمالية إطنابية".[١٥]

و لا يمتنع أن يكون بعض المفردات التابعة , قد وضع من أول الأمر؛ ليؤدي وظيفة التوكيد وحدها ؛ فليس ذا معني خاصّ به , بل لعله اكتسب المعني من ملازمته الكلمة المتبَعة , في صيغة علي وزنها , و رويّها. و كأن المتكلم كان يقصر وظيفتها علي زيادة التنبيه إلي هذه الكلمة الأولي. ثم بعدئذ صار لها المعني نفسه , أو قريبا منه. و ربما يشهد لهذا الفرض ما حكَوْه عن أن العجّاج , و ابنه رؤبة كانا يستحدثان بعض المفردات ؛ ليستعملاها في رجزهما.[١٦]

و لقد يكون بعض هذه المفردات صار مهجورا , غير ذي معني عند من يسمعه لانحداره إلي مستوي اللغة الشائعة علي الألسنة. و هكذا جعل الناس يرددونه في أحاديثهم اليومية , بعد أن صارت تركيباته لا تفهم معانيها إلا مجملة , يشوب أجزاءها الثواني – و الثوالث أحيانا - غموض , إن لم تكن خالية من المعني تماما عند المتكلم أو السامع.[١٧]

---

[١٥] مصطلح المعجمية العربية , أنطوان عبدو ١٩٨،١٩٩.

[١٦] الخصائص٣ / ٢٩٨ , و العربية , ليوهان فك ٤٧.

[١٧] و لعل فيما أورده السيوطي آخر حديثه عن الموضوع , في المزهر ٤٢٤/١،٤٢٥ , ما يشهد لتردد العلماء في الحكم علي الكلمات المتبَعة لسابقاتها باستقلالية معانيها, أو توقفها علي معرفة معاني سابقاتها. فابن الدهان علي أنها من التوكيد ؛ لأنها لا تبين معني بأنفسها.و رأي قوم أنها تختص بمعانيها , وتنفرد بها دون حاجة إلي متبوع. وهذا رأي ابن دريد من قبل ؛ إذ من الإتباع مالا يفرد , و منه ما يمكن أن يفرد. و هو ما يتفق مع كون الباب يشتمل علي ما يكون فيه الثاني بمعني الأول ؛ فيؤتي به توكيدا. كما يشتمل علي ما يكون فيه معني الثاني غير معني الأول. و هو ما قال به القالي. المزهر ٤١٦/١،٤١٩. و يمكن اعتبار ذلك كله شاهدا لصحة ما ذهبنا إليه.

ذكر القالي حديثا لابنة الخُسّ , تناولت فيه الصـــفات المحمودة و المذمومة للرجال و النساء ؛ فجاءت في ثنائيّات متتالية. و كثيرًا ما تحقّق التماثل في الوزن , أو التقارب فيه بين الكلمات الأوليات من كل ثنائية. و كذلك الشـــيء بين الكلمات الثواني منها. و تشـــترك الكلمات الثواني في حرف رويٍّ يتغيّر مع تجدّد الوصـف. و غالبا ما تكون هذه الصـــفات المتتالية علي هيئة كلمات ثنائيّات متشـــابهة المعني. و هي تمثل الازدواج المشـــار إليه عند القدماء. غير أنّ الكلمات الدالّة علي هذه الصفات بيّنة المعاني , واضحة , خفيفة علي الأذن , أدبيّة إلي حدٍّ كبير. و هي – في رأيي – تمثل بدايات نماذج الإتباع الذي نحن بصدد درس تراكيبه , و مفرداته , تلك التي ضرب بعضها بجذوره في التاريخ اللغوي ؛ فعاد محدود الاستعمال, أو غير مســـتعمل إلا في حدود ضـــيقة, أو غمُض معناه ؛ حتي لا يكاد يُفهَم وحدَه , أو يأتي مستقلاً.

يروي القالي عن رجل من أهل البادية أنه "قيل لابنة الخُسّ : أيُّ الرجال أحبّ إليك؟ قالت : الســـهل النجيب , الســـمْح الحسِـــيب , النَّدْب الأرِيب , الســـيّد المَهِيب. قيل لها : فهل بقي أحد من الرجال أفضـل من هذا؟ قالت : نعم. الأَهْيَف الهَفْهَاف , الأَنِف العَيَّاف , المُفِيد المِتْلاف , الذي يُخِيف و لا يخـاف. قيل لهـا : فـأيّ الرجـال أبغض إليك؟ قالت :الأَوْرَه النَّؤُوم , الوَكَل السَّئُوم , الضـعيف الحَيْزُوم , اللّئيم المَلُوم. قيل لها : فهل بقِيَ أحدٌ شَـــرٌّ من هذا؟ قالت : نعم. الأحمقُ النَّزَّاع . الضـــائع المُضـــاع , الذي لا يُهاب و لا يُطَاع. قالوا : فأيّ النســـاء أحبّ إليك؟ قالت : البيضـــاء العَطِرة , كأنها ليلة قَمِرة. قيل: فأيّ النساء أَبْغض إليك؟ قالت : العِنْفِص القصيرة , التي إن استنطقتها سكتت , و إن سكتّ عنها نطقت".[١٨]

و سنقف فيما بعد علي حرص "المعجم الوسيط" علي ذكر عدد غير قليل من تراكيب الإتباع. كذلك وجدته يذكر جل المواد اللغوية

[١٨] ذيل الأمالي و النوادر للقالي ١١٩.

المشـــتقة منها المفردات المتبَعة لتلك الأولَـيَات , أو الثانية. و هذه هي التي تكون غريبة , أو غامضة المعني غالبا , كما سبق تقريره.

و قد اتضح لي من دراسة تراكيب الإتباع التي ذكرها القالي في أماليه[١٩] , و السيوطي في مُزهِره[٢٠] - أن بين جزئي التركيب الإتباعي علاقة دلالية وثيقة , مرجعها إلي تقارب معناهما , إن لم يكن اتحاده , و هو مـا جعـل اللغويين يخرجون هـذه التراكيـب من دائرة الترادف.[٢١]

ولأجل هذه العلاقة كان من بين هذه التراكيب ما صـــار وثيق الصـــلة بباب التوكيد في النحو , كما هو في قولهم : جاء القوم كلُّهم أجمعون أكْتعون أبْتعون أبصـعون. و قد غدا هذا التركيب , أو المثال – وحدَه , فيما أحسـب – كثير الدوران في كتب النحو , دون ما عداه من نماذج للإتباع , يمكن أن تكون أمثلة للتوكيد , مع وضوح معناها, و قربها من اللغة الأدبية, كقولهم : ثقْف لَقْف – فـَـقِهٌ نَقِهٌ. و يبدو أن النحويين أرادوا أن ينسـحب حكم المثال الكثير الدوران في كتبهم علي كل تراكيب الإتباع. و لكن حدث الاقتصـــار علي هذا المثال , الذي يصـــدق عليه ما ســقناه من قبل عن المفردات المهجورة, التي تفهم باعتمادها علي ما جاءت في إثْره مما هو واضح المعني.

و لا تســـتعمل لغـة الأدب الآن إلا الكلمتين الأوليين من هـذا التركيب الإتباعي النحوي. و قد اقتصـر عليهما القرآن الكريم , علي ما في قوله – تعالي – :"فسـجد الملائكة كلهم أجمعون"(٧٣/ص). أمّا الكلمات الثلاث , الدالة علي الاجتماع – فإنها لا تستعمل. و لعلها كانت من قلة الاسـتعمال بمكان , في القديم أيضـا. و تشـبه أن تكون مستعملة في مقام الحِجاج أو الشكّ.[٢٢]

---

[١٩] الأمالي ٢/ ٢٠٨ – ٢١٨.

[٢٠] المزهر ٤١٧/١- ٤٢٤.

[٢١] الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق , للدكتور محمد نور الدين المنجد ٣٣, ٣٤ , ٩٤ , ٩٥, ١٣٥.

[٢٢] و اختلاف النحاة حول كيفية اســتعمال هذه الكلمات , و حول ترتيبها , يدلنا علي تفاوت شـيوعها , بل علي غرابة اسـتعمالها , بخاصـة إذا اسـتعملت إحداها منفردة. شـرح الكافية للاســتراباذي ٣٣٣/١،٣٣٦. و رأي ابن الدهّان – قديما – أن الإتباع يندرج تحت التأكيد

أورد ابن فارس تراكيب الإتباع مرتبة حسب نهاياتها , أو رويها. أمَّا القالي و السـيوطي فلم يراعيا أي نوع من أنواع الترتيب. و قد رأيت أن أعرض بعض ما جاء عندهما مرتبا مرّة حسب العلاقة بين طرفي التركيب الإتباعي , و مرّةً حسب الحقول الدلالية.

وإذا ما عرضـــنا لبعض هذه التراكيب حســـب العلاقة بين طرفيها؛ فإنا سنقف علي ما يلي :

(ا) هناك ما نجد بين طرفيه تطابقا في المعني,علي ما نجد فيما يلي:

- أحمق بِلْغٌ مِلْغ ؛ فالبِلْغ : البالغ لما يريد من قول أو فعل , و المِلْغ الشـــاطر , أو المختار غير الطريق المعتاد لبلوغ غاية ما.
- التافه النافه. والنافه بمعني القليل أو الضعيف.
- جديد قشيب.
- حقير نَقِير. و الكلمة الأخيرة جاءت وصفا مؤكدا للصفة؛ فقد جعلت الحقير كالشاة الهزيلة التي تنقر رجلها لتستبعد عن غيرها.
- حارٌّ يارّ. و الثانية من اليَرَر ؛ بمعني الصـــلابة , ومنه الحجر الأَيَرّ؛ فكأن الحرارة في قسوة الحجر و صلابته. و ربما كانت الكلمة هي "جارّ" لكن أبدلت الياء بالجيم.
- كثير بثير , أو بَذير , أو بَجِير. و الكلمات الثلاث تؤكد معني الكثرة بدلالة الأوليين علي معني الانتشار و التفرق. و تدل الثالثة عليه بإشارتها إلي الاجتماع و التعقد.
- لحْمه خَظَا بَظَا ؛ للسمين أو الضخم الممتليء.
- خفيف ذَفيف.
- حسن بسَن قَسَن.

بالتكرار ؛ و لذا كرّرت العين و اللام , علي غير ما حدث في (أجمع) و (أكتع). و ذكر السيوطي أن قوما قالوا : إن مثل (حسن بسن- شيطان ليطان)يسمي تأكيدا و إتباعا. المزهر ٤٢٥/١.

- سائغ لائغ , أو سَيِّغ لَيِّغ , أو سَيْغ لَيْغ.
- شَكْسٌ لَكْس.
- سَغْل وَغْل.
- ضَئِيل بَئِيل.
- عَكٌّ أَكٌّ.
- غَنِيٌّ مَلِيٌّ.
- وَتِحٌ شَقِنٌ.

و ربما وضحت في بعض التراكيب السابقة علاقة الوصف بين الكلمة الثانية والأولي , علي ما هو بيِّن في التركيب قبل الأخير. و هي بينة أكثر فيما يلي:

- عابس كابِس ؛ فهو مع عبوسه و تجهم وجهه ضاغط مهاجم , متطلّب غيره.[٢٣]

- عَيِيٌّ شَوِيٌّ , أو عَيٌّ شَيٌّ. فهو ضعيف مجهَد , يبدو كما لو كان شَواة – و هي جلدة الرأس - أو شِوايَة , و هي بقية الشاة أو الطعام , أو الشيء القليل.[٢٤]

- وحِيد قَحِيد. و الكلمة التابعة تصف الأولي بمثل تفرد سنام الجمل , الذي هو قَحْدَته.

- هَذِرٌ مَذِر. فهذا الهذر , كثير الكلام , أو غير الجاد - واقع في الفساد , و هو المَذَر ؛ و ذلك لعدم مبالاته بما يقول.

(ب) و هناك ما كان أحد طرفيه علّة للآخر.

فقد يكون الأول هو العلة , كما في التراكيب التالية:

- فَدْمٌ لَدْم. فالعِيّ البليد كأنه قد لُطِم بما فاق قدرته علي الإبانة.
- كَزٌّ لَزٌّ. فهو جافٍ بخيل ؛ كأنه خشن الملمس ؛ ليُبس جلده, الذي كأنه ملتصق بلحمه. و قد يراد بذلك أنه محتفظ لنفسه بالمال , يبدو عليه أثر النعمة في ضخامته و امتلائه.

---

[٢٣] قال ابن فارس : الكابس : الذي يضرب بلحيته علي عظم زَوْره. الإتباع و المزاوجة ٤٩. و لعل هذا يقترب بنا مما وجهنا به معني التركيب.

[٢٤] و أساس البلاغة /شوي.

- رُطَب ثَعْدٌ مَعْدٌ. فلأن هذا الرطب ليّن كثُر لحمُه و غلُظ , أو كانت الثمرة منه مكتملة كبيرة.
- أحمق تاكٌّ فاكٌّ. فهو لحمقه مولَع بوطْء اللّيِّن من الأشـياء, كالرُّطَب والبِطِّيخ ؛ ربما ليلفت الأنظار إلي ما لعله يظنه مقدرة عنده , و ما علم أنه بذلك يفعل ما يشهد علي سلوكه غير طريق الجد ؛ فهو فاكٌّ : ضعيف.
- جائع نائع. فهو لفرط جوعه قد صار متمايلا.
- حائر بائر.فحيرته ستفضي به إلي الخسار , أو الهلاك.
- حاذق باذق. فالماهر كثير الإفادة لنفسه وغيره. و هذا دلت عليه (باذق) التي أصلها : باثق ؛ من انبثاق الماء , بمعني تفجره , و انسيابه. و قد صارت الثاء ذالا ؛ لتكون الكلمة أكثر مشابهة لسابقتها المتبَعة.[٢٥]
- ذهب دمُه خَضِراً مَضِرا ؛ لمن أهدِر دمه , أو لم يُثأر له ؛ فأصبح كالعشب الرطْب. فكأنه ليس دما , بل لبناً مَضيراً, أو مَضِراً ؛ أي أبيض.[٢٦]
- خاسر دابر. فهو لخَسَاره متأخر , أو قد مضي أمره , أو انتهي.
- خزيانُ سَوْءانُ. فهو مستاء لما لحقه من الخزْي.
- خبيث نبِيث. فهو ينبِث لاستجلاب ما يؤذي لخبث طويّته.
- سَمِجٌ لَمِج. فالسمِج : القبيح , و اللَّمِج : الذوّاق للطعام و الشراب. و اللَّماج : أدني ما يؤكل. فكأنه لقبحه يظل يتتبع الطعام ليتذوقه , أو يذهب إليه دون أن يُدعَي. و قد يكون المراد الإزراء بنهمه به[٢٧], أو بثرثرته ؛ و ذلك بكون التعبير مجازيا.

---

[٢٥] الأمالي , للقالي ٢/ ٢١٣, و الوسيط / بثق.
[٢٦] السابق , و كثيرًا ما نعتمد علي شرحه لتلك التراكيب , و إن لم نشر إليه.
[٢٧] راجع المعجم الوسيط (سمج – لمج). و فيه : تلَمَّج بالطعام :تلمَّظ به.

- شيطان لَيْطان. فهو لشدة تمرده يلُوط بالأمر ؛ أي :يلصق به و يلزمه ؛ ليكون له ما يبتغي.
- شحيح نَحِيح. وذلك البخيل الممسك , قد بلغ به شحّه أن جعل يدل عليه بصوته , أو نحيحه.
- ضالٌّ تالٌّ. فهو لضلاله قد صار ملقي علي الأرض ؛ فكأنه ذاهب في جهاتها , أو جنباتها , لا يدري له وجهة. و قد يكون المعني أنه قد سقط ملقًي علي الأرض لمشابهة أثر الضلال أثر السأم و المرض.
- أرض عَرِيضة أَرِيضة ؛ أي واسعة ؛ فهي حريّة بطيب العيْش.
- عطشان نطشان. فهو لعطشه صار غير ذي حراك , أو شديد جَبْلة الظهر , كما في "العين" و "اللسان". وكأن المراد افتقاده القدرة علي الحركة.
- مضِيع مُسِيع. فهو لإضاعته الأشياء يتركها لتذهب في الطين.
- مائق دائق. فهو هالك حُمْقًا ؛ لكثرة بذله دمع عينه من آماقها. و قد يقال : دانق ؛ بالنون ؛ فيعني ذلك أنه مهزول للسبب نفسه. و المراد أنه لا يملك القدرة علي التحمل , و لا العزم علي مواجهة المواقف.

و قد يكون الثاني علة للأول ؛ علي ما نجد فيما يلي :
- فقير وَقِير. فهو لكثرة ما انتابه من المشكلات , أو الحاجة , قد آل أمره إلي الفقر.
- قبيح شَقِيح. و هذه الكلمة الثانية بمعني المتغير - مثلما يتغير لون البُسْر (من أنواع البلح) من الخُضرة إلي الحُمرة أو الصّفرة – أو المكسور. فهو قد صار قبيحا لتغير حاله إلي الأسوأ.

- مَلِيح قَزِيح. فالطعام يكون مستحسنا (مليحا) إذا اكتمل له ما يجعله كذلك من أبزار و توابل (أقزاح).[٢٨] و قد يستعمل التركيب في الحديث عن غير الطعام , علي سبيل التشبيه.
- هنيء مرِيء. فلأن الطعام محمود العاقبة , تام الهضم , لا يضر و لا يؤذي ؛ فهو يجلب الهناءة ؛ لأنه لم يأت بمشقة و لا عناء.[٢٩]

علي أن الأمر نسبي في تحديد الطرف الذي يكون علة للآخر, لكن ربما كان من الصحيح الذهاب إلي أن هذا القسم (ب) بفرعيه لا يتضح فيه الترادف التام ,مثلما يتضح في القسم (ا).

و نكتفي بما قدمنا من نماذج إتباعية تشهد علي العلاقة الدلالية الوثيقة بين طرفي كل تركيب. و نقول : إن ما قدمناه يمثل غير قليل من تراكيب الإتباع , في المصادر التي اعتمدنا عليها. و هي تشهد علي أن هذه التراكيب من نماذج الترادف , و إن كان القدماء ذهبوا إلي غير ذلك. و لعل من وراء ذلك استشعارهم انعدام الفروق بين معنيي الكلمتين , و تلازمهما الدائم[٣٠]. و هو ما يعني توقف الدلالة علي هذا التلازم ؛ فكأنهما كالكلمة الواحدة. و هو ما نلحظه في توجيه بعض الكلمات الثواني , علي أنها ليست إلا تكرارا للأوائل , لكن دخلها الإبدال الصوتي , مثل الذهاب إلي أن كلمة "يارّ" هي

---

[٢٨] العين / قزح.

[٢٩] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مج ٢٩/٣.

[٣٠] ذكر ابن سيده , في المخصص أن شرط تحقق الإتباع هو عدم استقلال الثاني عن الأول. و أورد أحد الباحثين أنهم قالوا : "الفرق بين المترادف و المؤكِّد أنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت أصلا. و أمَّا المؤكِّد فإنه لا يفيد عين فائدة المؤكَّد , بل يفيد تقويته. و الفرق بينه و بين التابع ؛ كقولنا : شيطان ليطان – أنّ التابع وحده لا يفيد , بل شرط كونه بل شرط كونه مفيدا تقدم الأول عليه". الترادف في القرآن بين النظرية و التط التطبيق , لمحمد نور الدين المنجد ٩٤ , نقلا عن المحصول للرازي. و ذكر أن بعض المحدثين جعل الإتباع من أسباب الترادف. انظر : ص ٨٦.

"جارّ" التي جاءت تابعة لها. لكن حدث أن أبدلت الياء جيما , علي ما ذكره القالي. و لذا وجدنا المعجمات تذكر الاختلاف حول ما إذا كانت الكلمة الثانية لا تأتي إلا ملازمة للأولي أم لا. وهذا راجع إلي أنه يترتب علي التلازم الدائم انتفاء الترادف بين الكلمتين. و أنا أقول إنا نلحظ ذلك في أمثلة القسم (ا) أو في معظمها , و كذا ما كان علي شاكلتها مما لم نذكره. فنحن هنا بصدد كلمات لا نتبين اختلافا كبيرا بين معانيها , بالقياس إلي غيرها في المجموعة (ب) بفرعيها.

و لا نستطيع أن نغفل *دور البناء الصوتي للتراكيب الإتباعية* , في التمهيد لفهم المعني , أو في استشفافه , أحيانا , ثم تأكيده في الذهن , من بعد. و هذا الغرض الأخير هو الأمر الرئيس الذي كان لأجله الإتباع. و لقد كانت غالبية تراكيبه لا تعدو كلماتها المقطعين , أحدهما بسيط أو قصير , والآخر متوسط [٣١]. وتحتوي كل كلمة علي مرتكز يقسمها جزءين متساويين – غالبا - و هو ذلك الذي يفصل بين المقطعين. و يتولد من آخر المقطع الثاني و أول الثالث , من كلمتي الإتباع – حال الوصل , و هو الأصل في الكلام – كتلة صوتية , تكون مقطعا طويلا مغلقا بساكن. و هذا هو الغالب. وقليلا ما تأتي هذه الكتلة مقطعا قصيرا. و هناك القليل من التركيبات التي لا أثر فيها للوصل بين طرفيها علي البناء المقطعي , علي ما نجد في التراكيب التالية:

- أَسْوانُ أَتْوانُ.
- حَرَّانُ بَرَّانُ.
- خَزْيانُ سَوْآنُ.
- سَدْمانُ نَدْمانُ.
- شَيْطانُ لَيْطانُ.
- صَلَتَانُ فَلَتانُ.

[٣١] أو طويل , غير أنه ليس أحد مقطعي الوقف :المديد المغلق بصامت , وهذا يأتي نادرا داخل تراكيب الإتباع , كما في (ضالّ تالّ) , والمديد المغلق بصامتين , ومن أمثلة تحققه في آخر التركيب الإتباعي ما نجده في (سَغْلٌ وَغْلٌ) ؛ أي : بالوقف. و يلاحظ أنّا لا نقف بين كلمتي الإتباع.

و واضح أن وراء ذلك المنع من الصرف. وهو ما يترتب عليه الانفصال الصوتي بين الكلمتين.

إنّ ما يزيد علي نصف التركيبات الإتباعية الخمسة و الثلاثين و المائة , التي هي – تقريبًا - كل ما أدرجه القالي و السيوطي تحت الباب - يصدق عليها التقارب القوي في البناء الصرفي , بل ربما يذهب بنا القول إلي انبثاقها من أصل واحد تفرع عنه فرعان , و إن يكن ذلك نظريا ؛ لأن الكلمات التي علي الوزنين الصرفيين الفرعين لم تمدنا بها المصادر , أو لم تأت بين كلمات الإتباع إلا قليلا جدا.

إن الكثير من التراكيب الإتباعية يجمع بينها ما يشبه المتوالية الصرفية التالية :

فَعِيل > فَعِـل > فَعْل

وتكثر الصيغتان الأولي و الثالثة :

فعلي الأولي : بَذِيرٌ عَفِير – شَقِيحُ لَقِيح (و نَبِيح) – لَحْم غَرِيضٌ أَنِيض - يوم عَكِيكٌ أَكِيك – حَقِير نَقِير – خبيث نَبِيث – خَفِيفٌ ذَفِيف – فَقِيرٌ وَقِير – مَلِيحٌ قَرِيح – قَبِيحٌ شَقِيح – كَثِيرٌ بَثِير – سَمِيج لَمِيج – شحِيح بَحِيح (و نَحِيح) – ضئِيلٌ بَئِيل – ضَعِيف نَعِيف – عَرِيضٌ أَرِيض – عَزِيزٌ مَزِيز – عَبِيٌّ شَوِيّ – غَنِيٌّ مَلِيّ - جديدٌ قَشِيب - وَسيمٌ قَسِيم. و لا يبعد عن ذلك : مُضِيعٌ مُسِيعٌ[٣٢].

و يلحق بها مقطعيا: خرابٌ يَبَاب – امرأة خَفُوت لَفُوت – لا مَحِيصَ و لا مَفِيص.

و جاء : حَقِرٌ نَقِرٌ - سَمِجٌ لَمِجٌ - شَغْبٌ جَغْبٌ -عَكٌّ أَكٌّ – عَيٌّ شَيٌ = فَعْل.

و يُلحَق بـ "فَعِل" "فُعَلة" , علي ما في : هُمَزَة لُمَزَة – هُلَعَةٌ بُلَعَةٌ.

و علي الثالثة: نَذْلٌ رَذْل – طَلْقٌ ذَلْقٌ – خَبٌّ ضَبٌّ – رُطَبٌ ثَعْدٌ مَعْدٌ – طَبٌّ لَبٌّ – فرس عَوْجٌ مَوْج - كَزٌّ لَزٌّ – حَشْلٌ فَسْل – سَيْغٌ لَيْغٌ – سَهْوًا رَهْوًا , من : أعطيت المال سَهْوًا رَهْوًا - شيء شَذٌّ فَذٌّ بَذٌّ – هَتًّا بَتًّا.

---

[٣٢] مع ملاحظة الاختلاف في ضبط أول الكلمتين عمّا عليه ضبط أول الصيغة.

و يلحق بها: أُفٍّ و تُفٍّ – حِلٌّ و بِلٌّ - حَيْصَ بَيْصَ – أحمقُ بِلْغٌ مِلْغٌ – خَازِ بازِ – صُــمْعَة لُمْعَة – ما له عالَ و لا مالَ – جاء بالمال من "حَسِّـه و "بَسِّـه.

و يلحق بها "فَعْلة" كما في : عيْنٌ حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ – أُذُنٌ حَشْــرةٌ مَشْرَةٌ.

و جاء علي "فَعِل": أَشِــرٌ أَفِرٌ – ثَقِفٌ لَقِفٌ – حَرِبٌ جَرِبٌ – خَضِرٌ مَضِرٌ – خَسِرٌ دَبِرٌ دَمِرٌ – رُطَبٌ صَقِرٌمَقِرٌ – فَقِهٌ نَقِهٌ – رأس زَعِرٌ مَعِر – رجل قَشِب خَشِبٌ.

و يلحق به مقطعيا : حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ.

و كذلك يلحق به ما يلي : لحمه خَظَا بَظَا (و خَظٍ بَظٍ) – شَــذَرَ مَذَرَ , مع ملاحظة عدم تغير حالة طرفي التركيبين عند الوصل.

و جاء علي "فاعِل": مائقٌ دائِقٌ – تافهٌ نافِهٌ – تاعِس (أو ناعس) واعس – جائعٌ نائِعٌ – حائرٌ بائرٌ- حارٌّ يارٌّ (أو جارٌّ) – خائبٌ لائِبٌ (و هائب) – خازن مازن – خاسِر دامِر , أو خاسر دابِر - خالدٌ تالد – سـائغٌ لائغٌ – عابسٌ كابِس – ضـالٌّ تالٌّ – سـاغِبٌ لاغِب - شـائع ذائع - سَنام سامك تامك.

و يلحق به: لا بارك الله فيه , و لا دَارَك , و لا تَارك – ما له عافِطة و لا نافِطة.

و جاءت بعض التراكيب علي "فَعَال" أو "فِعَال" , كما في : أحمق هَفَاتٌ لَفَات- ذهب الضلال و الأَلال – كثُر الهِيَاط *و المِيَاط*.

و يجمع بين هذه الصيغة و صيغة "فعيل" اشتراكهما في كيفية الزيادة علي البناء الأصــلي للكلمة ؛ إذ تتمثل في إطالة الحركة : حركة الفتح هنا , و حركة الكسر في الصيغة الأولي. و لذلك أثره في تنبيه المستمع إلي الكلمة ؛ لما تشتمل عليه من نبر الطول هذا, فضلا علي ما قد يضاف إلي ذلك , كالتضعيف في مثل (ضالّ تالّ) و غير ذلك مما سأعرض له بعد قليل , مما لعله يساعد علي تصور المعني و فهمه.

و هذه الصيغ الأربع نجدها مختصرة البناء جاء قسم كبير منها ثلاثي الحروف. و هو ما يعكس غلبة الأبنية الثلاثية علي كلمات العربية. و لعله يجعلنا نذهب إلي غلبة استعمالها علي ألسنة الأدباء و الكاتبين , في الأزمنة التي أمدتنا بالمادة اللغوية , موضع الدرس هنا , و إن يكن ذلك في حاجة إلي مزيد من البحث قبل إطلاق القول به. لكن اعتماد الأديب أو الكاتب علي هذه المفردات المختصرة البنية , أو المجرّدة – كما يقول الصرفيون – لا شك أنه يشهد لتمكنه. و ربما كنا بما سبق نضيق واسعا , و هو ما يشير قسم من الصيغ إلي عكسه ؛ ذلك أنه يحتوي علي الزيادة بأحرف المد الثلاثة؛ أو بإطالة الحركات , كما سبق , وإن يكن بعضها أكثر استعمالا من البعض الآخر. فهل يمكن اتخاذ ذلك إشارة إلي تفضيل مثل هذه الصيغ قليلة أحرف الزيادة , إذا ما كان للكاتب أو الأديب – بل ربما المتكلم أيضا , بصفة عامة – أن يستعمل المزيد من الكلمات , و هو – لا بدَّ – فاعل؟

يبقي بعدئذ مجموعة من التراكيب , وفرها مصدراي اللذان اعتمدت عليهما في الوقوف علي مفردات الإتباع , نجدها تشمل ما يلي:

- *تركيبين , مفردتاهما علي وزن "أفَعل" , و هما :أَشَقّ أَمَقُّ ؛ للطويل - أَعْمَش أَرْمَش ؛ للمشتكي عينيه.*
- *وهناك آخر زيد في أول كلمتيه صوت صامت , كما حدث في السابقين , وهو : مُعْفِتُ مُكْفِت.*
- *تراكيب مفردتاها علي وزن "فَيْعل" علي ما في : سَيّغ لَيّغ – ضَيّق لَيّق (و عَيِّق) – صَيّرٌ شَيِّر ؛ للحسَن الشارة.*

- تراكيب , مفردتاها علي وزن"أفعَلّ" و "فَعالِل" , و "فِعَلّ".

فعلي الوزن الأول : مكان بَلْقَعٌ سَلْقَعٌ , و بلاقِعُ سلاَقِعُ- سَمْهَجٌ لَمْهَجٌ – عَلْجَمٌ خَلْجَم ؛ للطويل الجسيم.

و علي الثاني: سِبَحْل رِبَحْل.

- وهناك ما جاء علي "مِفْعَال" مثل : ناقة مِسْيَاعٌ مِرْيَاعٌ ؛ للتي تذهب إلي المَرْعي و تعود وحدَها.

- و جاء أحد التراكيب علي وزن "مُفْعَنْلِل" , مثل : مُخْرَنطِم مُبْرَنطِم.
- كما جاء أحدها أيضـــا علي وزن "فِعِّيل" كما في قولهم للخبيث : كِفِرّ ّ ِينٌ عِفِرِّينٌ.

و واضــح أن ما زيد في بناء هذه التراكيب ضــروري للدلالة علي معانيها , المتفرِّعة علي موادها المشـــتقة منها. و الحكم نفســـه صادق علي ما يلي بعدُ.
- وسبق إيراد تراكيب مفرداتها علي وزن "فَعْلان". و نضيف إليها "عطشان نَطْشان".
- وهناك ما جاءت مفردتاه علي :" فِعْلِيت" وهو: عِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ.
- و ثمّة ما جاء علي "تفعيل" مصــدرا لا اســما , مَزِيدًا للدلالة علي المعنـي , كما نجد فيما جاء من قولهم : ما عنده تعريج علي أصــحابه و لا تعويج.
- تراكيب أربعة , جاءت مفرداتها علي أوزان :"فَعَلان – فَعّال – مُفَعَّل – فَعَّالة". و هي : فرسٌ صَـــلَتَان فَلَتَان – إنه لَجَوّاسٌ عَوَّاسٌ ؛ أي : طلاّب بالليل– حَيَّاك الله و بَيَّاك – مجرَّبٌ مُدَرَّب (و مُذَرَّب) – رجل خَلاَّجَةٌ وَلاَّجَة.

و ها نحن نجد المزيد من الصـــيغ في هذه التراكيب الأخيرة , لم تتجاوز الزيادة فيه الحرفين. و هذا يؤكد ما ملت إليه من احتمال دلالة هذا علي الميل إلي استعمال الصيغ المختصرة البنية.

علي أنا نقف علي هذا التركيب : رَغْمًا دَغْمًا شَنَّعْمَا (أو شـــنّحْمَا) ؛ بمعني المبالغة في إيذاء أحدهم و اســـتذلاله. فالرغم من الرّغام ,و هو التراب , و الدّغم من إصـــابة معظم الوجه. و الكلمة الأخيرة من "التشنيع" , أو من "الشُّنَاحَي" و هو الطويل. و قد ألحقت الميم بالكلمة لتنتهي بمثل ما انتهت به الكلمتان الأوليان , علي ما هو العمل في الإتباع. و جاءت هذه الكلمة الأخيرة فعلا , علي العكس من الأوليين. وليس من المبالغة القول بالقصد إلي هذا الطول في بناء الكلمة ؛ ليصور المعني بعضا من التصوير.

و لا بُدّ من التوقف عند بعض التراكيب التي تشتمل علي بعض السمات الصوتية اللافتة , كالهمز , و التضعيف , و إطالة الحركة التي تضاف إلي غيرها ؛ ليقوي بذلك الوقع الصوتي للكلمة في الأذن.

و قد جاء الهمز تابعا للحركة الطويلة , أو متبوعًا بها في كل من التراكيب التالية :

(حائرٌ بائرٌ – سائغٌ لائغٌ – ضئيلٌ بَئِيلٌ). كما جاءت الإطالة مع التضعيف في (ضالٌّ تَالٌّ). و جاءت مرة ثالثة مسبوقة ومتبوعة بصوت الزاي المجهور , ذي الأثر السمعي الصفيري[٣٣], في خشونة[٣٤], في (عزِيز مَزِيز).

و جاءت الإطالة وحدها في (مُضِيع مُسِيع – وحيد قَحيد). ومع أنها ثابتة في الكثير من التراكيب غيرهما , كما سبق أن رأينا , فإن هذه الإطالة ربما رجحت اتفاق معني الكلمة الثانية , في التركيبين , مع معني الأولي , أو اقترابه منه , وبخاصة أن الاثنتين الأخيرتين غريبتان.

و قد جاء التضعيف بمفرده في (سَيِّغ لَيِّغ) ليمثل نوعا من النبر في الكلمتين , ينبه به المتكلمُ المخاطبَ إلي ما يريد إيصاله له من معني.

و لا بدّ أن نلتفت إلي ما تحويه بعض الصيغ من توضيح للمعني , و تأكيد له , يتمثلان في مجيء الكلمة الثانية مصورة للمعني ؛ بإشارتها إلي هيئة مناسبة لمعني الكلمة الأولي ؛ فتكون كأنها قد وظّفها المتكلم لإماطة اللثام عن معني الكلمة الأولي , كما في التركيبين التاليين :

أعمشُ أَرْمَشُ – شَحِيحٌ بَحِيحٌ (و نَحِيح).

فربما لا يعرف المخاطب الكلمة الأولي في كلا التركيبين , لكنه يعرف الثانية ؛ إذ سينبهه وصف "أفعل"من "رمش" – و هو يعني : من تفتَّلت أهداب عينه لكثرة دمعها , أو لمرض أصابها –

---

[٣٣] الأصوات اللغوية للدكتور أنيس ٧٤ , ٧٥.

[٣٤] وهو وصف اخترت أن أفصل به بين حالي الزاي , و كل من السين و الصاد.

سينبهه ذلك إلي معني الكلمة الأولي , و إلي أن الكلمتين بسبب وثيق من بعضهما.

و ربما لا يعرف بعضهم معني "شحيح" , لكن قد لا يكون هذا شأنه مع قرينتيها , و إن تكن صيغتاهما غريبة بعض الشيء ؛ لأن أولاهما بمعني اسم المفعول – مبحوح – و أخراهما بمعني اسم الفاعل – متنحنِح-. ومعني الكلمتين هو الأوضح , و يمكن للمستمع استشفافه من أصواتهما. و هو – بعدئذ – قادر علي أن يتصور حال الموصوف بالكلمتين , وما لعله يدفعه إلي أن يتصنع البحيح , أو النحيح. و هكذا يستطيع أن يستنبط معني الكلمة الأولي.

و لئن كنا قد وقفنا علي دور الكلمة الثانية في توضيح معني سابقتها , فإنا نقف – فيما يلي – علي دورها في تصوير المعني و تأكيده , لمن يتلقون هذه التراكيب دونما استغراب لمفرداتها. يتضح ذلك في مثل :

فَقير وَقِير (و نَقِير) – عابِسٌ كابِس – كَثِيرٌ بَثِير – خبيث نَبِيث – خَفِيف ذَفِيف .

فالفقير قد أوقرته الحاجة و أثقلت كاهله , أو آذته فتركته ذا علامة يعرف بها ؛ فغدا كهذه الشاة المريضة التي ينقر أصحابها شاكلتها ليربطوها بخيط , ثم يطرحوها جانبا.

و ذلك العابس المقطب الوجه , كأنه الهاجم علي قِرنه أو خَصمه , في غير توانٍ. و في الحق أن الكلمتين مصورتان للمعني.

و لكثرة الشيء الموصوف يبدو ملقًي في مكان واسع مفرقا في جنباته.

و ذلك الخبيث , السيّء الطّويّة , لا يفتأ يبحث عمّا يسيء به إلي غيره. فهو يَنْبِث عن أخبارهم و سقطاتهم. وقد صورته لنا كلمة "نبيث" علي ما قد يلفّها من غرابة , ربما يذهب بها قربها من كل من (نَبَش – نَفَش) لفظا و معنًي.

و في التركيب الأخير نجد غرابة في الكلمة الثانية , لكن اللفظة لم تكن غريبة عند من استعملوها قديما. و لأجل هذا وقعت في كلامهم هذا الموقع. إنها تؤكد الوصف السابق عليها , بعد أن تشبه صاحبه بالسريع.

و أختتم هذه الجزئية من البحث بذكر الحقول الدلالية التي تندرج تحتها تراكيب الإتباع في المصادر التي اعتمدت عليها :

١- الحِذق و حسن التأتّي للأمر.

و من أمثلته : خَفِيفٌ ذَفِيفٌ - تَبِنٌ طَبِنٌ – طَبٌّ لَبٌّ – طَلْقٌ ذَلْقٌ.

٢- الخيبة و سوء العاقبة.

و من أمثلة ذلك: أسوان أتوان – حائر بائر- سعيه في خياب ابن ثياب – ضال تالّ.

٣- حسن المنظر, كما في قولهم : حسن بَسَنٌ قَسَنٌ.

و يتبعه : ا – السعادة و الفرح.

و من أمثلته : أَشِرٌ أَفِرٌ.

ب – وصف الثمار.

و من أمثلته : رُطَب ثَعْدٌ مَعْدٌ – رُطَب صَقْرٌ مَقْرٌ.

٤- القبح و سوء المنظر.و من أمثلته : ضَئيل بَئيل – ضَعيف نَعِيف – قبيح شَقِيحٌ.

و يتبعه : ا- الإقواء و الخُلوّ.

و من أمثلته: خراب يباب – سَلْقَع بَلْقَع.

ب – الجوع و الضعف.

و من أمثلته : جائع نائع – ساغب لاغِبٌ – عَيِيٌّ شَوِيٌّ.

ج- امتلاء الجسم,أو ترهّله.

و من أمثلته : لحمه خَظَا بَظَا.

٥- الجِدَّة و القِدَم.و من أمثلته : جديد قَشِيب.

٦- اللؤم و سوء الطباع.

و من أمثلة ذلك : بَذِير عَفِير - خَبٌّ ضَبٌّ - شيطان ليْطان – عِفريت نِفريت – شَغِبٌ جَغِبٌ – وَتِحٌ شَقِنٌ – كَزٌّ لَزٌّ.

٧- الإباحة , كما في قولهم : حِلٌّ و بِلٌّ.
٨- الدعاء و التحية , كما في قولهم : لا بارك الله و لا دارك و لا تارك - حَيّاك الله و بَيَّاك.

ألفاظ الإتباع في المعجمات

معجم *العين* هو أول مدوّنة ضمّت بين دفّتيها ما أمكن صاحبها أن يضـمّنها من مفردات الثروة اللغوية العربية. و لابُدَّ أن يمثل الوجهة الأولي لمن يقصـد البحث عن تاريخ المفردات. و لهذا رجعنا إليه لاسـتجلاء ما احتواه ممّا يتصـل بكثير من هذه المفردات المكونة لتراكيب الإتباع. و قد وجدناه يذكر بعضـها , و يشـفع ذلك بذكر هذا التركيب أو ذاك منها أحيانا. و قد يذكر المادة اللغوية للمفردة من مفردات الإتباع ؛ فيعرض لمعانيها , أو معاني المفردات المأخوذة منها دون ذكر التركيب الإتباعي. و قد لا نجد فيه لا هذا ولا ذاك. و ربما كان من وراء عدم ذكر بعض كلمات الإتباع أنها مما غيره المتكلمون , علي ما تجيزه بعض اللهجات في أداء الأصوات , أو ما يلزم به صـوغ التركيب الإتباعي. و يبقي بعد ذلك أن المعجم لم يكن ليسـتوعب كل المفردات. و من هنا كانت المؤلفات المسـتدركة عليه.

علي أن الرجوع إليه , و الاحتجاج بورود الكلمة , أو الصـيغة فيه راجع إلي ترجيح اعتنائه بما هو كثير الشـيوع و السـيرورة من المفردات و التراكيب. و ما نظن أن صـاحبه كان يسـتقصـي الأبنية وفق منهج التقاليب الذي اتبعه إلا لأجل هذا.

١- لقد وجدنا صاحب العين يذكر التراكيب الإتباعية التالية :

- ذكر الأُفَّ و التُّفّ. و الأفّ : وسَـخ الأذن , و التّفّ : وسـخ الأظفار. قال : و يقال : عليهم اللعنة و التأفيف. و ذكر من قبل أن الأُفّ و الأفَـَف من التأفيف. تقول : قد أَفّفْت فلانا : إذا قلت له : أُفٍّ. "و فيه ثلاث لغات : الكسر و الضم و الفتح بلا تنوين. و أحسنه الكسر. فإذا نوّنت فارفع. تقول: أفٌّ ؛ لأنه يصير اسما بمنزلة قولك: ويلٌ له. و العرب تقول : أَفَّةٌ له ؛ مؤنثة مرفوعة. لا يقال ذلك إلا

بالتنوين , إمّا مرفوعا و إمّا منصـوبا. و النصـب علي طلب الفعل ؛ كأنك تقول :أَفَّفت أُفًّا".[٣٥]

- حَسَـنٌ بَسَـنٌ.و اكتفي بذكر التركيب , مشـيرا إلي أنه إتباع.[٣٦]
- حـارٌّ يـارٌّ. ذكر التركيب عن أبي الـدُّقَيْش.[٣٧] قـال :"و لا يقال إلاّ مَلَّةً حارّةً يارَّة. و كل شـيء نحو ذلك إذا ذكروا اليارّ , لم يذكروه إلا و قبله حارّ".
- جائع نائع.[٣٨]و ذكر أن النوع :الجوع. قال : و يقال : هو العطش.و رجح أن يكون كذلك لقول العرب : عليه الجوع و النُّوع.

- و ذكر أنّ "العرب تقول : قُبحًا له و شُقحًا , و إنه لقبيح شَقيح. و لا يكاد يعزل الشُّقْح من القبح".[٣٩]

- وذكر أن "اللَّمْج : تنـاول الحشـيش بـأدني الفم. تقول : هل عندك شماجٌ أو لِماجٌ آكله؟ و إنه لشَمْجٌ لَمْجٌ. و لا يفرد".[٤٠]

٢- نفيد ممـا ذكر في المواد المـأخوذة مفردات الإتبـاع منهـا , و ممّا ذكر عن معاني بعض كلماته , علي ما نجد فيما يلي :

- يذكر في مادة (بأل) أن البَئِيل : الصغير النحيف الضعيف. و قد بَؤُل يَبْؤُل بَآلة. و البَأْلة : القارورة ؛ بلغة بلحارث. و هي بالنبطية بالتاء.[٤١]و هكذا نسـتطيع أن نعتمد عليه في الذهاب إلي أن صـيغة "فعيل" من المادة جاءت مؤكدة لمعني الكلمة السابقة عليها في قولهم "ضَئيل بَئِيل".

---

[٣٥] العين / أفف.
[٣٦] العين / بسن.
[٣٧] ٤/٤١١. و ذكر أنهم يقولون : حارٌّ جارٌّ ؛ بالجيم ؛ بمعني : جرّ الشيء المصاب بشدة الحرارة. قال : كأنه ينزعه و يسلخه مثل اللحم. قال : و يمكن أن يكون (جارّ) لغة في (يارّ)؛ كما قالوا : الصهاريج و الصّهاريّ, و صِهريج وصِهْرِيّ. و صهريّ لغة تميم.
[٣٨] العين /نوع,٤/٢٧٨.
[٣٩] العين /شقح,٢/٣٤٤.
[٤٠] العين / لمج.
[٤١] السابق ١/١١٠.

كما نســتنبط ارتباط المادة بلهجة عربية قديمة , هي النبطية. و ربما أرجعنا غرابة اللفظة إلي ذلك.

- يذكر في مادة (بثر) ما يؤيد اســتعمال "بَثِير"[٤٢] في التركيب الإتباعي "كثير بثير"للدلالة علي الكثرة و الانتشار.

- و يذكر في (أسـي) و (أتو) ما يفيد في فهم الإتباع في "أسـوان أتوان". فالأسَـي : هو الحزن علي الشــيء. أَسِـيَ يَأسَـي أَسًـي ؛ فهو أَسْـيان ,و المرأة أَسْـيَي. قال : و يجوز في الوجدان أَسْـيَان وأَسْـوان. قال :

ماذا هنا لك من أسْوانَ مكتئبٍ و ساهف ثمِل في صَعْدَة قِصَم؟

و يذكر أن الأَتْو : الاستقامة في السير و السرعة. و يأتُو البعير أَتْواً. "تقول العرب : أَتَوْت فلانا من أرض كذا ؛ أي :سرت إليه".

و مما تقدم نفهم أن المراد من "أسـوان أتوان" : شـديد الحزن مستمرّ الاتصاف به.[٤٣]

- و ذكر في (سـمج)[٤٤]معني :سَـمُجَ الشـخصُ سَـماجَةً : أي لا ملاحة فيه. و من الفعل أخذت (فَعِل) من التركيب "سَمِجٌ لَمِج" بمعني : قبيح.

- و ذكر في (ضبب)[٤٥] أنّ "الضّبَّ يكنَي أبا حِسْل ... و الضـبّ : الغِلّ في القلب. و هو يُضِـبّ ضَـبابًا من العداوة. ... أضَـبّ القومُ : تكلموا , و أضبّوا: إذا سكتوا. و زعم أنه من الأضداد. و أضَبّ علي الشيء : أشرف عليه. ... و أضبّت السماء من الضباب , وهو الذي يبدو كالغبار يغشـــي الأرض بالغدوات...". و هذا كله نجد فيه ما يؤيد وصــفهم للمرء الماكر اللئيم المخوف منه بأنه "خَبٌّ ضَبٌّ".[٤٦]

- و هو يوقفنا علي أنّ (المَضِـــر) وصـــف للبن الشـــديد الحموضــة. و هو ما يؤيد تفسـير أبي علي القالي للتركيب الإتباعي:

---

[٤٢] ١/ ١١٢.
[٤٣] و الأمالي ٢ /٢٠٩.
[٤٤] ٢٧٢/٢.
[٤٥] ٤/٣.
[٤٦] و المزهر

"ذهب دمُه خَضِـراً مَضِـرًا" بأنّ المراد إهداره لعدم معاقبة مُهْرقه. فكأن هذا المراق ليس دما يسـتوجب القصـاص , و إنما هو لبن سُكب![٤٧]

- و لم يذكر كلمة (لاغِب) من "سـاغِب لاغِب". علي أن الكلمة غير غريبة , و واضـحة المعني ؛ لاسـتعمال القرآن الكريم مصـدرها.[٤٨] ذكر الخليل معني الفعل , و معني بعض الأسـماء المأخوذة منه ؛ فقال : "لَغِبَ يلغُب لُغوبا , و لغب , و هو شـدة الإعياء. و اللغاب من الريش : البطن. الواحدة بالهاء. و اللغاب : ريش السهم إذا لم يعتدل. و المعتدل : لُؤَام".[٤٩]

- لا نجد في "العين" كلمة "قَزِيح" التي تأتي تابعة لـ "مَلِيح", وإن كنا نجد بعض ما اعتمد عليه القالي في بيانه معني هذا الإتباع. فهو ذكر أنّ القُزَح أَبْزار القِدْر.[٥٠]

- و مثل ما سبق ذلك الذي نجده في قوله :"النحنحة : أسهل من السعال , و هو علة البخيل. قال :

و التغلبِيّ إذا تنحنح للـقِري حكّ استه و تـمثّل الأمثالا

و قال: يـكاد من نحنـحة و أَحٍّ يحكـي سعال الشَّرِق الأبَحِّ"[٥١]

فهو يمدنا بما يفيد في بيان سـبب إتباع كلمة "شـحيح" بكلمة "نَحِيح".

- و هو يذكر أن العَوْد (الجمل)الأبَحّ هو الذي في صـوته غِلَظ , والبحَح : مصدر الأبَحّ.[٥٢]

وهذا وما سبق في البيت قبله يشـهد لمعني التركيب "شـحيح بحيح".

---

[٤٧] و في الأمالي ٢/ ٢١٣: إنما سمّي مَضِرًا لبياضه ؛ فكأنه لمّا لم يُثأر به ؛ فيراق لأجله الدم بقي أبيض. و المزهر١ /٤١٨.

[٤٨] و هو (لُغُوب) في الآيتين ٣٥/ فاطر ,٣٨/ ق.

[٤٩] العين /لغب ٩١/٤.

[٥٠] العين /قزح٣٨٥/٣.

[٥١] العين , نحح١٩٧/٤.

[٥٢] السابق , بحح ١١٥/١.

٣ – و قد أغفل صـــاحب العين ذكر بعض كلمات الإتباع ؛ بســـبب عدم وجود المادة. و ســـرعان ما يتبين أن الكلمة قد غيرت بعض أصواتها لكي تماثل ما في سابقتها , وفق ما يستلزمه الإتباع.

إن كلمتي "بـاذِق – لَكِس" ليســـتـا في "العين". و همـا من التركيبين: حاذِقٌ باذِق – شَكِس لَكِس.

وأصـل الأولي : باثِق و قد ذكر الخليل أنّ "البَثْق : كسْر شـط النهر ؛ فينبثق الماء. و قد بَثَقته أَبثُقُه بَثْقاً".

و أصـــل الثانية يمكن أن يكون أيٌّ من الفعلين (لكَث – لكَز). و يمكن أن يكون (لكَس)[٥٣]قد كـان أقل شـــهرة ؛ فلأجل ذلك أغفله الخليل علي حين ذكر الآخرين.

و لابد من ملاحظة أنه قد يكون من وراء ذلك مجرد التخفف من ذكر الفعل. و قس علي ذلك ما لم يذكر من صـــيغ , مثل (لائغ) من "سائغ لائغ" – (دائق) من "مائق دائق".

و إذا كنـا قد أشـــرنـا إلي كتـاب ***"الأمـالـي"*** للقـالي , أول هذه الدراســة , و إلي أنه أحد مصــدرينا الأســاســيين لهذه الدراســة , فلا مناص من الإشـارة إلي أن القالي لابد أنه اسـتقي مادة الإتباع اللغوية من أســتاذه ابن دريد صـــاحب ***"جمهرة اللغة"*** تلك التي احتذي فيها حذو الخليل في جانب من منهجه , و هو الأخذ بالتقاليب. و قد عرض فيها للإتباع في باب خاص به. و ذكر أنه قسمان, أحدهما

[٥٣] سنقف – فيما بعد – علي إهمال الوسيط له , علي حين ذكر كلا من : لكث - لكَز – لكش. و قديما أهمل الجوهري (لكث) فاســتدركه عليه الصـــغاني في "التكملة". واللكْث يعني الضرب. و لَكِث عليه الوسخ؛ أي لصِق به و اللّكَث : الداء , و هو داء يأخذ الإبل في أفواهها , و هو شبه البَثْر. و لَكَثته ؛ أي جهدته وحملت عليه في سَقْي أو دُؤُوب.

يُفرَد و هي ستة و عشرون تركيبا , و ما لا يفرد أحد عشر تركيبا. فممّا لا يفرد : جائع نائع – عطشان نطشان – حسن بسَن – شيطان ليطان – حارٌّ بارٌّ – كثير بَثير – قليل وَتِيح – خَضِرٌ مَضِرٌ – واحد قاحِد. و قالوا : فارد – مائق دائق – شقيح لَقِيح.

و ممّا يمكن أن يفرد : غنِيٌّ مَلِيٌّ – فقير وقِير – ثَقِف لَقِف – خفيف ذَفِيف – حيَّاك الله و بيَّاك.

و الإفراد و عدمه راجع إلي مدي ارتباط الكلمتين ببعضهما , و توقف المعني علي ذكر الثانية لكثرة اعتياد ذلك , و هو ما سنشير إليه عند دراسة أصول كلمات الإتباع و مدي شيوعها.

كذلك عرض ابن دريد لبعض تراكيب الإتباع في أبواب النوادر.

فإذا ما ذهبنا إلي ***"مقاييس اللغة"*** لابن فارس ؛ لنبحث فيه عن هذه الصيغ أو التراكيب , و موادّها – فإنّا نجده يغفل ذكر بعضها , علي الرغم من اهتمامه بالموضوع , و إفراده رسالة له , كانت من بين مصادر السيوطي في عرضه مادة الإتباع. و هي مما نعتمد عليه في دراستنا.علي أن ابن فارس كان معنيًّا في "المقاييس"بالوقوف علي مدي شيوع الأبنية اللغوية و معانيها. و هو ما نلحظه في إشارته إلي أن بعضا منها يمثل أصولا ضعيفة , أو مشكوكا في صحتها ,علي ما نجد في قوله عن (ثعر) : "الثاء و العين و الراء : بناء - إن صح - دلّ علي قماءة وصِغَر. فالثُّعْروران كالحلمتين تكتنفان ضرعَ الشاة. و علي هذا قالوا للرجل القصير : ثُعْرُور".

إذن كان من الضروري الرجوع إلي "المقاييس" لمعرفة نصيب هذه المفردات و أصولها من الشيوع , و قوة الظهور في المعجم الذي أخذ صاحبه علي عاتقه أن يقنّن للمعاني العامة للأبنية اللغوية , و يحكم علي مدي ذيوع الكثير منها.

لا نجد في المقاييس ما يلي :

(نائع) من التركيب "جائع نائع" – (ضَبّ) من "خبّ ضَبّ" – (أتوان) من "أســوان أتوان" – (أرْمَش) من "أعمش أرمش"[٥٤] - (عَفِير) من "بَذِير عَفِير" – (قَشِيب) من "جديد قشــيب" – (ذَفِيف) من "خفيف ذفيف" – (بَظا) من "خَظَا بَظَا" – (بازِ) من "خازِ بازِ" – (لائب) من "خائب لائب" – (يباب) من "خراب يَبَاب" – (نَبِيث) من "خَبِيث نَبِيث" – (حَشْل) من "حَشْل فَسْل" – (حَسّ) من (جاء بالمال من حَسِّه و بَسِّه).

و هذا لا يعني أنه ضرب صفحا عن هذه التراكيب ؛ إذ هو قد كان يذكرها بالقدر الذي يتناســب مع وظيفة هذا المعجم , الذي يعني – في المقام الأول – بالتنظير لأصــول الأبنية , و ما تشــير إليه من الدلالات العامة , بعد إبانة ما إذا كانت صحيحة , شائعة الاستعمال , أو غير شائعته.

و قد وجدناه يذكر بعضًا من هذه التراكيب في معجمه "مجمل اللغة".

و لا بُدّ من الإشارة إلي أنّ ابن فارس كان قد أشار في كتابه "الصاحبي" إلي أنّ الإتباع سنّة من سنن العرب في كلامها[٥٥]. و هو ما رأينا ابن جني المعاصر له يشير إلي ما يماثله. و يشاركهما في ذلك ابن قتيبة ؛ إذ يشــير إلي قيمة هذا اللون من تتابع المفردات و يذكر أمثلة له في كتابه "تأويل مشكل القرآن"[٥٦]. و من بعد يشير الثعالبي إلي الإتباع في كتابه "فقه اللغة" ؛ فيأتي ذلك في سياق يماثل

---

٥٤ و قد ذكر في (رمش) أن الجذر "ليس من محض اللغة , و لا ممّا جاء في صــحيح أشعارهم. علي أنهم يقولون : الرَّمَش : تَفَتّل في الأشفار و حمرة في الجفون. و ربما قالوا: رَمَشه بالحجر :رماه. و ذكر عن الشيباني : رمشت الغنم ترمش : إذا رعت يسيرا. و يقال: الرّمَش : بياض يكون في أظفار الأحداث. و حكي اللحياني : أرض رمشاء : جدبة". و لعل ابن فارس يقصد أن الجذر يشيع استعمال المشتقات منه في كلام العامة. و لم أجد الوسيط يذكر (الرِّمش) الذي هو واحد أهداب العين. و هو مســتعمل في الكلام الدارج. وكذا جمعه (رُمُوش). و كأن العامة أخذوا هذا الاسم من الفعل ؛ فأطلقوه علي ما به يحدث تفتّل العين , أو ما يتصل بالجفون , التي تحمرّ , أو تمرض. ذكر الوسيط أفعالا تدل علي احمرار العين أو تفتل أهدابها مع ماء يسيل , أو ضعفها , أو الرمي بالحجر .

٥٥ الصاحبي ٢٦٣.

٥٦ انظره : ٢٣٦, ٢٣٧.

صنيع ابن فارس من قبل , و هو الإشارة إلي إحدى سنن العربية , أو خصائصها. و قد ذكر بعض أمثلة يسيرة له[٥٧].

و تذبذب موقف *"صِحَاح"* الجوهري من هذه الكلمات أيضا. فهو قد كان يذكر بعضها في تراكيبها , و يدع ذلك أحيانا, مع ذكره مواد هذه الكلمات و معانيها. و أحيانا أخري كان لا يذكر مواد الكلمات. فإما أن يكون من وراء ذلك عدم صحة صوغ كلمات من هذه المواد المتروكة - و قد كان يشترط الصحة فيما يدون في معجمه – و إمّا أن تكون هذه الكلمات غير فصيحة. و ربما كانت غرابتها سببا في النظر إليها علي أنها كذلك. يبقي احتمال أخير لعدم ذكر هذه الكلمات , وهو طلب التخفف.

فممّا سجّله : حارٌّ يارٌّ (و حرّان يَرَّان) – حَوْثًا بَوْثًا , و حَوْثَ بَوْثَ, و حَيْثَ بَيْثَ , و حَاثِ بَاثِ[٥٨] : إذا فرَّقهم و بدَّدهم – رجل لَبٌّ, ورجل لَبٌّ طَبٌّ : أي :لازم للأمر – خَبيثٌ نَبِيثٌ – رجل خَبٌّ ضَبٌّ : جُرْبُزٌ مراوغ. و ذكر أن الخَبَّ و الخِبّ : الرجل الخدَّاع الجُرْبُز – النّفْريت : إتباع للعِفرِيت و توكيد.

و قد رجع السيوطي إلي ***"الصحاح"*** فذكر ما وقف عليه فيه من الإتباع. وهو : "إنه لجَوَّاس عَوَّاس : أي طَلاّب بالليل. و رجل أَخْرَس أَضرَس. إتباع له. و شيء عريض أَرِيض , إتباع له. و بعضهم يفرده. و رجل كظٌّلَظٌّ ؛ أي :عَسِر متشدِّد. و مكان بَلْقَعٌ سَلْقَعٌ, و بلاقِعُ سَلاقِع , و هي الأراضي القِفَارالتي لاشيء بها. قيل : هو سلقع إتباع لبلقع , لا يُفرَد. و قيل:هو المكان الحَزْن. و ضائع سائع.و رجل مِضْيَاع مِسْياع للمال , و مُضِيع مُسِيع. و ناقة مِسْياع مِرْيَاغ : تذهب في المرعي و ترجع بنفسها. و شَفَة بائِعَةٌ كائِعَةٌ ؛ أي: ممتلئة محمرّة من الدم. و رجل حَطِيء نَطِيء: رَذْل".[٥٩]

---

[٥٧] فقه اللغة و أسرار العربية , للثعالبي٣٣٩.

[٥٨] سنقف – فيما بعد – علي ما هو أكثر من صور التعدد لهذا التركيب في المعجمات.

[٥٩] المزهر ١/ ٤٢٤.

و تكاد هذه النماذج أن تكون مما لم نقف عليه عند ابن فارس و لا عند القالي. و ربما ذهب بنا عدم العثور علي بعض التراكيب الإتباعية في "الصحاح" , أو علي بعض مفرداتها – إلي أنها من غير الصحيح , أو من المبتذل,[٦٠] إلا أنه سرعان ما يبدو أن الأمر علي خلاف ذلك. إننا نجده يذكر تراكيب إتباعية أخري تضاف إلي هذه التي ذكرها السيوطي. ففيه: شَحِيحٌ نَحِيحٌ – قُبْحًا له وشُقْحًا. كذلك شرح بعض المفردات الإتباعية , ككلمات : خَضِر , مَضِر , القِزْح , هَتَّ , بَتَّ.

و هكذا ننتهي إلي أن المعجم ما كان يترك هذه التراكيب – في الغالب – إلا تخففا. و قد وقفت علي استدراك الصغاني بعضها عليه في "التكملة"[٦١].

و قد عُرِف ***صاحب "أساس البلاغة"*** جار الله محمود بن عمر الزمخشري – بسجعاته التي ضمَّنها معجمه [٦٢]. و هذا المعجم

---

[٦٠] لا نجد فيه – مثلا- تركيبي: حَرِب جَرِب – شَغِب جَغِب .

[٦١] فمثلا : ذكر أن الحوهري أهمل مادة (تفف). ومنها "تُفٌّ" التي هي إتباع لـ"أُفّ" كما قال. و ذكر أن الأُفّ: قلامة الظُّفر. و قال قوم: ما رفعته من الأرض من عود أو قصبة. و قال الخليل :الأُفّ : و سخ الظُّفْر. و قال الأصمعي : الأُفّ : و سَخ الأذن, و التُّفّ : وسخ الأظفار. و قيل : أفٌّ معناه: القلة.

و ذكر : رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ , ثَقِيفٌ لَقِيفٌ , ثَقْفٌ لَقْفٌ ؛ بمعني :خفيف حاذق.

و في (خيب) ذكر أن من أمثال العرب : جعل الله سعي فلان في خَيَّاب ابن هَيَّاب, و بَيَّاب ابن بَيَّاب. و الخيّاب : القِدْح الذي لا يُوري. وفي (هيب) أشار إلي إنكار الفرَّاء قولهم : هو يخِيب و يَهِيب إلا أن تكون إتباعا. و أقول : إن إنكار الفراء راجع إلي أن المضارع غير معَلّ العين , علي ما تقضي به قواعد الصرف ؛ إذ يجب أن يكون (يهاب). و تعليل الفرّاء يشهد لما يستوجبه الإتباع من ضرورة التغيير في بنية الكلمة التابعة لتتحقق المناسبة الصوتية بين التابع و متبوعه.

و ذكر أن مادة (لمهج) أهملها الجوهري. وأورد عن الفراء : لبن سَمْهَجٌ لَمْهَجٌ : إذا كان حلوا دَسِما. و في (سمهج) : لبن سَمْهَج : خُلِط بالماء. و ماء سَمْهَج :سَهْل لَيّن. و لبن سُمَاهِج عُمَاهِج. و هما اللذان ليسا بحلوين و لا آخذي طعم.

و في (خفت) ذكر التركيب الإتباعي "امرأة خَفُوت لَفوت"..فالخفوت : التي تأخذها العين ما دامت وحدَها فتقبلها, فإذا صارت بين النساء غمرنها. و في (لفت) قال إن اللَّفوت : التي عينها لا تثبت في موضع واحد. إنما همها أن تغفُل عنها فتغمِز غيرك. و فسر اللفوت بالعَسِر الخُلُق , و الناقة الضَّجور عند الحلْب ؛تلَفّت فتعَض الحالب .

[٦٢] أشار إليها المعجم الوسيط غير مرة. و يمكن أن نسوق منها ما يلي : "في صدره غُلّة و ما في لسانه بِلّة" – "و يقال : اضربوا في الأرض أميالا تجدوا بِلالا , و ما فيه بُلالة و لا عُلالة".(الأساس / بلل).

يغلب عليه الاهتمام بالمفردات المستعملة في المجالات الأدبية. و الزمخشري صاحب مقامات , كالهمذاني و الحريري. و لا تبعد تراكيب الإتباع عن أن تكون – أو يكون بعضها – مما يستعمل في هذا اللون من ألوان الأدب ؛ لما تحتوي عليه من السجع و الجناس.

و طبيعيّ أن يكون صنيع الزمخشري مع هذه التراكيب مشبها صنيع أصحاب المعاجم السابقين. علي أنه كان يذكر بعض التراكيب الإتباعية التي لا نجدها عند غيره.

و هذا الذي يختص به "الأساس" ربما كان من غير الباب لاشتراطهم أن تكون الكلمتان دائمتي التلازم. لكن ما جاء من الاختلاف في ذلك حول بعض التراكيب , يجعلنا ندخل ما اختص به الأساس ضمن تراكيب الإتباع.

فإذا ما ذهبنا إلي **معجمات المعاني** وجدنا احتفال أصحابها بالموضوع, و حرصهم علي تناول مادته. نجد ذلك في : ***الغريب المصنّف*** لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم , و ***المنتخب من غريب كلام العرب*** لكُراع النمل , عليّ بن الحسن الهُنائي , و ***الألفاظ الكتابية*** لعبد الرحمن بن عيسي الهمذاني , و أخيرا عند ابن سيده في ***المخصّص***.

أمّا أبو عبيد فقد عرض للإتباع في بعض أبواب كتابه , كتلك التي تتناول النفي , أو الإشارة إلي قلة الشيء. لكن ما يهم أنه عقد للموضوع بابا خاصا به.

و عقد كُراع بابا للإتباع في كتابه المشار إليه , و قد اتفق في كثير ممّا أورد من مادته مع ما جاء به أبو عبيد.

و اختص كراع و أبو عبيد بما يلي : ما له؟ ثُلّ و غُلَّ ؛ يدعو عليه – ما له عافطة و لا نافطة ؛ أي ما له ضائنة و لا عنز . و اتفق صاحب الصحاح مع كراع في هذا التركيب الثالث : رجل قِشْبٌ خِشْبٌ ؛ بمعني : لا خير فيه.

و قد كان الهمذاني يمُد الكتّاب و من إليهم بما يحتاجون إليه من المادة اللغوية , التي تبعد بهم عن الغريب المستهجن , و العامّيّ

المبتذل[٦٣]. و هذا يؤكد ما قلناه من أنّ تراكيب الإتباع هذه لم تكن كما تبدو لنا الآن غريبة , كأنها كانت بمنأًي عن لغة الكتابة أو الأدب.

لقد ذكر الهمذاني ثلاثة وعشرين تركيبا من تراكيب الإتباع , ذكر لبعضها أكثر من صورة[٦٤] , جاء اثنان منها في بيتين شعريّيْن , أولهما لأوس بن حجر , يقول فيه :

سَجِيحٌ نَجِيحٌ أخو ماقِط نِعَابٌ يُحَدّث بالغائب

و البيت الثاني لعمرو بن حارثة , أو الرَّقَبان الأسدي الجاهلي , جاء التركيب الإتباعي في أوله. و هو :

مَسِيخ مَلِيخٌ كلحم الحُوَار فلا أنت حُلْوٌ و لا أنت مُرّ

و نجد البيت في نوادر أبي زيد , و في الأمالي للقالي.

و قد انفرد الهمذاني بالتراكيب التالية : حَسِيب نَسِيب - شديد أدِيد – أخرس أمْرَس – شَقِيّ لَقِيّ – حَظِيٌّ بَظِيٌّ.

و إذا كان القالي قد انتفع بعلم أستاذه ابن دريد ؛ فأخذ عنه ما دوّن عن الإتباع ضمن ما أخذ من متن اللغة , أو ثروتها اللفظية ؛ فحمله إلي الأندلس , و ضمّنه كتاب الأمالي , و معجم البارع – فإنّ حصيلة الباب تنتهي إلي ابن سيده , الذي عرض له في باب خاص به في السفر الرابع عشر من معجم "المخصّص"[٦٥]. و قد بدأه بما بدأ أبو علي القالي تناوله إياه , في الأمالي ؛ إذ قال : "الإتباع علي ضربين ؛ فضرب يكون فيه الثاني بمعني الأول ؛ فيؤتي به توكيدا ؛ لأن لفظه مخالف للفظ الأول. و ضرب فيه معني الثاني غير معني الأول". و قد استقل ابن سيده ببعض تراكيب , ليست في الأمالي , و لا في المزهر , هذا عدا الصور المتعدّدة لبعض آخر , و هو ما غضضنا النظر عنه.

و هذه هي التراكيب التي اختص بها ابن سيده في "المخصص" :

---

[٦٣] الألفاظ الكتابية ١٠.

[٦٤] افتتح ذكر التراكيب بتركيب : كثير بَثِير. قال : و أثير أيضا , و بدِير أيضا. أقول : هكذا ذكرها , و أظنها: بَذِير ؛ بالذال المعجمة , علي ما رأينا.

[٦٥] ص ٢٨ – ٣٨. و قد سقطت صفحتا ٣٣،٣٢من النسخة التي رجعنا إليها.

مَلِيح صَـبِيحٌ – لا دَرَيت و لا ائتَلَيت – فلان يَحُفّنا و يَرُفّنا ؛ أي : يُعطينا و يَمِيرنا – و يقال : ذهبت تميم ؛ فلا تُسْهي و لا تُنْهَي – ثِقَةٌ نِقَة.

المعجم الوسيط و الإتباع

وقفت في الوسـيط علي حوالي ثلاثين و مائة مفردة من مفردات تراكيب الإتباع , كما جاء فيه الكثير منها , و هو ما سنسرده هنا عمّا قليل. و تناول معاني الكثير من مفردات الإتباع, دون أن يشـير إلي الباب. و كثير من هذه المفردات مشـهور كثير الاسـتعمال و التداول. و الأكثر منها ما هو علي غير تلك الحال , و لكنّه ذُكر لكونه ذا سيرورة ؛ ممّا يجعل الحاجة ماسّة إليه لربط الحاضر بالماضي. و أرجح أنّ كثرة دوران المـادّة في المعجمـات القـديمـة , و ربّمـا المسـاحة التي تشـغلها – لهما الدور الأبرز في ذكر هذا الكثير غير المشـهور الاسـتعمال و لا التداول. و لا بُدّ من ملاحظة أن المعجم الوسيط يطلعنا علي عُظْم لغة العرب كلّ العرب, لا الجذور اللغوية , أو المادة , التي تدور مفرداتها علي ألسـنة أبناء مصـر وحدَهم. هذا فضـلا علي أنّ من الصـعب ادّعاء تحقّق ذلك لمعجم لغوي , دونما مسـح شـامل لما يتلفّظ به أبناء القطر المعين , في جهاته المختلفة و نواحيه , من أقصاه إلي أقصاه.

و لكل ما سبق اشـتمل "الوسـيط" علي الكلمات غير المشـهورة الاسـتعمال, و علي مـا لا نجده إلاّ في أفواه غير المصـريين من العرب. و لا بـدّ من التنبيـه إلي أنّ بعض هـذا الغريـب , أو غير المشـهور الاسـتعمال من كلمات الإتباع و غيرها , قد نقف عليه مستعملا علي ألسنة بعض أبناء جهات أو طبقات معيّنة, داخل مصر, قد انفردت بذلك دون جمهور مفردات اللغة الشـائعة بين جموع المصـريين. و هو ما يرجّح , بل يؤكّد ضـرورة الإبقاء علي مثل هذه المفردات , و عدم الالتفات إلي قول من ذهب إلي ضـرورة إهمالها , أو التخلص منها.

ذكر المعجم الوسيط الكثير من التراكيب الإتباعية , نسردها فيما يلي:

١- قَدْح خَيّاب:لا يُورِي. و سَـــعيه في خَيّاب بن هيّاب:في خَسَار.
٢- فَقير نَقير.و تحـدث من قبـل عن كلمــة"النَّقير"فعرض لمعانيها,و التي منها الفقير المسكين.
٣- حيَّاك الله و بَيَّاك.
٤- جِيء بهذا الشيء من حَسِّك و بَسِّك:من حيث شئت.
٥- خَشَـل الرجلُ ـُ خَشْـلا:ضـعُف عند الحرب؛ فهو خَشِـل. و يقال: رجلٌ خَشِلٌ فَشِلٌ؛ علي الإتباع.
٦- ذهب دمُه خِضْراً مِضْراً : هَدَرًا. و أخذه خِضْرًا مِضْرًا : هنيئا مريئا.
٧- يقـال : فَرَس خَظٍ بَظٍ , و امرأة خَظِيَـةٌ بَظِيَـةٌ ؛ و ذلك في التعبير عن الضخامة و الامتلاء.
٨- الضـلال ابن التلال , في المبالغة في في الضـلال (إتباع). يقال : جاء بالضلالة و التلالة (إتباع).
٩- سَمِيجٌ لَمِيج (إتباع) : قبيح.
١٠- ما ذقت شَــمَاجا و لا لَمَاجًا : شــيئا. رجل لَمِج : ذوَّاق للطعام و الشراب. و يقال : سَمِج لَمِج.
١١- قلّما يفرد السّــدَم عن الندم ؛ فيقال : هو ســادِم نادم , و سَدْمان ندمان , و سَدِمٌ نَدِم.
١٢- لاطَ الله فلانا : لعنه ؛ و منه شــيطان ليْطان. و قيل : هو إتباع.
١٣- طعام ســائغ لائغ (إتباع): يسُــوغ في الحلق. و ذكر بعدئذٍ: طعام سيِّغٌ لَيِّغ (إتباع): يسوغ في الحلق.
١٤- وقع القوم في حاصِ باصِ : في ضِــيق و شــدّة. و قع القوم في حَيْصَ بَيْصَ , و حَيْصِ بَيْصِ :في ضِـيق و شـدّة. و يقال: وقع القوم في حِيصَ بِيصَ: في ضيق و شدة.

١٥- كلّمه ؛ فما ردّ عليه حَوْجاءَ و لا لَوْجاءَ :ما ردّ عليه كلمة قبيحة و لا حسَـــنة. و يقال : ما في صـــدري حوجاء و لا لوجاء.
١٦- رجل خَبٌّ ضَبٌّ :مراوغ خدَّاع.
١٧- البَجِير : المال الكثير.و يقال : كثير بَجِير , إتباع.
١٨- و يقال : فلان كَزٌّ لَزٌّ : بخيل. إتباع.
١٩- ساع الشيءُ ـُ سَوْعًا : ضاع , و – هلَك. يقال :ضائع سائع. و الذي في الأمالي : مُضيع مُسِيع.
٢٠- فلان فَدْمٌ لَدْمٌ : أحمق.
٢١- اليَباب :الخراب, و– الخالي, لا شيء فيه. يقال:أرض يَبَاب, و دارهم خراب يباب.و حوض يَبَاب :لا ماء فيه.
٢٢- هذا شيء سَهْدٌ مَهْدٌ (علي الإتباع) أي حسَن.
٢٣- و يقال : كثير بَجِير (إتباع).
٢٤- و يقال : شديد أَدِيد ؛ علي الإتباع.
٢٥- يقال : إنه لَعَوِزٌ لَوِزٌ (علي الإتباع).

و ممّا وجدت في الوسيط ِممّا لم يذكره المهتمون بالموضوع :
٢٦- يقال : ذهب القوم ُشَذَرَ ً مَذَرَ : متفرقين.(و مَذَرَ هنا إتباع).
٢٧- التَّلْب : الخَسَار. يقال : تَبًّا له و تَلْبًا (إتباع).

و ممّا ذكره , و لم يشر إلي أنه إتباع :
٢٨- و يقال : ما به حَبْضٌ و لا نَبْضٌ : ما به حِرَاك.
٢٩- و يقال : ما له حَمٌّ و لا رَمٌّ : لا قليل و لا كثير , و ما لك عن ذلك حَمٌّ و لا رَمٌّ : بُدٌّ , و ما له حَمٌّ و لا سَمٌّ غيرك : ما له همٌّ غيرك.
٣٠- و يقال : ما له سَبَدٌ و لا لَبَدٌ : ما له قليل و لا كثير.
٣١- أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ :لطيفة حسنة.

٣٢- و يقال : افعل ذلك سَهْوًا رَهْوًا : عفوا.

ابتدأنا الحديث بإيراد ما جاء في "الوسيط" من تراكيب الإتباع صراحة , بل معقّبا عليه – غالبًا – أنه كذلك. لكن هذا لا يعني أن غير ذلك من مفردات هذه التراكيب ليست ضمن ما احتوي عليه المعجم. ذلك أنه ذكر الكثير من هذه المفردات, أو موادّها , و بعض المشتقات منها. و قد ضرب الذكر صفحا عمّا كان غريبا منها , أو مغرقا في ذلك , ممّا لم تهتم به المعجمات القديمة ؛ لقلة تداوله , و عدم جرْيه علي ألسنة المتكلمين. و يبدو ذلك جليًّا عندما لا نجد مادة لغوية ذات قيمة, في هذه المعجمات عند عرضها للكلمات , أو الموادّ اللغوية , ذات الصلة بالتراكيب الإتباعية , التي أهملها "الوسيط".

الكلمات الإتباعية التي لم ترد في "الوسيط"

لم ترد في "الوسيط" الكلمات التالية:

- أَثْوَان , من قولهم للحزين :أسوان أثْوان.
- بِلْغ , من قولهم : أحمق بِلْغٌ مِلْغٌ ؛ أي : أحمق بالغ في حمقه , أو بالغ ما يريد مع حمقه. (اللسان/ملغ).
- سِبَحْلٌ , من وصفهم الشخص ذا الشأن بأنه سِبَحْل رِبَحْل.
- سِمَلَّع , من وصفهم الذئب بأنه سِمَلّعٌ هِمَلَّع.
- شَوِيٌّ , و شَيٌّ , من قولهم للضعيف : عَيِيٌّ شَوِيٌّ, و عَيٌّ شَيٌّ.
- لَكِس ,من قولهم لسيّء الأخلاق ,غيرمحمود العِشرة : شَكِسٌ لَكِس.
- نِفْريت , من قولهم : هو عَفريت نِفْريت.

كان السيوطي قد ذكر أن قولهم " أسْوانُ أتْوان " , يراد به الحزين المتردّد , الذي يذهب و يجيء من شدة الحزن[٦٦].

و ذِكْر الوسيط أن أَتْو الشجر يعني طلوع ثمره , وأن الأتْو يعني العطاء و الطريقة - يتفق مع ما ذكره صاحب المقاييس من أنّ هذا الجذر يعني مجيء الشيء , و إصحابه ,و طاعته. و ذكر بعدئذ أن الأتو : الاستقامة في السيْر.

ولم ترد في اللسان صيغة "أَتْوان"؛ فلا غرو ألاّ يذكرها الوسيط , و بخاصة أنها قياسية.ثم إن " الأَتْو" لغة في "الأتي" علي ما جاء في اللسان. ذكر أنه جاء في قول خالد بن زهير:

يا قوم ما لي و أبا ذؤيب؟... كنت إذا أتوْتُه من غيْب
يشُمّ عِطْفي و يبُزُّ ثـوْبي ... كأنّني أَرَبْتُه بـــرَيب

و الوسيط يتخفف من ذكر الصيغ القياسية , أو هو – علي الأقل – يتخفف من استقصائها.

و كون "الأَتْو" يعني الطريقة ,كما اقتصر عليه في الوسيط – يندرج تحته معني التحيّر و التردّد , الذي هو طريقة أو سلوك الحزين الأَسْوان.[٦٧]

و بمراجعة "اللسان" نجد أن صيغة "بِلْغ"- بكسر الباء – أو بفتحها علي الأصل – مساوية في المعني لاسم الفاعل "بالغ". فهي صفة مشبهة. قال ابن منظور : " و أمر بالغ ,و بَلْغٌ :نافذ , يبلغ أين أريد به. قال الحارث بن حِلِّزة :

فهداهم بالأسْوَدَيْن و أمر الـ ـله بَلْغٌ يشقَي به الأشقياء

و جيْش بَلْغ كذلك. و يقال :اللهم سَمْعٌ لا بَلْغٌ , و سِمْعٌ لا بِلْغٌ. و قد ينصب كل ذلك... و ذلك إذا سمعت أمرا منكرا ؛ أي يُسمَع به , و لا

---

[٦٦] المزهر ٤١٦/١ , و في أمالي القالي ٢ / ٢٠٩ أنه يقال : رجل أسْيان.و كما سنري أن الكلمة التابعة يمكن أن تكون ذات أصلين , فكذلك المتبَعة (أوالأولي) ؛ إذ يتحقق لها الأمر نفسه؛ فهي يمكن أن تكون من (أسو). و أَسَوْت الجُرْح إذا داويته ؛ و لذلك يسمي الطبيب الآسي. و يمكن أن تكون من أَسِيَ ؛ بمعني حزِن. يقال : أَسِيت علي الشيء آسَي أَسَي؛ أي : حزِنت عليه.(المقاييس / أسو – أسِي) علي أن الأقرب كونها من الثاني.

[٦٧] و اللسان / أتو. و ذكر أن الأتو : المرض الشديد , أو كسر يد أو رجل , أو موت , و أن الرجل الأَتِيّ و الأَتَاوِيّ : الغريب.و أَتْي يدي الناقة و أَتْوُها: رجع يديها في سيرها. و المعنيان الأخيران أقرب إلي معني التردد والحيرة المذكور قديما في بيان معني الكلمة.

يبلُغ...و أحمق بَلْغ ,و بِلْغ... و أتبعوا فقالوا :بِلْغٌ مِلْغٌ". ثم ذكر من بعد أن البَلْغ و البِلْغ : البليغ من الرجال , و أنه الحسن الكلام الفصيحه البالغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه.

فإذا وصف الأحمق بإحدي الصيغتين , كان معني التركيب الإتباعي كما جاء عنهم قديما.

علي أن الصيغتين ليستا من الشيوع بمكان. و هو ما جعل الوسيط لايذكرهما.

ذكر صاحب الأمالي (٢١٨/٢) أنّ امرأة من العرب نعتت ابنتها فقالت: سِبَحْلَة رِبَحْلَة ...تَنْمي بنات النخلة. و سُئلت ابنة الخُسّ: أيّ الإبل خير؟ فقالت:السِّبَحْل الرِّبَحْل , الراحلة الفحْل. و قال عبد المطّلب لسيف بن ذي يزن: و ملِكا ربَحْلا ...يعطي عطاء جَزْلا. و ذكر أن المرأة أرادت أن ابنتها عظيمة , جيّدة الخَلْق في طول. و الكلمة تعني : الضخم. و هو معني الرِّبَحْل أيضا. فالمراد: أفضل الإبل ما كان ضخما. و أراد عبد المطلب وصف ابن ذي يزن بأنه ملك عظيم.[٦٨]

علي أن الكلمة غريبة الآن. و هي أيضا من صفات الإبل أو الحيوان , التي عمل الوسيط علي أن يتجنب الكثير منها , بخاصة ما استعمله القدماء وحدهم.[٦٩] علي أنه ذكر (سَبْحَل) فعلا منحوتا من قولنا : سُبحان الله. و هو الأقرب إلي أن يكون مستخدما لدي بعض الكتاب و المثقفين , و إن كنت أحسب أنه ليس من الشيوع و كثرة الاستعمال بمكان.

كذا لم يذكر الوسيط كلمة "سَمَلَّع" من تركيب "سَمَلَّع هَمَلّع" وصفا للذئب , علي ما ذكره أبو علي القالي(الأمالي ٢١٨/٢).

و يمكن القول إن في الكلمة (السّمَلّع) دلالة علي البلاغة والنجاعة و التأثير. و هي جميعا من معاني "السَّمْع" التي سردها "اللسان".(سمع/٢٠٩٦/٣). كذلك تقفنا مراجعة المادة علي أن "السِّمْع: سبُع مركب. و هو ولد الذئب من الضبع" , و علي أن هذا البناء زِيد فيه , و غُيّرت بعض حركاته ؛ ليصير إلي بناء"السّمَعْمَع"

---

[٦٨] اللسان /سبحل ,ربحل.

[٦٩] المعجم الوسيط ١ / ٩ ,١٢.

بمعني : الصـغير الرأس و الجثّة الداهية , أو الخفيف اللّحم السـريع العمل , الخبيث اللّبِق , طال أو قَصُـر. قال: و هو في وصـف الذئب أشهر.

و أورد في "سـمَلّع": "الهَمَلَّع السَّـمَلّع : الذئب الخفيف". و قد اقتصـر المعجم الوسـيط علي ذكر كلمة "الهَمَلّع". و أورد لها معاني ثلاثة ,هي: مَن لا وفاء له , الخَدّاع الخبيث , الخفيف السـريع. و ذكر أنه يقال: ذئب همَلّع , و سَيْر هَمَلَّع.

و لعلنا نسـتطيع أن نقول : إن كلمة "سـمَلَّع"من الغرابة ؛ بحيث تسـبق في ذلك كلمتي "سَـمَعْمَع – هَمَلَّع". و لم يذكر اللسـان شـيئا حولها سوي ما أوردناه. و الر اجح أن يكون ذلك هو ما حدا بالوسيط أن لا يذكرها. و قد يؤكد ذلك ذكره كلمة " السّـمَلَّج"بمعني : اللبن الدسـم الطيب الطعم. كذا ذكر "الهَمَلّس"بمعني : القوي. و قال : إنه كالعَمَلّس. و يجمع هذه الكلمات مع "سَمَلَّع"وزن "فَعَلَّل".

ذكر السـيوطي أنهم يقولون : عَيِيٌّ شَـوِيٌّ. و جاء في الأمالي: "عَيِيٌّ شَـيِيٌّ.و شَـيِيٌّ : أصـله : شَـوِيٌّ. و لكنه أجري علي لفظ الأول ليكون مثله في البناء".[٧٠]

و واضـح أنهم يصـفون بالتركيب الضـعيف بعامة , أو الضـعيف عن الإبانة.

جاء في اللسـان (شـوا) :" جاء بالعِيِّ و الشِّـيِّ. إتباع. و الشِّـيُّ مدغمة في يائها". و ذكر تعليل ابن سـيده ذلك بأنهم يقولون : شَـوِيٌّ و عَيِيٌّ , و شَوِيٌّ و شَيِيٌّ ؛ علي المعاقبة , كما يقولون :ما أعْياه و أشْواه ,و أشياه!

و كلمة "عَيِيّ" لا تسـتغرَب لدي الأدباء و الكتاب , مثلما يحدث ذلك لكلمة "شَـوِيّ" المأخوذة من "الشَّـوَي" بمعني :الهيّن من الأمر. و قد جاء في حديث مجاهد – في اللسـان - :"كل ما أصـاب الصـائم شَوًي إلا الغيبة و الكذب ؛ فهي له كالمقتل". و فيه أيضـا أنها قد تكون الكلمة بمعني البقيّة من الشـيء. يقال :أَشْوَي من الشـيء: أَبْقَي. و الاسـم : الشَّـوَي. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم , في

---

[٧٠] الأمالي ٢٠٩/٢, و اللسان / شوا. و ذكر أنه يقال :هو عَوِيٌّ شَوِيٌّ.

الآية ١٦من سـورة "المعارج" في سـياق الحديث عن نار الآخرة ؛ حيث يقول الله – تعالي - :" نَزَّاعةً للشَّوَي".

و قد تكون "الشَّـوَي"جمعا للشّـواة. وهي جلدة الرأس أو اليدان و الرجلان , أو هما مع الرأس من الآدميّين. و هي تعني أيضا كل ما ليس مقتلا.[٧١] فكأن هذا العَدِيَّ ممّن لايلتفت لهم , أو كأنه بقية إنسان!

و لعل الوسـيط لم يلتفت إلي هذا المعني ؛ لأنه غير معروف في الاسـتعمال. لكنه ذكر لكلمة "الشَّـوِيّ" المعني الذي قد يتبادر إلي الذهن , و هو دلالتها علي الشِّواء , أو المشوي من المطعومات. علي أن الكلمة تبقي غير شائعة الاستعمال , فيما أري.

و ليسـت "لكس" مادة لغوية , أو جذرا. لكنه – علي الراجح – تحول ببناء : "لكث" أو "لكز"[٧٢]إلي هذا البناء.

جاء في الوسيط : "لَكَزَه ـُ لَكْزًا : ضربه بجُمْع كفه في صدره". و ذكر المعني نفسه للفعل "لَكَشَه يلكُشُه لَكْشًا". و هذا الفعل الأخير شائع الاستعمال عامّيّا.

و أشار اللسان إلي أن ثعلبا حكي قولهم :"إنه لشَكِسٌ لَكِس" مع أشـياء إتباعية. ثم ذكر عدم قطع ابن سـيده بكون "لكِس"لفظة علي حدتها. فهي ربما تكون قد صـيغت لتكون إتباعا ؛ أي تقوية للكلمة السابقة عليها ؛ بموازنتها إياها, و مماثلتها لها في الحرف الأخير.

ذكر صاحب المزهر أنه يقال : عِفْريت نِفْريت , و عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَة. وفي " الصِّـحاح" أنّ " النِّفْرِيت: إتباع للعفريت و توكيد". و أضاف صاحب اللسان :"رجل عِفْرٌ نِفْر... و عُفَارِيَة نُفارِية : إذا كان خبيثا ماردا. قال ابن سـيدة :و رجل عِفْريتة نِفْريتة ؛ فجاء بالهاء فيهما. و النِّفْريت إتباع للعفريت و توكيد".[٧٣]

هذا التركيب يصـف العفريت , أو الرجل الخبيث – أو فلنقل الفائق القدرة – بما يصـور ما اسـتقر في نفس المتكلم , أو بما يعبر

---

[٧١] اللسان / شوا , و أساس البلاغة/ شوي.

[٧٢] وسبقت الإشارة إلي ذلك و نحن نعرض للإتباع في "العين".

[٧٣] المزهر ١/ ٤١٨,و الأمالي ٢١٧/٢, و الصحاح , و اللسان /نفر.

عن انبهاره بما رأي من ممارســـات هذا الموصـــوف. و العفريت , أو الرجل المُشْـبِهه , كلاهما منبعث نحو الشـرّ – أو الهدف – سـالك السـبيل إليه , مهما يكن من شـــيء! و ذلك يفهم من دلالة الفعل "نفر"المأخوذة منه الصفات المذكورة.[٧٤]

علي أن الوسـيط لم يذكر أيًّا من الصـيغ التي أوردناها – فيما نحسـب – لكونها غير شـائعة الاسـتعمال , بل ربما كانت مهجورة. و قديما لم ترد كلمتا "نِفريت" و لا "نِفْرِيَة" في "العين".[٧٥]

جذور كلمات الإتباع التي لم ترد في الوسيط

لم ترد في الوســـيط بعض الجـذور اللغويـة (أو المواد) التي أخذت بعض كلمات الإتباع منها ؛ فلا نجد فيه : بأل – بَيْذَر – جغب – ديق – قحد – نطش – يرر.

و من هذه الموادّ جاءت إحدي كلمات التراكيب الإتباعية التالية: ضَئيلٌ بَئِيل ؛ وصفا للصغير الضعيف. و قيل : تقال للقبيح, كما جاء عن أبي عمرو في اللسـان – هَيْذارَةٌ بَيْذارة ؛ للكثير الكلام, أو الهذر. و يقولون أيضا :هَذِرٌ مَذِر[٧٦]– شَغِبٌ جَغِب – حشل رَذْل. و قد يقال : هو نَذْل رَذْل , كما في المزهر[٧٧] – مائق دائق؛ وصـــفا لضـــعيف الاحتمال , أو الهالك حُمقًا , كما في الأمالي [٧٨]– وَتِحٌ شَـــقِنٌ؛ لمن لا خير فيه – وَحِيد قَحِيد , أو واحد قاحِد ؛ للمتفرّد, غير ذي النظير –

---

[٧٤] ذكر صاحب الأمالي (٢١٨/٢) أنه قد يراد بالنفريت أنه شديد النفور , أو أنه شديد التنفير لغيره.

[٧٥] و قد سبق الوقوف علي ذكر الصحاح"عفريت". و لا بد من القول إن العين جاء فيه: "أسد عِفِرْناة :شديد قوي , و لَبُؤَة عِفِرْناة".

[٧٦] العين /مذر .و في الأمالي ٢١٢/٢: المَذِر : الفاسد. مأخوذ من قولهم :مَذِرت تَمْذُر مَذَرًا, إذا فسدت.

[٧٧] المزهر ١/ ٤٢١. و ذكر أنه قد يقال : هو نَذْل رَذْل. و في العين /فشل٣ / ٣٢٣: "و إنه لَخَشْل فَشْل. و الفَشْل : الجبان , المرعوب , يَبهَت عند الرَّوْع , لا يحسن قتالا و لا شِرادًا؛ أي :هربا".

[٧٨] و وردت الكلمة الثانية بالنون أيضا ؛ إذ في الأمالي: " فأمّا الدانق ؛ بالنون , فالساقط المهزول من الرجال". و هو ما يؤكد المعني الأول الذي أوردناه للتركيب الإتباعي.

عطشـان نطشـان ؛ لمن اشـتد به العطش[٧٩] – حارٌّ بارٌّ , و حرَّان يَرَّان.[٨٠]

و غرابة الكلمات ترتبط كثيرا بقلة دوران الجذر في اللغة , أو ضـعف وجود الكثير من المشـتقات منه , أو قلة اسـتعمالها . و هذا منطبق علي كل الجذور التي معنا تقريبًا.

إنّ بنـاء "بَيْذر" مزيد "بَذَر". و هذا الثـاني مسـتخدم شـائع متصـرف فيه. و الزيادة عليه لابد أنها للزيادة في إيضـاح المعني , كما نعرف. و قد اقتصر في اللسان علي إيراد كلمة "بَيْذارَة" متبَعة لـ "هَيْذارة" فقط. و جاء ذلك في مادة "بذر". قال : " و رجل هُذَرَةٌ بُذَرَة , و هَيْذارة بَيْذارة: كثير الكلام".[٨١]

و كما لم يذكر الوسـيط "بَيْذارة" فإنه لم يذكر أيضـا "المَذِر" متبَعةً للـ"هَذِر" , بل ذكرها في تركيب إتباعي آخر , لعله يستعمل في الكتـابات الأدبيـة الراقيـة الآن. و هذا التركيب هو الذي في مثل قولهم : ذهب القوم شَـذَرَمَذَرَ :متفرقين. و أشـار إلي أن الكلمة هنا إتباع. و ذكر الوسـيط الفعل , و هو :مَذِر ؛ بمعني : فسَـد. و علي كلٍّ فكلتا الصيغتين ترجع إلي الجذر نفسه ؛ لتستمد منه أصل دلالتها , ثم تنفرد كلتاهما بما يجعلها تختص بمصـاحبة أو أكثر دون أختها. و من الجذر السابق الذكر كان الفعل "مَذّر" الشيءَ : فرّقه

و ضـعف اسـتخدام بقية المواد في الكلام ؛ بما يشـهد لغرابتها – يبينه ما ننقله هنا عن المعجمات , و بخاصة اللسان.

- جغب :

ا – اقتصر صاحب " العين" في تناولها علي ذكر ما يلي:"رجل جَغِبٌ متجَغّب ؛ أي : شَغب متشغّب".

ب – ليست المادة في"صحاح" الجوهري.

---

[٧٩] في المزهر ١ /٤١٧:ما به نَطِيش , أي حركة (و هو هنا ينقل عن ابن دريد).و قد نقل التركيب عن الأمالي للقالي في الصفحة السابقة. و في الأمالي ٢/ ٢٠٩أن معني نَطشان: عطشان قلق.

[٨٠] و قد سبق تناول هذا.

[٨١] لم ترد (بيذر)في العين و لا المقاييس.

ج - اقتصـــر اللســـان في مادة "جغب" علي ذكر الآتي : "رجل شَـــغِب جَغِب: إتباع , لا يتكلّم به مفردا. وفي التهذيب: رجل جَغِبٌ شَغِب".

- دوق , ديق :

ا – لم ترد المادتان في العين.

ب – ذكر صـاحب اللسـان (ديق) أن الدائق : الهالك حُمقا. قال: "يقال :هو أحمق مائق دائق. و قد ماق و داق, يَمُوق و يَدُوق مَوَاقَةً و دَوَاقةً, و دَوْقًا , و مُؤوقا و دَؤوقا. و رجل مُدَوَّق :مُحَمّق...و مال دَوْقَي و رَوْبي أي :هَزْلي".

- شقن :

ا – لم ترد المادة في العين.

ب – قال صـاحب المقاييس : " يقولون : إن الشَّـقِن : القليل من العطاء. تقول : شَقَنْت العطيَّةَ : إذا قلَّلتَها".

ج – سـوّي اللســان بين الشَّــقْن و الوَتْح ؛ فقال (شــقن) [٨٢] : "الشِّــقْن : القليل , الوَتْح من كل شــيء". و ذكر أن القليل يوصــف أيضــا بالشّــقِن و الشَّــقِين. و ذكر الفعل : "شَــقُن شُــقُونة , و أَشْــقَن الرجلُ:قلّ مالُه". قال : و قليل شَقْن : إتباع له, مثل وَتْح وَعْر.

و تصـدير ابن فارس كلامه السـابق بقوله "يقولون" ربما يشـعر بتشـكّكه في صـحة البناء , أو يشـعر بضـعف ذيوعه , و اسـتخدام مفردات منه , و دورانها علي الألسنة.

و تناول اللســان يشــعر بذلك ؛ فليس ثمّة اســتفاضــة في عرض المادة , و الاستشهاد علي مفرداتها.

قحد :

يدور ما ذكره صاحب اللسان عن المادة حول ما يلي :

١ – أنّ القَحَدة , و جمعها القِحاد – هي أصل السَّنام , أو ما بين المَأْنَتيْن[٨٣] من شــحمه , أو هي السَّــنام. و ذكر الفعل : قَحَدَت الناقة,

---

[٨٢] و الأمالي ٢١٣/٢. و في العين/ وتح: الوتح :القليل من كل شيء.

[٨٣] يورد اللسان اختلافات في تحديد المراد بها. و مما ذكر أنها شحمة قص الصدر. و في الوسيط أن المَأْن: ما رقّ من طرف الكبد , و أن المَأْنة :السّرّة و ما حولها من البطن. ج:مَأْنات و مُؤُون. (مأن في اللسان و الوسيط).

و أَقْحَدت : صـــارت مِقْحادًا , بأن تكون لها قَحَدَة مع هزالها, أو أن تعظُم.

٢ – أنّ كلمة (قَحَدة) تسكن حاؤها , كما يفعل بعشَرة , و فَخِذ.[٨٤]

٣ – روايتـه عن ابن الأعرابي أن "المَحْقِد" – و هو أصـــل السَّـنام – جاء فيها إبدال الفاءو التاء و الكاف مكان القاف. و لم يذكر بعضـــهم الكلمة بالقاف. و روي اســتعمال بعضـــهم كلمة "فاحد" – بـالفاء- بدلا من كلمـة "القَحَّـاد" – بـالقـاف – بمعني : الرجل الفرد , الذي لا أخ له ولا ولد. علي أن الأزهري ردّ هذا , وصـحّح استعمال الكلمة الثانية.

٤ – ذكر بعدئذٍ أنّ بني قُحَـادَة بطن (أي من بطون العرب) , و أنّ القُمَحْـدُوَة – بزيـادة الميم – هي مـا خلف الرأس , و الجمع : قَمَاحِد.

إذن المادة ليســت كثيرة التصـــرف , أو الاســتعمال في كلام العرب. غلب عليها اســتعمالها في مجال الحيوان (الإبل). و قد رأينا الاختلاف فيما جاء عن الرواة في بعض مفرداتها.

---

[٨٤] لم يذكر ابن فارس في المقاييس غير كلمتي (القَحَدَة – المِقْحاد). و كان ذكر أن القاف و الحاء و الدال كلمة واحدة هي القَحَدة. و قارن بالعين.

دراسة أصول كلمات الإتباع و مدي شيوعـــهـــا

يمكننا تقســيم مادة البحث اللغوية إلي ثلاثة أقســام , بملاحظة مدي كونها أدبية , يســتعملها كتابنا و أدباؤنا , أو يرجح أن تكون كذلك ؛ فتكون امتدادا لما احتواه الشعر القديم منها , أو مما جاء من موادها اللغوية.[٨٥]

نستطيع أن نقسم المادة اللغوية التي هي موضع الدراسة إلي أقســام ثلاثة ؛ حســب مدي شــيوع مفرداتها علي الألســنة , و استخدامها في الكتابة :

(ا) مجموعة غير غريبة المفردات , و لا التتابع , تتســم بأن اســتعمال معظمها ممّا يربط بين اللغة الأدبية التراثية , و لغة الكتابة الراقية أو الأدب المستعملة الآن.

يصدق ذلك علي ما يلي:ثَقِفٌ لَقِفٌ – جديد قَشِيب - حَرِبٌ جَرِب – حَيْصَ بَيْصَ - خراب يَباب – امرأة خَفوتٌ لَفُوت – رجل خَلاّجةٌ وَلاَّجة – خالد تالِد - ساغب لاغِب - شَذَرَ مَذَرَ – شائع ذائع - مُجَرّب مدَرَّب (و مُذَرَّب) – ما له عال و لا مال – وسِيمٌ قَسِيم – هَشٌّ بَشٌّ - هنيئا مريئا – هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ -هَيّن لَيّن.

و يظل بعض هذه التراكيب , أو بعض مفرداتها , غريبا , لكنه أقل من أن يكون بالغ الغرابة , أو مهجورًا.

و هذه التراكيب بين أن يكون جزآها متقاربي المعنـــي أو متطابقيه , و يمكن أن يُفرَدا - و أن يكونا شديدي الارتباط ببعضهما ؛ بحيث لا يكتمل المعني بغير أن يُتلفّظ بالجزء الثاني؛ و ذلك لاعتياد الســامع لذلك , بعد أن كانا كلمتين منفصــلتين , لكلٍّ دلالتها. علي أنّ التلاؤم بين معني كلتا الكلمتين أفضــي بهما إلي هذا الارتباط الشـديد الذي جعل لهما دلالة واحدة , لا يكاد يعرف أصـلها الذي أشـرت إليه

---

[٨٥] و قد وقفت في "المفضّليّات" علي ثلاثة و ثلاثين موضعا , استعملت فيه كلمات إتباعية , أو مفردات مأخوذة من موادها اللغوية , كما وقفت علي استعمالات لبعض هذه الكلمات في "الأصمعيات".و سأورد أمثلة لذلك فيما يلي.

إلا المدقّقون. و هذا الأمر – و إن كان شـــركة بين كل تراكيب الإتباع , تقريبا – هو من الوضـــوح بمكان في التركيبين : حَيْص بَيْص – شَـــذَرَ مَذَرَ.[٨٦] و يمكن أن نضـــمّ إليهما "هنِيئًا مَرِيئًا" , و كذلك "هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ".

و "ثَقِفٌ لَقِفٌ" يعني أنّ الموصوف به سريع الفهم جيّد الإدراك للحقائق. و في اللســـان : "ثَقِف الشـــيءَ ثَقْفًا و ثِقَافًا و ثُقُوفة : حذَقه. و رجل ثَقْفٌ , و ثَقِفٌ, و ثَقُفٌ : حاذق فَهِم. و أتبعوه ؛ فقالوا:ثَقْفٌ لَقْف. و قال أبو زياد : رجل ثقْف لَقْف: رامٍ راوٍ... و ثَقِفته : إذا ظَفِرت به. قال الله تعالي: "فإمّا تَثْقَفَنّهم في الحرب"[٨٧]. و ثَقُف الرجلُ ثقافةً أي صار حاذقًا خفيفا ... و ثَقِف أيضا ثَقَفًا... أي صـــار حاذقا فَطِنا ؛ فهو ثَقِفٌ ,و ثَقُفٌ... و هو غلام لَقِنٌ ثَقِف ؛ أي : ذو فِطْنة و ذكاء. و المراد أنه ثابت المعرفة بما يُحتاج إليه"[٨٨]. و الأصـــل أن تدل المادة علي الإمســـاك بالشـــيء. و قد مرّت بنا الآية المســـتعمل فيها الفعل دالاً علي هذا المعني. إذن فالموصـــوف بهذا التركيب في غاية الحِذق؛ ولذا هو "ثَقِف" , أو "ثَقْف" ؛ بالإســـكان تخفيفًا. و هذه صيغة مبالغة تناسب التعبير عن المعني المراد , و إن كان المرجح عدم اســـتعمال صـــيغة اســـم الفاعل من الفعل , أو عدم شـــيوع ذلك , علي الأقلّ. و أضـــيف إلي الصـــيغة نفســـها من الفعل "لَقَف" ؛ بمعني : التقط الشـــيء ؛ فلم يُفلِته. و قد جاء التابع ليؤكد فطنة هذا الموصـــوف بالتركيب من ناحية أخري غير التي أشـــارت إليها الكلمة الأولي. فهذه تعني شـدة الإمســاك بالشـيء , و الثانية

---

[٨٦] أشار ابن دريد في الجمهرة إلي أن "شَذَر مَذَرَ" مما لا تفرد كلمتاه. و ذكر أنّ تركيب "خَلاّجة وَلاّجة" كذلك أيضا.و هو عند ابن فارس : خَرَّاجة وَلاّجة. (الإتباع ٨٥). و ربما كان من غير الإتباع عنده.

[٨٧] ٥٧ / الأنفال.

[٨٨] اللسان / ثقف , و في "لقف" قال : "و رجل ثَقِف لَقِف , و ثَقْف لَقْف ؛ أي : خفيف حاذق. و قيل : سريع الفهم لما يُرمي إليه من كلام باللسان , و سريع الأخذ لما يرمي إليه باليد. و قيل :هو إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. و قيل : هو الحاذق بصناعته".

تعني المهارة في الالتقاط له[٨٩] ؛ و هو ما تتطلبه القدرة علي الإمساك به أيضا.

و التركيب "جديد قَشِيب" غير غريب علي استعمال الأدباء و الكتاب.

و "جديد" من الجُدّ والجُدّة. و الأولي تعني : جانب الشـــيء, و شاطئ النهر. و تدل الثانية علي هذا المعني أيضا. كما تدل علي جزء الشيء يخالف لونه لون سائره. و منه جُدّة السماء , و جُدّة الجبل , و هي : الطرائق المختلفة فيه[٩٠]. و أري أنّ التعدّد و التتابع في هذا المعني , سُـــمّي به كل ما يُرَي للمرّة الأولي. و هو ما ينطبق علي كلمة "قَشِيب" أيضا ؛ إذ هي تعني الخلط.

في الصحاح : "القَشْب : الخَلْط. و أنشد الأصمعي للنابغة :

فَبِتّ كـأنّ العائدات فرشنني[٩١] هَراسًا به يُعْلَي فراشي و يُقشَب

و نَسْر قشيب : إذا خُلِط له في لحم يأكله سَمٌّ , فإذا أكله قتله ؛ فيؤخذ منه ريشه قال الهذلي :

به يدَع الكَـمِيَّ علي يديه يخِرّ تخاله نَسْرًا قَشِيبًا

و القَشِـيب : الجديد. و سـيف قَشِـيب :حديث عهد بالجِلاء. و رجل قِشْـبٌ خِشْـب ؛ بالكسـر : إذا كان لا خير فيه...قال الفرّاء : قَشَـب الرجلُ و اقتشب : إذا اكتسب حمْدًا أو ذَمًّا".[٩٢]

و قد صارت "قَشِيب" دالة علي الخَلَق من الثياب , كما جاء في "التكملة". فربما كان ذلك راجعا إلي دلالة المادة علي الخلْط , و ربما كان راجعا إلي أحد أسباب حدوث التضاد , كالإغضاء عن أمر , أو التشاؤم.

---

[٨٩] في اللسـان / لقف : "اللقْف : تناول الشـيء يُرمَي به إليك. تقول : لَقّفني تلقيفا فلَقِفته. ابن سيده : اللقف : سرعة الأخذ لما يرمي إليك باليد و باللسان. لَقِفه ؛ بالكسر يَلقَفه لَقْفًا و لَقَفًا...و في حديث الحج : تلَقّفت التلبية من في رسول الله – صلي الله عليه و سلم – أي : تلقّيتها و حفِظتها بسرعة...و قد يفرد اللقْف ؛ فيقال :رجل لَقِف ؛ يعني به ما تقدم".

[٩٠] الوسيط /جدد.

[٩١] كذا. و المشهور : فرشنَ لي.

[٩٢] و قارن بالتكملة للصغاني ؛ ففيه : قَشَّبَنا فلان ؛ أي :رمانا بأمر لم يكن فينا.

و "حَرِبٌ جَرِبٌ" يعني أنّ الموصـــوف سَـلِيب المتاع , أو المال , به أذًي. فكأنّه قد تأثر ظاهر جسمه بالاستلاب ؛ فبدا ذلك علي جلده ؛ فكان جَرِبًا.

و الحَرَب : أخذ المال جميعه , و اشتداد الغضب , و إبداء التفجع بسبب ذلك. و الجَرِب وصف من الجَرَب.[٩٣]

و قد استعمل البارودي "الحَرَب" في قوله :

لم أقترف زَلَّة تقضي عليّ بـما
أصبحت فيه,فماذا الويْل و الحَرَب[٩٤]

و التراكيب "حَيْص بَيْصَ – شَـــذَرَ مَذَرَ – هنيئًا مَرِيئًا- هُمَزة لُمَزَة " نراها أكثر ملازمة للتركيب من قرنائها في هذا القســـم ؛ إمّا لشيوع استخدامها بما صـار لها من معني عام , و إمّا لغموض معني الجزءين , أو أحدهما.

و قد كان التركيب الأول و ما يتصل به صوتيا و معنويا, ضمن الكلمات التي عدّها أحد الباحثين من المهجور الذي يمثل حلقة ربط بين العربية و الإرترية. و ثمّة احتمال أن يكون هو و ما ماثله من كلمات إتباعية أخري ذكرها – من القديم , الذي يرجع إلي الأصـــل المشـــترك بين العربيـة و اللغـات الإرتريـة : الجعزيـة , التجريـة , التجرنية.[٩٥]و لعل في هذا ما يجعلنا نميل إلي أنّ غريب هذه الألفاظ , أو – بالأحري – الموغل في الغرابة منها, قَمِن أن ينسحب عليه مثل هذا الحكم الســـابق ؛ فيكون أقرب إلي المشـــترك الســـامي , لا مما اختصـــت به العربية, و لهجت به ألســـنة أبنائها بعد أن تميزت لغةً مستقلة عن شقيقاتها. و لا شك أنّه أمر يحتاج إلي مزيد بحث.

---

[٩٣] الوسيط / حرب , و جرب.

[٩٤] ديوان البارودي ١٠٦.

[٩٥] اللغة العربية و علاقتها باللغات الإرترية (الجعزية و التجرية و التجرنية) الجذور و الامتداد , إدريس محمود حامد موشي ١٩٧ ,١٩٨. ذكر : حوث. تركهم حوث بوث , و حيث بيث ؛ إذا أفزعهم. و مقابله في التجرية : حيس بيس. و ذكر : الحيس؛ بمعني : الأمر الرديء , و هو في التجرية , و كذا : حايس. و فيها حيس بيس مقابل: حيص بيص العربية. انظر ص ٢١٩ – ٢٢١.

وتعني مادة "حيص" العدول و طلب الفرار و المراوغة و المغالبة. و تقرب من ذلك دلالات مادة "حوص" ؛ فهي تدل علي الجمع و التضييق , و الحَوْم حول الشخص , و الاحتياط في الأمر. و معاني "بوص" تتفق تمامًا مع معاني "حيص"؛ فهي تدل علي البعد و المشقّة , و الهروب و الاستتار و الإبعاد في السيْر.[٩٦] و قد سجل الوسيط أنه يقال : وقع القوم في حاصِ باصِ : في ضيق وشدّة , و في حَيْصَ بَيْصَ , و حَيْصِ بَيْصِ , و حِيصَ بِيصَ.[٩٧]

و يبدو أنّ التركيب كان من شيوع الاستعمال ؛ حتي إنه أخذ أشكالا عدّةً, كما رأينا. و لعل ذلك راجع إلي التعدد اللهجي.

و يدلنا المعجم علي أن الموادّ "حوث – هوث – حيس – حوص – بوث" تدل علي اختلاط الشيء , أو الأمر , و التباسه, أو اللّين و الارتباك , أو الإفساد.[٩٨] و كلها معانٍ تلتقي مع ما سبق من معاني مادتي كلمتي التركيب الذي ندرسه. بل إنّا نجد

---

[٩٦] و تدل بيص علي الشدة و الضيق و اختلاط الأمر. اللسان / بيص ,و القاموس / بوص , بيص.

[٩٧] الوسيط / بيص , و حيص.

[٩٨] في الصحاح /حوث:"الحَوْثاء:الكبد و ما يليها. قال الراجز:

إنَّا وجَدنا لَحمهم رَدِيًّا الكَرِشَ و الحَوْثاء و المَرِيًّا

و يقال : تركهم حَوْثًا بَوْثًا , و حَوْثَ بَوْثَ , و حَيْثَ بَيْثَ , و حاثِ بَاثِ , إذا فرّقهم و بدّدهم. و الاستحاثة مثل الاستبانة , و هي الاستخراج. تقول : استحثت الشيءَ , إذا ضاع في التراب فوجدته". و في اللسان (بوث) :"و تركهم حَوْثًا بَوْثًا , و جيء به من حَوْثَ بَوْثَ ؛ أي من حيث كان و لم يكن. و جاء بحَوْثَ بَوْثَ , إذا جاء بالشيء الكثير. ابن الأعرابي : يقال : تركهم حاثِ باثِ , إذا تفرّقوا".

و في اللسان (هيث) :"و هاث في ماله هَيْثًا و عاث : أفسد و أصلح , و هاث في الشيء : أفسد و أخذه بغير رفق ... و هاث القوم يهيثون هَيْثً و تهَايثوا : دخل بعضهم في بعض عند الخصومة. و هايثة القوم : جلبتهم. و الهيث : الحركة , مثل الهَيْش".

و في التكملة للصغاني / حوص : "طعن فلان في حَوْص أمر ليس منه في شيء : إذا مارس ما لا يحسنه , و تكلّف ما لا يعنيه". و ذكر في (حيص) أن معني حايَصه : راوغه , و حاصَ باصَ :لغة في حَيْصَ بَيْصَ. و في (حوس) ذكر أن الإبل الحُوس : البطيئات التحرك من مرعاها , و الناقة الحَوْساء : الشديدة النفَس , و الأَحْوس و الحَوَّاس ؛ الأسد. و الإبل الكثيرة يقال لها حَوْسَي. و في (حيس) ذكر المثل "عاد الحَيْسُ يُحاس" ليبين أنه بمعني : عاد الفاسد يُفسَد. و الحَيْس :غير المحكم و لا الجيِّد أو الرديء. و يقال : حِيس حَيْسهم إذا دنا هلاكهم.

التركيبين: حَوْثًـا بَوْثًـا , و هوثًـا بَيْثـاً , بنفس معنـاه. كـذلـك نجـد أنّ "الحَيْس" يعني الطعام ذا المَرَق. و قد قال الشاعر:

و إذا تكون كريـهةٌ أُدعَي لها و إذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدعَي جَنْدَلُ

و حَاس كحَاص ؛ بمعني : جال للفرار. و الحَوّاس : الشـــجاع , أو الجريء.

و كل هذا يجعلنا نقول إن :"حيص بيص" مرت بمراحل قبل أن تصـير علي هذا الشـكل الأخير : هوثا بوثاً - حوث بوث - حيس بيس. و العلاقة الواضـحة بين الأصـوات, و كذا تقارب المعاني , أو اتفاقها - يرجّح التطور بنطق التركيب عبر مرحلتين , علي الأقل ؛ ليصـل إلي هذه الصـورة التي يشيع استعماله بها.و يمكن أن تكون قد صـارت أكثر استعمالا من الأخريات لاشتمالها علي الصـاد المطبقة , التي هي أكثر وضـوحًا و إسـماعًا , بعد أن تطور إليها صـوت الثاء مارًّا بالسين.

و "شَـذَرَ مَذَر" كلمته الأولي واضـحة بالقياس إلي تابعتها. فمن مادتها "الشذَرَات" و "الشُّذور", و هي القطع الصـغيرة من المعدن , أو الشيء.

و عندما يقال : تفرَّقوا شَـــذرَ مَذَرَ , فإن المتبادر الإشـــارة إلي ضـــعف المحدّث عنهم , و ســـوء حالهم. و قد تكفلت الكلمة الأولي بالدلالة علي تفرقهم, الذي أشـار إليه الفعل. ثم جاءت الكلمة التابعة ؛ فأشـــارت إلي ســـوء حال هؤلاء المتفرقين ؛ ببيانها أنه كائن في هذا التفرق. و بذلك صـارت كلمتا التركيب كلمة واحدة, و حالا من فاعل الجملة , مؤكدة لمعني العامل – و هو الفعل- كما يقول النحاة. و قد يقال : ذهبوا شَذرَ مذرَ.

إنّ الكلمة التابعة هي مصـدر الفعل : مَذِرت البيضـةُ تَمْذَر؛ أي : فسدت[٩٩].

فكأن الكلمة الثانية جاءت كنتيجة للأولي. فالتفرق , أو ما شـابهه , علـة لفســـاد الشـــيء. و قد تكون الكلمتـان بمعني واحد تجوّزا ؛

[٩٩] الوسيط / مذر , و الأمالي ٢/ ٢١٢.

بمراعاتنا ما في معني الأولي من الدلالة علي الضـعف, أو الفسـاد , كظلال للمعني الرئيس , أو الذي تسـتجلبه أصـوات الكلمة. و هكذا تكون الكلمـة التـابعـة تـأكيدا , جعل يلازم الكلمـة المتبوعـة ؛ حتي أصـبحا يدلان علي معني لا تنفرد به إحداهما , عند غير اللغويين علي الأقل.

و "شـغَرَ بَغَرَ" ليس غريبا عن التركيب السـابق. و تدلّ مادة "شـغر" علي الانتشـار و الخلوّ من ضـبط , و يحمل علي ذلك ما يقاربه من معانٍ.[١٠٠] و الكلمة الأولي غير غريبة علي الاسـتعمال. فمن المعروف التعبير عن خلو المقاعد في الهيئات , و ما إليها بأنه قد شَـغَر. و الكلمة التابعة غريبة علي الاسـتعمال. و هي تلتقي مع سـابقتها في المعني ؛ لدلالتها علي الشـرب مع عدم ارتواء. و جاء المصدر في قول الفرزدق :

فقلت:ما هو إلا السامُ تركبه كأنّما الموت في أجناده البَغَر[١٠١]

و قد استعمل اسم المرّة منه ليشبه به العطاء الذي لا ينتهي ؛ ففي اللسـان: "يقال : لفلان بَغْرة من العطاء لا تَغِيض , إذا دام عطاؤه. قال أبو وجْزة :

سَحَّت لأبناء الزبير مآثرٌ في المكرُمات و بَغْرةٌ لا تُنجِمُ "[١٠٢]

و ذكر ابن فارس أن معني قولهم : تفرّقوا شَـغَر بَغَر[١٠٣] : تفرّقوا في كل وجه , و أنّ أبا زيد خصّه بالإقبال.

و قد جاء التركيب "هنيئا مريئا" في قوله – تعالي - : "... فإن طِبْن لكم عن شـيء منه نفسًـا؛ فكلوه هنيئًا مَرِيئًا"(٤/ النسـاء). و هو هنا موصـوف به حِلّ ما تنزل عنه المرأة من صـداقها ؛ فجُعل كالمأكول المستساغ , غير المعقِب أذي لصاحبه. فالكلمة الأولي من الهناءة ؛ بمعني السـعادة و طيب النفس. و يبدو أنهم ربطوا بين ذلك

---

[١٠٠] المقاييس / شغر , و انظر أيضا : بغر.
[١٠١] اللسان / بغر.
[١٠٢] السابق.
[١٠٣] أضاف اللسان : شَغَر مَغَرَ , و شَغِر بِغَرَ , و شِغَرَ مِغَرَ.

و بين عدم المشـقة في تحصـيل الشـيء. و الكلمة الثانية من "مَرِأني الطعامُ , أو أمْرأني" بمعني : سـاغ لي مروره في الحلق , دون ألم.[١٠٤] و الكلمتـان منتصـبتـان علي الحـال , أو علي تقدير الوصف لمصدر الفعل المتقدم عليهما.

"و قيل :هنيئًا : لا إثم فيه , و مَرِيئًا : لا داء فيه. قال كثيّر :

هنيئًا مَرِيئًا غيرَ داء مخامِر لعزّة من أعراضنا ما استحلّتِ

و قيل : الهنيء : الطيّب المسـاغ , الذي لا ينقصـه شـيء. و المَريء :المحمود العاقبة التام الهضم , الذي لا يضر و لا يؤذي".[١٠٥]

و "هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ" يعني : عَيَّابًا. و هو تركيب قرآني , ورد في الآية الأولي من سـورة الهُمَزة. و كلمتاه علي صـيغة تدل علي المبالغة[١٠٦]. و قد أخذتا من الهَمْز , و الأصل فيه أن يدل علي الكسر و العض علي الشـيء بعنف. و منه هَمْز الحرف. و يقال : هَمَزت رأسه , و همزت الجوْز بكفي : كسرته. و قيل: أصل الهَمْز و اللمْز : الدفع و الضرب.

و الكلمتان إن لم تكونا بمعني واحد , فإنهما متقاربتان , تدلان علي معنيين متشـابهين. و إن كان بينهما تقابل , فإنّ الجمع بينهما يجعلنا أمام معني متكامل , فيه من تأكيد الصـفة ما فيه , كما أنّ فيه تأكيد المعني بالإتباع بكلمة مرادفة.

و قد اختُلف حول أي الكلمتين تعني العَيب للغير في الوجه, و أيّها تعني اغتيابه.

و قيل إن الكلمتين تعنيان الطعن في الناس , لكن الثانية تفيد الطعن في الأنساب.

---

[١٠٤] "كل ما لم يأت بمشقة و لا عناء فهو هنيء. و هو اسم فاعل من هَنُؤ... و هَنئَ يهنَأ؛ فهو هَنِئ ؛ علي فَعِل ؛ كزَمِن. و هَنَأني الطعامُ و مَرَأني ؛ علي الإتباع. فإذا لم يذكر هَنَأني قلت : أمرأني الطعامُ ؛ بالألف".القرطبي ٣ /٢٩.

[١٠٥] السابق و الصفحة نفسها.

[١٠٦] في اللسان /همز : "الهَمَّاز و الهُمَزَة : الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه , و اللَّمْز في الاستقبال ... و كذلك امرأة هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ. لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما فيه , و إنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هو فيه قد بلغ الغاية و النهاية ؛ فجعل بناء الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية و المبالغة".

و قيل : الهامز : الذي يهمز الناس بيده و يضـــربهم , و اللُّمَزة : الذي يلمزهم بلسانه و يعيبهم.

و قيل : يهمِز بلسانه , و يلمِز بعينه و رأسه و حاجبيه.

و قيل : هما سـواء , و هو القَتَّات الطعَّان للمرء , إذا غاب.[١٠٧] و في اللســـان[١٠٨]: "و الهَمْز مثل اللمْز. و همَزه : دفعه و ضـــربه. و هَمَزته و لَمَزته و لَهَزته و نَهزته , إذا دفعته".

و لم يذكر اللســـان أن توالي الكلمتين من الإتباع ؛ فيبقي أنه من المزاوجة , أو المصاحبة , كما يقال حديثا.

و "يَبَـاب" تفيد معني متبوعتهـا , و هو : الخراب. و أشـــار اللسـان إلي الخلاف بين كونها تابعة ؛ أي يلزم أن تقترن بسـابقتها , و بين كونها غير ذلك. علي أن الكلمة ربما اكتســبت هذا المعني لكونه لازم معناها , و هو خلو المكان من الناس[١٠٩]. و الأماكن الخربة هي الأولي بذلك.

و قد استعمل شوقي كلمة "يباب" في خطابه العمّال. فقال:

و اعمُروا الأرض فلولا سـعيُكم أمست يبابـَا[١١٠]

و "الخَفُوت" من الخَفْت و الخُفات , و هو الضـعف من الجوع و نحوه , و ضـعف الصـوت بسـبب الجوع أيضـا. و قد انفرد الليث بوصف المرأة بـــ "الخَفُوت" كما قال الأزهري.[١١١] و فُسِّرت بغير معني. فقيل إنها المهزولة , أو التي لا تكاد تَبِين من الهُزال. و قيل : هي التي تستَحسَن ما دامت وحدَها , فإذا رئيت في جماعة من النساء غمَزْنها. و واضـح ما في المعاني جميعها من الدلالة علي الضـعف ,

---

[١٠٧] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ٤١٣ ,٤١٤.

[١٠٨] همز.

[١٠٩] في اللسان / يبب :"التهذيب :في قولهم :خراب يباب , اليباب عند العرب : الذي ليس فيه أحد. و قال ابن أبي ربيعة : (....)

فإلي قصر ذي العشيرة فالصّا لف أمسي من الأنـيس يَبَابَا".

[١١٠] الشوقيات ١ / ١٢٦.

[١١١] اللسان / خفت.

و إن كـان أقرب إلي أن يكون معنويًّا في التفســير الأخير ؛ إذ هو انتقاص و عدم اكتمال.

و فسرت "اللفُوت" بأنها هي التي فيها التواء و انقباض.

و كان لابن فارس تفســيره للكلمتين. "فالخفوت : الســاكنة. و اللفوت : التي تلفت نفسها عمّا يُكرَه".[١١٢]

و الصفتان غير مستعملتين , أو – علي الأقل – غير شائعتين.

و اســتعمل القرآن الفعلين : "يُخـافت – يَتَخـافت"[١١٣]. و هما بمعني : إخفاء الصـوت , و الإسـرار به. و هما يندرجان تحت معني الضعف , بعامة , و هو ما تدور حوله المادة.

و جاء الفعل "لفت" في القرآن أيضــا , فيما حكاه من قول ملإِ فرعون لموســي : "... أجئتنـا لتَلفتنـا عمّـا وجـدنـا عليـه آباءنا..."(٧٨/يونس). و المراد : لتصــرفنا و تحوّلنا عمّا نحن عليه. و يبدو أن استعمال الفعل – علي ما هو شائع في المكاتبات الرسمية ؛ إذ يقال : نلفت انتباهكم إلي كذا – يبدو أن هذا الاستعمال قديم. لكنه لم يحظ بقبول المدققين اعتمـادًا منهم علي مـا في اســتعمـال الآيـة الكريمة للفعل. فالمراد إنّما هو جذب الانتباه , و إظهار الاهتمام بما يريد المخاطِب التنبيه إليه , لا أنه يريد الصــرف و الإبعاد عنه , كما رأينا في الآية الكريمة. علي أنّ لحرف الجرّ "إلي" دورا غير منكور في توجيه معني الفعل, فضلا عن تسويغ استعماله.

و التركيب "خلاّجة ولاّجة" كلمتاه ليستا مستعملتين , اللهمّ إلا لدي الحريصين علي المفردات المرتبطة بالتراث اللغوي والأدبي. و همـا يمكن أن تكونـا مترادفتين تجوّزا ؛ بـاعتبـار مـا يفضـــي إليـه الاختلاج , أو الاضـطراب , و هو الحركة. و أصـل الخَلْج الجَذب و النزْع , و يطلق علي المشي.[١١٤] فالماشي يجذب نفسه و ينزعها من مكان إلي غيره. و هو لتحركه من موضـع لا بدّ أن يَلِجَ موضـعًا آخر

---

[١١٢] الإتباع و المزاوجة ٣٢.

[١١٣] في قوله – تعالي – : "و لا تجهر بصلاتك و لا تُخافِتْ بها "(١١٠/ الإسراء) , و في قوله: "يتخافتون بينهم : إن لبثتم إلا عشرا"(١٠٣ / طه).

[١١٤] اللسان / خلج.

؛ أي يدخله. و يكون الترادف بين الكلمتين باعتبار ما يجمعهما من الدلالة علي الحركة. و إلا فإن الكلمة الأولي سبب للثانية. و قد أورد ابن فارس التركيب بصيغة : "رجل خَرَّاجة وَلاّجة".[١١٥] و كلمته الأولي أوضح , و تجعله دالاً في غير كثير من الغموض علي المعني المشار إليه منذ قليل.

و كلمتا التركيب – كما هو واضح – صيغتا مبالغة لاسم الفاعل , لحقتهما تاء المبالغة أيضا ؛ لتدلا علي كثرة وقوع الفعلين من الموصوف بهما , و هما الخروج و الدخول. و لعل اللام هي الأصل في الكلمة الأولي. و في رأيي أن الكلمة ربما كانت أكثر دلالة علي معني الحركة و التنقل. ثم كان أن صارت اللام راء لاتحاد المخرج , بالإضافة لوضوح المعني مع هذا الإبدال. و لا مانع من دخول التصحيف في هذا أيضا ؛ ليكون لدينا هذا الصوت أو ذاك.

و لعل الشائع الاستعمال من مادة "خلج" كلمة "الخليج" في مثل القول "... دول الخليج العربي". و للكلمة صلتها الواضحة بما تدل عليه المادة من الجذب والنزع , أو الاضطراب و السرعة. قال ابن سيده : "و الخليج ما انقطع من معظم الماء ؛ لأنه يُجبَذ منه , و قد اختُلِج". و قد استعملت اللفظة نفسها لمعانٍ أخري , لا نعرفها لها الآن. و هي :

- شعبة تنشعب من الوادي تُعبّر بعض مائه إلي مكان آخر.
- خليجا النهر : جناحاه.
- خليج البحر :رَجُل يختلج منه.
- الخليج : الحبل ؛ لأنه يجبذ ما شُدّ به , أو لأنه فُتِل شزْرًا ؛ أي علي العسْراء. و هو مِقْوَد الفرس.
- و يقال للوتد خليج ؛ لأنه يجذب الدابة إذا رُبطت إليه.[١١٦]

---

[١١٥] الإتباع و المزاوجة لابن فارس٣٤. و فسره المحقق في الهامش بأن المرد وصفه بكثرة الحِيَل. و في اللسان (ولج) : "و رجل خَرّاج ولاّج , و خَرُوج وَلُوج. قال :

قد كنت خرَّاجًا وَلُوجًا صَيْرَفَا لم تَلْتَخِصْني حَيْصَ بَيْصَ لحاصِ

و رجل خُرَجةٌ وُلَجة ؛مثل هُمَزة , أي كثير الدخول و الخروج".

[١١٦] راجع في كل ذلك : اللسان / خلج.

و قد ورد الفعل "أولج"في القرآن الكريم غير مرّة. فمن ذلك ما في قولـه – تعـالي - :"يولج الليـل في النهـار , و يولج النهـار في الليل"(٦١/ الحجّ , ١٣/فاطر).قال في اللســـان: " يزيد من هذا في ذلك , و من ذلك في هذا".[١١٧] و وردت فيه كلمة "الوَلِيجة"في قوله – تعالي - : "و لم يتخذوا من دون الله و لا رســـوله و لا المؤمنين وَلِيجةً"(١٦/ التوبة). و الكلمة تعني : البِطانة و الخاصة و الدِّخْلة.

و "خالد تالد" كلمتاه متطابقتا المعني ؛ فكلتاهما تدل علي استمرار البقاء و دوامه , غير أنّ الأولي يمكن أن تصدق علي ما اتصف بذلك في الماضـي مع دوامه في الحاضـر و المستقبل[١١٨] , أمّا الثانية فيمكن أن تصـدق علي ما اسـتُحدثت له هذه الصـفة. و يتحدّد ذلك باستعمال بعض صيغ مادة الكلمة. قال ابن فارس في المقاييس : "التاء و اللام و الدال أصـــل واحد, و هو الإقامة... و أتلَد إذا اتخذ مالا. و التِّلاد : ما نَتَجته أنت عندك من مال ... و التَّليد : ما اشـتريته صغيرًا ؛ فنبت عندك".[١١٩]
و كلمة "خالد" شائعة مستعملة , أمَّا تابعتها فربما لا يستعملها إلا المجوّدون من الكتّاب و الأدباء.

و "سـاغب لاغِب" بمعني مجهَد أو مُعيِّي ؛ بسبب معاناة الجوع. و الكلمة الأولي من "المَسْـــغَبة". و قد وردت في القرآن الكريم في قوله – تعالي - : "...أو إطعام في يوم ذي مَسْغَبَة" (١٤/ البلد). و المَسـغبة : المجاعة. يقال : سَـغِب يَسْـغَب سُـغُوبًا. و قيل : لا يكون السَّغَب إلا الجوع مع التعب.[١٢٠]
و "لَغِب" من "اللُّغُوب" الذي هو التعب و الإعياء و المشقّة. و قد ورد هذا المصدر أو الاسم في قوله – تعالي – " ... لا يمَسّنا فيها نَصَبٌ و لا يَمَسّنا فيها لُغُوب" (٣٥ / فاطر), و في قوله

---

[١١٧] اللسان / ولج.
[١١٨] و المقاييس / خلد. و فيه أن المادة تدل علي الثبات و الملازمة.
[١١٩] و قارن باللسان / تلد.
[١٢٠] المقاييس / سغب.

أيضا : "... و ما مَسّنا من لُغُوب"(٣٨ / ق). و أتي ساغِبا لاغبًا ؛ أي جائعا تعِبًا.

و لا يكاد يستعمل التركيب و ما اشتُق من مادة لفظيه إلا المجوّدون من الأدباء , أو ذوو الثقافة اللغوية و القرآنية.

و التركيب "شائع ذائع" يوصف به الشيء المشهور المعروف بين الناس. و الكلمتان تدلان علي شيوع الشيء وانتشاره.[١٢١]

و تدل مادة "شيع" علي مقدار من العدد ؛ كقولهم : أقمت عنده شهرًا أو شَيْع شهر. كذلك تدل علي القوم الذين يجتمعون علي أمر ؛ فهم الشيعة. و الكلمة تدل أيضا علي أتباع الرجل و أنصاره. و من المادة يستعمل الفعلان : شيّعه و شايَعه , كلاهما يعني : خرج معه عند رحيله ليودّعه و يبلّغه منزله. و كل هذه المعاني تعني الكثرة و الظهور و البروز الملحوظ. و يندرج تحت معني الظهور الملحوظ ما جاء من أنه يقال : شاع الشيْب شَيْعًا و شِيَاعًا و شَيَعَانا و شُيُوعًا و شَيْعُوعة و مَشِيعًا : ظهر و تفرّق. كما تدل المادة علي انتشار النار وشِبابها. فالشَّيوع و الشِّياع : ما أوقدت به النار , و قيل : هو دِقّ الحطب تشَيَّع به النار. و الشِّيَاع : صوت قصبة ينفخ فيها الراعي. و الشَّاعة : الإهابة بالإبل. يقال : أشاع بالإبل و شايع بها و شايعها مشايعة, و أهاب ؛ بمعني واحد : صاح بها و دعاها إذا استأخر بعضها. و كل هذه المعاني تندرج تحت معني الكثرة البارزة الظاهرة , أو الشيء اللافت للنظر ؛ مما يدعو إلي وضوحه للكثيرين ومعرفتهم به. قال في اللسان[١٢٢]: "شاع الخبر في الناس يشِيع شَيْعًا و شَيَعانا و مَشَاعا و شيْعوعة؛ فهو شائع : انتشر و افترق و ذاع و ظهر. و أشاعه هو ,و أشاع ذكرَ الشيء : أطاره و أظهره. و قولهم : هذا خبر شائع, و قد شاع في الناس, معناه : قد اتصل بكل أحد فاستوي علم الناس به, و لم يكن علمه عند بعضهم دون بعض".

---

[١٢١] قال ابن فارس في المقاييس : "شاع الحديث : إذا ذاع و انتشر". و في اللسان / شيع : "و أشَعت السرَّ و شِعت به : إذا أذَعت به".

[١٢٢] شيع.

و يلتقي أحد معنيي مادة "ذيع" مع هذا المعني الأخير ؛ إذ "الذَّيْع : أن يشيع الأمر. يقال : أذعناه فذاع , و أذَعت الأمرَ و أَذَعت به. و أذعت السرَّ إذاعة , إذا أفشيته و أظهرته. و ذاع الشيءُ و الخبر , يَذِيع ذَيْعًا و ذَيَعانا و ذُيُوعًا و ذَيْعُوعة : فَشَا و انتشر. و أذاعه و أذاع به أي أفشاه".[١٢٣]

و يتعلق بهذا المعني ما ذكره ابن منظور في آخرها من أن "المِذْياع : الذي لا يكتم السرّ. و قوم مَذايِيع. و في حديث علي – كرّم الله وجهه – و وصف الأولياء - : ليسوا بالمَذايِيع البُذُر. هو جمع مِذْياع من أذاع الشيء إذا أفشاه. و قيل أراد الذين يشيعون الفواحش. و هو بناء مبالغة".

أمّا المعني الثاني للمادة فهو الذَّهَاب بالشيء. قال : و منه بيت الكتاب :

* رَبْع قِوَاءٌ أذاع المُعْصِرات به *

قال أي أذهبته و طمَست معالمه. و منه قول الآخر :

نوازل أعوام أذاعت بخمسة

و تجعلني , إن لم يَقِ الله , ساديَا[١٢٤]

و لعل هذا المعني هو المعني الأصلي , الذي حُمل عليه إذاعة الخبر و نشره. فاتخِذ ما فيه دلالة علي الذهاب بالشيء لمعني غير معني إزالته , أو إفنائه[١٢٥] , بل التحول به إلي غير موضع واحد. كذلك يتفق معني إزالة الشيء أو إفناؤه , أو الذهاب به مع إفشاء السرّ , و إذاعة الخبر ؛ ذلك أنّ كليهما بعد الإفشاء و الإذاعة لم يعودا سرًّا , و لا ذوَيْ دائرة محدودة لا يتجاوزانها ؛ فيفقدان خصوصيتهما. و هذا من الذّهاب , أو الإزالة التي هي المعني الأصلي للمادة , كما قلنا.

---

[١٢٣] اللسان / ذيع.

[١٢٤] اللسان / ذيع.

[١٢٥] مما يندرج تحت معني الإفناء , أو استنفاد الشيء , أو انتقاصه - ما ذكره اللسان من أن إذاعة الناس و الإبل ما – وبما - في الحوض : الشرب منه , أو شرب ما فيه. و يقرب من ذلك أخذ المتاع أو الذهاب به.

و الكلمتان "شائع – ذائع" ليست إحداهما بحاجة إلي الأخري. و لم يذكرهما اللسان معًا تركيبًا إتباعيًّا. و هما معروفتان غير غريبتين علي لغة الكتابة.

و التركيب "مجرَّبٌ مُدرَّبٌ" من التجربة و الدُّرْبة[١٢٦] , أو من الفعلين : جرَّب و درّب. و قد يقال : "مُذَرَّبٌ" من الذرابة؛ و هي الحِدَّة , بمعني القطع و شدة التأثير , و يقال : ذَرِب لسانُه يَذْرَب ذَرَابةً و ذَرَبًا[١٢٧]. و واضح أننا نصف أحدهم بأنه ذو مقدرة علي تصريف الأمور ؛ لما له من التجارب التي جعلته معتادًا لمعالجة المشكلات و الشدائد , أو أهلا لأن يحسم في شأنها.[١٢٨]

و الكلمات الثلاث متقاربة المعني ؛ و لذلك ساغ أن تؤكد إحداها الأخري.

و يبدو أن لا إتباع هنا , أو لا لزوم لاقتران الكلمتين ؛ و ذلك لاستغناء كلتيهما عن الأخرى , أو أن الكلمتين قد فُسِّرت إحداهما بالأخرى. و هو مما اعتمد عليه القائلون بوقوع الترادف.

ففي اللسان[١٢٩]: "و رجل مجرَّب : قد بُلِي ما عنده , و مجرِّبٌ : قد عرف الأمور و جرَّبها. فهو بالفتح مُضَرَّس ,قد جرَّبته الأمور و أحكمته. و المجَرَّب مثل المُجَرَّس و

---

[١٢٦] و هي التجربة. و انظر اللسان/ درب. و فيه أن "التدريب : الصبر في الحرب وقت الفرار... و أصله من الدُّرْبة : التجربة. و يجوز أن يكون من الدُّرُوب , و هي الطرق , كالتبويب من الأبواب". و قارن بالتاج.

[١٢٧] القاموس / ذرب. قال : "و كمنَع : أَحَدّ ؛ كذرَّب. و قوم ذُرْب ؛ بالضم : أحِدَّاء. و الذِّرْبة ؛ بالكسر : السليطة اللسان... و الذَّرِب ؛ ككَتِف : إزميل الإسكاف ... و بالضم: جمع ذَرِب ؛ ككَتِف للحديد اللسان, و محرَّكةً : فساد اللسان و بَذَاؤه".

[١٢٨] جاء في المقاييس أن الجذر "ذرب" : " أصل واحد , يدل علي خلاف الصلاح في تصرفه من إقدام و جرأة علي ما لا ينبغي". و يهمنا الجانب المحمود للذرابة , التي تستعار من الدلالة علي نحو حدة السيف و السنان , كما قال الراغب ؛ للدلالة علي طلاقة اللسان مع عدم اللكنة.(التاج / ذرب). و نحن أيضا قد جعلنا الإقدام و الجرأة وحدهما مناط نقل المعني.

[١٢٩] جرب.

المُضَـرَّس[١٣٠]: الذي قد جرَسته الأمور و أحكمته. فإن كسرت الراء جعلته فاعلا , إلا أن العرب تكلمت به بالفتح".[١٣١]

و ذكر أن المدرَّب هو المجرَّب , "و شيخ مدَرَّب ؛ أي مجرَّب. و المدرَّب أيضـا : الذي قد أصـابته البلايا , و درَّبته الشـدائد ؛حتي قوي و مَرِن عليها".[١٣٢]

و الكلمات الثلاث علي وزن صـيغة اسـم المفعول. و الأوليان منهما ليسـتا غريبتين علي لغة الكتابة , و هذا غير حال الكلمة الثالثة , تلك التي قد لا يسـتعملها إلا الحريصـون علي انتقاء المفردات.

و التعبير : "ما له عالَ , و لا مالَ؟"[١٣٣] يعني : عجبا لما صار إليه من الحاجة , أو العَوَز.

فثَمّة تعجب ممّا آل إليه حال المحدَّث عنه. فهو قد أصـابته العَيْلة , و هي الفقر[١٣٤] ؛ فقد صـار ذا عيال , أو هو قد شُـبِّه بمن هو كذلك. و جاءت الجملة الثانية مؤكِّدة لسـابقتها. و ربما جعلتنا نميل إلي أن يكون "عال" دالاً علي أصـل معناه , و هو تحمّل تبِعة العِيال (أو الأبناء) , أو كثرتهم.

و في القرآن الكريم (٢٨ / التوبة) : "و إن خفتم عَيْلة فسـوف يغنيكم الله من فضـله , إن شـاء". و فيه (٣ / النسـاء) : "... فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدةً , أو ما ملكت أيمانكم ؛ ذلك أدني أن لا تَعُولوا".

---

[١٣٠] و التجريس تفيد الاشتهار بالشيء , و التضريس تفيد الإفادة من التجارب ؛ علي التشبيه لآثارها في الفرد بأثر الأضراس في المطعومات و غيرها. و سيأتي في المجموعة (ب) تركيب أخرس أضرس.

[١٣١] و في اللسان (درب) أن الكسر و الفتح جائزان في عين بناء "مفَعَّل" لمثل كلمة "مجَرَّب" بخلاف كلمة "مُدَرَّب".

[١٣٢] اللسان / درب.

[١٣٣] كذا في المزهر ١/ ٤١٩.و بهامشه رواية اللسان : ما له عال و مال , و ذكر تفسيره الفعلين بكثرة العيال و الجور في الحكم , علي الترتيب , وهو ما سننقله عن اللسان عمّا قليل.

[١٣٤] في القاموس : "عال يَعِيل عَيْلا و عَيْلةً و عُيُولا و مَعِيلا : افتقر ؛ فهو عائل , ج: عالة و عُيَّل و عَيْلي ؛ كسَكْري , والاسم : العَيْلَة". و بهامشه أن العيلة تعني العِيال.

جاء في اللســـان[١٣٥]: "و عال و أَعْول و أَعْيل ؛ علي المعاقبة عُئُولا و عِيَالة : كثر عياله. قال الكسـائي : عال الرجل يَعُول إذا كثر عيالـه. و اللغة الجيدة : أَعـال يُعِيل. و رجل مُعَيل : ذو عيـال... و العرب تقول : ما له عالَ و مالَ؟ فعال : كثُر عِيَالُه, و مال : جار في حكمه. و عال عِيالَه عَوْلا و عُئُولا و عِيالة , و أعالهم و عَيَّلهم , كله : كفاهم و مانهم و قاتهم و أنفق عليهم".

و رواية اللســان للتعبير , و تفسـيره له , تبعد بنا عن التسـاوي المعنوي بين طرفيه , و هذا غير ما وقفنا عليه في رواية المزهر , تلك التي سنجد اللسان يورد رواية أخري تعضدها. و هذه الرواية : ما له عالٌ و لا مالٌ ؛ بمعني : ما له شـــيء. و هي , و إن كانت غير ذات صـــلة بالعِيَال و حاجتهم إلي المال , فكلمتها الأولي مأخوذة من "عيل" المأخوذة منها الكلمة, و الفعل "عال" و غيره. و من المادة "العالة" , و هي : "شبه الظُّلّة يُسوِّيها الرجل من الشجر يستتر بها من المطر". و قد أورد الرواية الثانية عقب إشارته إلي هذا المعني.

و ليس التعبير من الإتباع ؛لأنه لم يشر إلي ذلك , هذا فضلا عن استقلال كلتا كلمتيه بمعناها.

و "هَشٌّ بَشٌّ" بمعني : سعيد , منفرج الأسارير. و يبدو أن تتابع الكلمتين من باب بيان معني أولاهما بالأخري , علي ما جاء في اللســـان ؛ فهما مترادفتان , و لذا تتواليان لتأكيد المعني , لا من باب التتابع اللازم.

و "الهَشّ و الهَشـيش من كل شـــيء : ما فيه رخاوة و لِين. و هَشَّ هُشُـوشـة. و شـيء هَشٌّ و هَشِـيش , و هَشَّ يَهِشُّ هَشَـاشـة ؛ فهو هَشٌّ و هَشِـيش... و هَشَّ هُشُـوشـة : صـار خوَّارا ضـعيفا. و هَشّ يَهِشُّ : تكسّـر و كبِر. و رجل هَشّ و هَشِـيش :بَشٌّ مُهْتَزٌّ مسـرور. و هَشَّشته و هَشِشت به ؛ بالكسر و هَشَشت ... هَشاشة: بَشِشت. و الاسم الهَشَاش. و الهَشَاشة : الارتياح و الخفّة للمعروف".[١٣٦]

---

[١٣٥] عول.

[١٣٦] اللسان /هشش. و ذكر عن الجوهري : و رجل هَشٌّ بَشٌّ.

و "هيّنٌ لَيِّنٌ" - أو "هَيْنٌ لَيْنٌ" – ليس بعيد المعني عن التركيب السابق ؛ إذ هو وصف بالسهولة و الرفق.

و مادة "هون" , كما يقول ابن فارس في المقاييس , تدل علي سكون أو سكينة , أو ذلّ.

و "اللين : ضدّ الخشونة... لانَ الشيءُ يَلِين لِينًا و لَيَانًا , و تَلَيّن, و شيء لَيِّن و لَيْن؛ مخَفَّف منه".[١٣٧]

فالكلمتان – إذن – مؤتلفتان , أولاهما تعني السكون أو السكينة[١٣٨] , و ثانيتهما تعني السهولة , أو المَلاسَة , و وصف المرء بها من باب المجاز. و علي ذلك جاءت ثانيتهما لتؤكد سابقتها ؛ لأنهما تتفقان في المعني , أو تقتربان من ذلك.

و قد جاء التركيب بصيغته المخفَّفة وصفا للجمع في بيت الكميت : هَيْنون لَيْنون في بيوتهمُ

سِنْخ التُّقَي و الفضائل الرتَبُ[١٣٩]

و ليس اقتران الكلمتين من الإتباع اللازم.

و "الوَسيم القَسَيم" هو الحَسَن الجميل المعروف بذلك. فالسِّمَة : العلامة يعرَف بها البعير من قطع أذن أو كَيّ. و قد أخذ ذلك من "الوَسْم" جمع الوَسْمة, و هي شجرة , و رقها خِضاب. فكأن العلامة في البعير أو غيره جُعِلت كالخضاب. و علي ذلك قيل : "فلان موسوم بالخير و الشرّ ؛ أي عليه علامته. و توسّمت فيه الخير و الشرّ ؛ أي رأيت فيه أثرًا... و فلانة ذات مِيسَم و جمال. و مِيسَمها : أثر الجمال فيها. و هي وسِيمة قَسِيمة. و قد وَسُمَت وَسامةً بيّنة الوَسَام و القَسَام".[١٤٠]

و المِيسَم : الحُسن و الجمال. قال الشاعر :

---

[١٣٧] اللسان / لين.

[١٣٨] في الوسيط أن الهَيّن تعني : الحَقير , و المتّئد الوقور المتسامح , و السهل اليسير. و المعني الثاني هو المناسب هنا.

[١٣٩] اللسان / لين.

[١٤٠] العين / وسم.

لو قلت : ما في قومها لم تِيثَمِ يَفْضُلها في حَسَب و مِيسَم[١٤١]

و ذكر الخليل أنّ القِسْمَة : الوجه. قال الشاعر :

كأنّ دنانيرًا علي قَسَماتهم و إن كان قد شَفَّ الوجوه لقاءُ

و تسمية الوجه بذلك راجعة إلي كثرة اختصاصه بالحديث عن قسَماته ؛ فهي مجاز. قال القالي : "القَسَام : الحسن و الجمال. و أنشد يعقوب :

* يُسَنّ علي مَرَاغمها القَسَامُ *

و قال العجّاج : * و رَبّ هذا البلد المُقَسَّمِ * أي المُحَسَّن.

و قال الشاعر :

و يومًا تُوَافينا بوجهٍ مُقَسَّم

كأنْ ظَبيةٌ تعطو إلي وارق السَّلَمْ"[١٤٢]

و لعل لكلمة "وسيم" من الشيوع علي ألسنة الفصحاء , و ربما علي ألسنة غيرهم , ما قد يفوق ما لقرينتها , و إن كانت غير غريبة الاستعمال عند الأدباء. و هذا اليازجي قد ذكر في "نُجْعة الرائد" عند حديثه عن حسن المنظر و قبحه أنه يقال : مَليح القَسَمة – وُسِم بمِيسَم الحسن – تسربل بالملاحة – إنه لقسيم و وسِيم – إنه لقسيم وَسيم – إنه لقَسيم الوجه – مقسَّم الوجه.[١٤٣]

(ب) مجموعة واضحة المعني , كلماتها الأولي شائعة الاستعمال لدي الأوساط كافّة (الفصحاء و غيرهم غالبا) ,علي العكس ممّا تتصف به تالياتها؛ إذ هي – غالبا – غير بيّنة المعني بنفسها , غير معروفة إلا لخاصّة الأدباء , و المشتغلين باللغة. ويتضح ذلك في بعض التراكيب خاصَّةً , كما في :

- أخرسُ أَضْرَسُ.
- أَسْوانُ أَتْوَانُ.
- أَشِرٌ أَفِرٌ.
- أُفٌّ و تُفٌّ.
- بَذِيرٌ عَفِيرٌ.

---

[١٤١] الأمالي ٢ / ٢١٠.

[١٤٢] الأمالي ٢ / ٢١٠.

[١٤٣] نجعة الرائد في المترادف و المتوارد , لإبراهيم اليازجي.

- لا بارك الله فيه , و لا دارك , و لا تارَك.
- تاعس واعس.
- تافه نافِه.
- جائعٌ نائع.
- حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ ؛ لوصف البالغ مبلغا عظيما من الحسن.
- حَقِيرٌ نَقِيرٌ.
- حِلٌّ و بِلٌّ ؛ لإفادة إتاحة الانتفاع بشيء.
- حائرٌ بائر.
- حارٌّ يارٌّ (جارٌّ).
- حيَّاك الله و بَيَّاك.
- خَبِيثٌ نَبِيثٌ (أو : نَجِيثٌ).
- خَزْيانُ سَوْءانُ.
- خَضِرٌ مَضِرٌ.
- خَفِيفٌ ذَفِيفٌ.
- خازن مازن.
- خاسِرٌ دامِرٌ , و خاسِرٌ دَابِرٌ , خَسِرٌ دَمِرٌ , و خَسرٌ دَبِرٌ.
- سعيه في خياب بن ثياب.
- رَغْمًا دَغْمًا شَنّغْما.
- سَمِيج لَميج (و سَمِج لَمِجٌ).
- أعطيت المالَ سَهْوًا رَهْوًا.
- سائغٌ لائغٌ (و سَيْغ لَيْغ. و في المزهر : سَيّغٌ لَيّغٌ).
- شديد أَدِيد.
- شَيْطان لَيْطان.
- ضَئِيل بَئِيل.
- ضعيف نَعِيف.
- ضَمِنٌ زَمِن.
- ضَيِّقٌ لَيِّقٌ (و عَيِّقٌ).
- ضالٌّ تالٌّ.
- طَلْقٌ ذَلْقٌ.
- عَريض أَرِيض.

- عَزِيزٌ مَزِيزٌ.
- عَطْشان نَطْشانُ.
- عِفْرِيت نِفْرِيتٌ.
- عَيِيٌّ شَوِيٌّ.
- غَنِيٌّ مَلِيٌّ.
- فقير وَقِير.
- قبيح شَقِيح.
- كثير بَثِير (و بَجِير).
- لا مَحِيصَ , و لا مَفِيص.
- نَذْلٌ رَذْل.
- مُضِيعٌ مُسِيعٌ.
- مَلِيح قَزِيح.
- وَحِيدٌ قَحِيد.

في اللسان[١٤٤]: "و رجل أَخْرَسُ أَضرَسُ : إتباع له, و الضَّرْس : صمت يوم إلي الليل. و في حديث ابن عباس , رضي الله عنهما , أنه كره الضَّرْس. و أصله من العَض. كأنه عَضَّ علي لسانه فصمت". و هكذا نري حمل الكلمة التابعة علي المجاز , و هو ما جعلها صالحة لتأكيد سابقتها.

و قد جاء عن الفرَّاء : "يقال : ولأَني عُرْضًا أخرسَ أمْرَسَ ؛ يريد : أعرض عني و لا يكلمني".[١٤٥] و هنا لا إتباع , بل اقتران كلمتين متماثلتين في الوزن , وأكثر الأصوات , وبخاصة الأخير , الذي لعله جاء ليؤكد ما تشير إليه الكلمتان الأوليان من لامبالاة المحدَّث عنه. لقد اعترض المتحدِّث ؛ فلم يحفل به[١٤٦] بل بدا كأنه أخرس متمرّس بالخَرَس! و هنا نحن أمام ازدواج أو مصاحبة ؛ يؤكَّد

---

[١٤٤] ضرس. و القاموس أيضا.

[١٤٥] اللسان /خرس.

[١٤٦] في القاموس / عرض : "و كُل الجبن عُرْضًا ؛ أي : اعترضه , و اشترِه ممّن وجدته , و لا تسأل عمّن عمِله".

فيها المعني الأول , وقد جاء حقيقيا, يبعد بناؤه الصـــوتي تماما عن البناء الصوتي للكلمتين المتصاحبتين.

و تعرف لغة التخاطب و الكتابة الكلمة الأولي : أخرس. علي أنها في شائع الكلام , أو دارجه , صارت تطلق مرادًا بها من لا يتكلم أيضـــا. و لذلك التوســـع في دلالة الكلمة ما قد يبرّره ؛ فالكلام رَهْنٌ بالسـمع ؛ فيُفقَد لفقده. فهذا التوسـيع من التجوز الذي علاقته السـببية. أمَّا الكلمة التابعة – أَضْرَس – فغير مستعملة.

و الكلمة الأولي من "أَســـوان أتوان" من الفعل : أَسِـــيت عليه أَسًي ؛ بمعني: حزنت. يقال : رجل آسٍ و أسْيان , و أَسْوان ؛ بمعني : حزين. قال في اللســان : و أتبعوه ؛ فقالوا : أسـوان أَتوان. و أنشد الأصـمعي لرجل من الهذليين: ما ذا هنالك من أسوان مكتئب

و ساهف ثَمِل في صَعْدة حِطَم؟[١٤٧]

و كنا قد عرضـــنا لهذا التركيب ضـــمن حديثنا عن الكلمات الإتباعية التي لم ترد في المعجم الوسيط , و إن عرض للمادة ؛ فجاء فيه أنّ أَتْو الشجر : طلوع ثماره , و أن الأتو : العطاء و الطريقة. و قرّرنـا أنـه يتفق مع مـا جـاء في المقـاييس من أنّ الجذر يـدل علي مجيء الشيء و إصحابه و طاعته , و الاستقامة في السير. و هذه كلها تفضـــي بنا إلي ما عرف من معني للتركيب في القديم. فالحزين كأنه مســـتذَلّ منقاد , علي الأقل لما يتنازعه من الهموم , أو الآلام , و العواطف العارمة. و لقد ذكرنا – هناك – عن اللســـان أن للأتْو معاني أخري , هي : المرض الشديد , أو كسر يد أو رِجْل , أو موت , و أن الرجل الأَتِيّ , أو الأتاوِيّ : الغريب. و الموصـوف بأيٍّ ممّا سبق لا بدّ أن يكون حزينا متحيّرًا.

و ثمّة تقارب صوتي بين التاء و السين في كلمتي التركيب؛ ممّا لعله يجعلنا نذهب إلي القول بإمكانية أن تكون الكلمة الثانية هي هي

---

[١٤٧] اللسان / أسي.

الأولي , كُرّرت تأكيدا , و تُخفِّف من تكرار صـوت السـين ؛ فأبدلت به التاء , علي ما في مثل قولهم :

يا قــاتل الله بني السِّعلاة عمرو بن يربوع شِرَار النات
لــيسوا أَعِفَّاء و لا أَكْيَات[١٤٨]

و إن كانت الضـرورة ربما تكون سـببا للإبدال في هذا الشـعر , لكن يمكن أن تكون لدينا ضرورة أيضا وراء الإبدال في الكلمة التابعة. و قد ســبق أن رأينا ابن جنّي يقرّر أنهم يضــطرّون إلي التخفّف من التكرار الذي أُلجئوا إليه في الإتباع بمثل هذا الصــنيع , أو بتغيير صوت في التابع.

و لا تعرف لغتنا الشـائعة في الكتابة و الحديث كلمتي التركيب. و لعل الأدباء و الكتاب المجيدين يستعملون الكلمة الأولي وحدها.

يبقي القول أن لا علاقة لهذه الكلمة الأولي بمدينة "أسـوان" في أقصي جنوب مصر , شرق النيل , بل ذكر الزَّبيدي أنّ اسمها "سُوَان "في بعض مصادره.

و تنضوي التراكيب التالية تحت الحقل الدلالي نفسه , و هي : حائر بائر – خزيان سوْآن – سعيه في خياب بن ثياب – ضالٌّ تالٌّ.

فـالأول يـدل علي الحيرة والخَسَــار[١٤٩] , و الثـاني يـدل علي الخِزْي و الاتصاف بما يسُوء من هيئة أو حال[١٥٠] , و الثالث يعني أنّ الموصـوف به تلازمه الخَيْبة؛ فهو يثُوب إليها ويرجع. و قد جاء هذا التعبير مجـازيًّا من جهتين اثنتين ؛ فلقد جُعل السـعي كـأنـه مَحُوط بـالخَيْبة ؛ و ذلك بـاســتعمال الجارّ "في" , و جعلت هذه الخيبة ملازمة لعودة[١٥١] هذا المحَدَّث عنه ملازمة الابن لأبيه.

---

[١٤٨] و انظر : فصول في فقه العربية , للدكتور رمضان عبد التواب ١٥١ , ١٥٢.

[١٤٩] في الأمالي ٢ / ٢١٣: "و يقولون :حائر بائر. فالحائر : المتحيّر , و البائر : الهالك. و البوَار : الهلاك. و قال أبو عبيدة : رجل بائر وبُورٌ ؛ بضــم الباء ؛ أي : هالك. قال ابن الزِّبَعْري :

يا رسول المليك إنّ لساني راتِق ما فتَقتُ ؛ إذ أنا بُــورُ

و يكون البائر الكاسد ؛ من قولهم : بارت السوق إذا كسدت".

[١٥٠] في الأمالي٢ / ٢٠٩ : "فســوآن مأخوذ من قولهم : سَــوْأَة سَــوْءَاء ؛ أي أمر قبيح. و رجل أَسْوَأ , و امرأة سَوْءاء , إذا كانا قبيحين. و في الحديث : سَوْءَاءُ وَلُود خيرٌ من حَسْناءَ عقيم".

[١٥١] و العودة هذه يدل عليها "ثياب" التي هي مصدر ثاب يثُوب ؛ بمعني : رجع.

و قد سبق أنّه جاء في الوسيط :"سعيه في خَيَّاب بن هَيَّاب" بمعني : في خَسَار[١٥٢]. و صيغة "فعّال" هنا تدل علي النسب , و هي وصف لكلمة : أمر , أو شأن ؛ فالمراد أنه يعمل في أمر مُخَيّب , أو ذي خيبة نابعة من مخافة و تردّد.

و في المزهر :"خائبٌ لائِبٌ". و التابع من "لاب يَلُوب" بمعني : حام حول الماء , و لم يصل إليه[١٥٣].

أمَّا التركيب الرابع فإنه يعني أنّ الموصوف به غارق في الضلالة ؛ بمعني عدم الاهتداء الحسّيّ , أو المعنوي ؛ حتّي إنّ ذلك قد جعله منهكا ؛ فسقط علي الأرض , أو بدا من الإعياء من الضلال و الحيرة المعقِبته ـ كأنّه كذلك. و هو ما دلّ عليه التابع "تالّ"[١٥٤] الذي يتفق مع متبوعه في أصواته عدا أوّلها , و هو ما يستلزمه الإتباع , علي ما سبق بيانه. علي أنّ الصوتين: الضاد و التّاء مخرجهما واحد ؛ فربما كانت الكلمة "تالّ" تكرارا لـ "ضالّ" ؛ و لذا غُيِّر الصوت الأول , و إن كان ذلك مجرد افتراض.

و يَستغرب الكلمة الثانية مَن لا يلتفت إلي الفعل "تَلّ" المستعمل في قوله – تعالي - : "فلَمَّا أسْلَما و تَلّه للجبين..."(١٠٣ / الصافّات) في قصة إبراهيم و إسماعيل – عليهما السلام -. فالمعني أنّهما رضِيَا بقضائه – تعالي – و ألقي إبراهيم ابنه إسماعيل علي وجهه ؛ ليذبحه.

---

[١٥٢] و التاج / خيب. و فيه : "خاب يَخِيب خَيْبة : حُرِم. و منه :خيّبه الله ؛ أي : حرمه... و الخَيْبة : الحرمان و الخسران... و خاب سعيه و أمله : لم ينل ما طلب. و الخيبة :حرمان الجدّ. و في المثل : الهَيْبة خَيْبة , و من هاب خاب. و في الحديث: خَيْبةً لك , و يا خيْبة الدّهر. و يقال : خَيْبةٌ لزيد ,و خيبةً لزيد ؛ بالرفع و النصب... و هو دعاء عليه". و ربما قيل : رجل خَيّاب تَيَّاب. و تاب و ثاب يلتقيان في المعني العام , و هو العودة عن الأمر , غير أنّ الأول صار مرتبطا بالإقلاع عن الذنوب و المعاصي , علي ما هو معروف. و الواضح أنّ المعني العام هو المراد هنا.

[١٥٣] في اللسان / لوب : "اللّوْب و اللّوُب و اللُّؤُوب و اللُّوَاب : العطش. و قيل : هو استدارة الحائم حول الماء عطشان , لا يصل إليه. و قد لاب يَلُوب لَوْبًا و لُوبًا و لُوَابًا و لُوبَانًا ؛ أي : عطش ؛ فهو لائب". و راجع الوسيط.

[١٥٤] قال في الأمالي ٢ / ٢١٤: " التّالّ : الذي يَتُلّ صاحبه ؛ أي يصرعه ؛ كأنه يُغويه؛ فيُلقيه في هَلَكة, لا ينجو منها. و منه قوله – عزّ و جلّ – :"و تَلّه للجَبين". و قال أبو بكر بن دريد : كل شيء ألقيته علي الأرض ممّا له جثّة فقد تلَلْته. و منه سمّي التّلّ من التراب".

و سبق أن وقفنا علي مجيء صورتين أخريين لهذا التركيب في الوسيط, و هما : الضلال بن التلال ؛ في المبالغة في الضلال. و يقال : جاء بالضلالة و التلالة. و هذه الثانية ذكرها كلٌّ من أبي عبيد و كُراع , كما ذكرها ابن دريد في النوادر.

و في اللسان : "هو الضلال بن ثُهْلُل , و فُهْلُلُ ؛ لا ينصرف. قال يعقوب: و هو الذي لا يُعرف"[١٥٥]. و واضح أن ثمّة إبدالا في الثانية ؛ لما بين صوتي الثاء و الفاء من التجاور في المخرج. ولعل كلاًّ منهما اختص بلهجة أو جهة ما.

و من الواضح وجود صلة قوية بين دلالة مادة "ثهل" علي الانبساط علي الأرض , و دلالة هذه الكلمة الرباعية. فالاتساع في المساحة يجعل السائرين عرضة للتيه أو الضلال. و قد حُمِل الباطل , أو الضلال المعنوي علي ذلك. فالمبطل , أو المضلل ربما زاد في القول , أو اختلق الوقائع. و قد يكون حُمِل ما يئول إليه أمره مستقبلا , أو حين يلقي جزاءه , علي حال هذا التائه في مفازة , لا يعرف طريق الخروج منها!

و أرجح أن تكون كلمة (فهلوي) الشائعة في الكلام الدارج نسبة إلي "فُهْلُل" السابقة , بعد التخفف من اللام الثانية , أو إبدالها واوا. و ثمّة تقارب بين مخرج الصوتين , كما أنهما من أشباه الحركات. و (الفهلوي) قريب في سلوكه من سلوك أهل الباطل , أو الضلال ؛ لأنه خفيف الحركة , ربما توسل للوصول إلي مبتغاه بما لا يُتصوّر من القول أو الفعل.

و تعرف لغة الكتابة كلمات : حائر – خزيان – ضالّ. و ربما كان استعمال كلمتي (خجلان – خَجُول) أكثر من استعمال الكلمة الثانية في لغة الكتابة. و يشيع استعمال (خَزْيان) في اللغة الدارجة. و لعل هذا هو السبب في استبدال الكلمتين الأوليين بكلمة "خزيان" في الكتابة.

---

[١٥٥] و في اللسان / ثهل : "الثَّهَل : الانبساط علي الأرض. و ثَهْلان : جبل معروف".و في اللسان / فهل, أنّ كلمة "فُهْلُل" من أسماء الباطل.

و لا تعرف لغة الكتابة التعبير الثالث , ذلك الذي أوردناه ضمن التراكيب الأخيرة. و ربما يكون استعمالها لكلمة "خائب" الواردة في إحدي صوره قليلا أيضا ؛ لشيوع استعمالها مسهّلة الهمزة عامّيًّا.

و يستعمل العامة (لابه – يلُوبه) في الدلالة علي الحَوْم حول الشخص أثناء ضربه. و هو استعمال له بعض ارتباط بدلالته التي وقفنا عليها.

و قد استعمل القرآن جمع (البائر) في وصف حال الكافرين يوم القيامة , في قوله – تعالي - : "و كانوا قومًا بُورًا"(١٨ / الفرقان) بمعني :هَلْكَي.

و يستعمل العامّة (البایر – البایرة) في وصف الأرض غير المنتجة , أو غير الصالحة للزراعة , كما يصفون العانس بالكلمة الثانية.

و التركيب "تاعِسٌ واعِسٌ"[١٥٦] يرتبط معناه بمعاني التراكيب الأربعة السابقة , لكنه ربما خالفها في حدّة الدلالة المتمثلة فيما تفيده الكلمة الأولي. و نعرض له هنا أخذا بإحدى روايتي ابن فارس , أما الأخرى فجاءت كلمتها الأولي "ناعِس", و هي رواية المزهر. و لم يشر القاموس أو اللسان إلي أيٍّ من الروايتين.

و التَّعَس : الهلاك , و العِثَار , و السقوط , و الشرّ , والبعد , و الانحِطَاط. و الفعل : تَعِسَ ؛ بفتح العين وكسرها.[١٥٧]

و "الوَعْساء , و الأَوْعَس , و الوَعْس , و الوَعْسة , كله : السهل الليّن من الرمل , و قيل : هي الأرض الليّنة ذات الرمل, و قيل : هي الرمل تغيب فيه الأرجل".[١٥٨] فالواعس هو ذو الوَعْس , الذي يعاني من مشقة السيْر , و التعثر ؛ لصعوبة ثبات القدم. و كأن هذه الصفة

---

[١٥٦] في المزهر : ناعس واعس. و قد جاء هذا التركيب ضمن ما أخذه السيوطي عن ابن فارس , في إلماع الإتباع. و عند الرجوع إلي "الإتباع و المزاوجة" له , وجدناه يذكره (ص ٤٩) إلي جانب الرواية الأخري. و قد عقب بأن الواعس إتباع.

[١٥٧] القاموس / تعس.

[١٥٨] اللسان / وعس.

علّة للتعاسة ؛ فالعِثار و المشقات تعترض الطريق دائما , و هذا تأكيد للمعني الأول أيضا.

و "ناعس" تدل علي قريب من معني بديلتها "تاعِس" ؛ فهي تشير إلي أن الموصوف بها يبدو كالنائم , في عدم تنبّهه , و غياب إدراكه لحقائق الأشياء. و في اللسان[١٥٩] : "ابن الأعرابي: النَّعْس : لِين الرأي , و الجسم , و ضعفهما. أبو عمرو : أنعَس الرجل , إذا جاء ببنين كُسالي". و هكذا نكون مع الوصف "ناعس" و تابعه بصدد تركيب من كلمتين مجازيتي الدلالة علي الضعيف الرأي العاثر.

و قد ورد مصدر "تَعِس" في قوله – تعالي - (٨ / محمّد): "و الذين كفرو فتَعْسًا لهم , و أضَلّ أعمالهم". و ورد "النُّعاس" بمعناه الحقيقي في قوله – تعالي – (١١/ الأنفال) : "إذ يُغَشّيكم النُّعاسَ أَمَنَةً منه".

و "تاعس" غير شائعة علي الألسنة , و لا في الكتابة ؛ بل "تعِيس" , و ربما استعملت "تَعِس" في الكتابة , و كلتاهما صيغة مبالغة.

و يستعمل العامة اسم المفعول (متعُوس) , وهو مالم تدونه المعجمات ؛ و لذا أنكره الحريري قديما ؛ لأن "وجه الكلام أن يقال : تاعِس , و قد تِعَس".[١٦٠]

و يحرّف العامّة "الوَعساء – الوَعْسة" بإبدال عينهما حاء ؛ للإشارة إلي الموقف المحرج , أو الشدّة , يقعون في أحدهما. و كأنهم قد و قفوا علي التوظيف المجازي لـ "واعِس" في القديم. و في رأيي أن في مثل ذلك ما يدل علي التواصل بين أهل اللغة عبر العصور , و وجود ملامح للتماثل بينهم فيما يستعملون من مفردات أو تعبيرات.

و يشبه التركيب "خاسر دابر" سابقه في حدّة الدلالة , في الحقل نفسه.

---

[١٥٩] نعس.

[١٦٠] درة الغواص في أوهام الخواص٧٢.

و قد جاء أيضـــا : "رجل دامِرٌ : هالك لا خير فيه. يقال : رجل خاســـر دامر (عن يعقوب) كدابِر. و حكي اللِّحْياني أنه علي البدل. و قال : خَسِرٌ و دَمِرٌ و دَبِر ؛ فأتبعوها خَسِرًا. قال ابن سيده : و عندي أنّ خَسِرًا علي فعله , و دَمِرًا و دَبِرًا علي النسب".[١٦١]

و الصـــفات الثلاث تعني الهلاك , و إن أفادته صـــريحا كل من "دامر – دَمِر". فهما من الدَّمار , الذي هو اســـتئصـــال الهلاك. "دَمَر القومُ يدمُرون دَمَارا : هلكوا. و دَمَرهم : مَقَتَهم. و دمَرهم الله , و دمَّرهم تدميرا , و في التنزيل العزيز : "فدَمَّرناهم تدميرا" , يعني به فرعون و قومه".[١٦٢]

و "الخَسَار و الخُسْران و الخَسَارة و الخَسْر و الخَسَر , كل ذلك بمعني الضـلال. و الخَسَـار بمعني : الهلاك. و في التنزيل العزيز (١ , ٢/ العصر): "و العَصْر , إن الإنسان لَفي خُسْر". و الخاسر : الذي ذهب ماله وعقله ؛ أي خسرهما , كما جاء عن ابن الأعرابي. و تعني المادة الإبعاد عن الخير , علي ما في قوله – تعالي – : (٦٣/ هود) : "فما تزيدونني غيرَ تخسير". و الخَسْر و الخُسْران : النقص. و منه ما في قوله – تعالي – (٣ / المطففين): "و إذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون".[١٦٣]

و دَبَره يَدْبُره دُبورا : تبِعه من ورائه , و دابِر الشـيء : آخره. و في التنزيل (٤٥/ الأنعـام) : "فقُطِع دابر القوم الـذين ظلموا" ؛ أي اسـتؤصـل آخرهم. و دَبَر بالشـيء : ذهب به , و دَبَر الرجلُ : وَلَّي و شَـيّخ. و منه قوله – تعالي – (٣٣/ المدّثّر): "و الليلِ إذا دَبَر" ؛ أي تَبِع النهار قبله. و قرأ ابن عباس و مجاهد : "و الليل إذ أَدْبَر". و دَبَر النهارُ و أدْبَر : ذهب. أمسِ الدابر : الذاهب.[١٦٤]

إذن الكلمـات الثلاث بمعني واحد تقريبـا. و لعل التـابع "دابر" جاء ليؤكد شدة الخَسَار الذي لحق الموصوف ؛ فهو ليس مجرد نقص

---

[١٦١] اللسان / دبر , و دمر. و لم يشر إلي التركيب في "خسر" , بل ذكر أنه يقال : "رجل خَيْسَرَي : خاسر. و في بعض الأسجاع : بفيه البَرَي , وحُمَّي خَيْبَرَي , و شر ما يُرَي ؛ فإنه خَيْسَرَي. و قيل : أراد : خيْسَر ؛ فزاد للإتباع. و قيل : لا يقال : خَيْسَرَي إلا في هذا السجع".

[١٦٢] اللسان / دمر. و الآية ٣٦/ الفرقان. و في ١٠/ محمد : "... دَمَّر الله عليهم".

[١٦٣] راجع مادة خسر في اللسان.

[١٦٤] و راجع اللسان / دبر.

أو إبعاد عن الخير[١٦٥], بل ذهابًا و فَقْدًا أليمًا. و هو ما رأينا معاني "دبَرَ" تشير إليه , و تأتي "دامِر" لتصدع به في جلاء أكثر.

و الوصف الأول غير غريب علي الاستعمال في الكتابة و الكلام الدارج. أمّا الكلمتان الأخريان فغير معروفتين , و هما حريتان بالاستعمال في لغة الأدب.

و قد وقفنا علي تركيب "خَضِرًا مَضِرًا" في الوسيط , و كونه يأتي للدلالة علي هدْر الدم , إذا سُبق بما يدل علي ذلك[١٦٦], كما يأتي للدلالة علي يُسر اكتساب الشيء , و سهولة الانتفاع به. و قد مضي التوقف – بإجمال – عند المعني الأول , عند تصنيف التراكيب , و أزيد الأمر إيضاحا هنا.

في اللسان[١٦٧] أنّ "الخَضَارَة ؛ بالفتح : اللبن أُكثِر ماؤه. و الخَضِر : اسم للبقلة الخضراء. و هي الخُضْرة [١٦٨], و الخَضِير. و العرب تقول للخَضِر من البقول : الخَضراء. و الخَضِر جمع الخَضِرة , و هي الخضراء من النبات".

و الأرض الخَضِرة : الكثيرة الخُضْرة. و الخَضِرة : الحشيشة الرطبة. "و خَضِر الزرعُ خَضَرًا : نَعِم , و أخضره الرِّيّ. و أرض مَخْضَرَة ؛ علي مثال مَبْقَلة : ذات خُضرة. و قرئ : "فتصبح الأرض مَخْضَرة".[١٦٩]

و جاءت كلمة "خَضِر" في قوله – تعالي - : "...فأخرجنا به نبات كل شيء , فأخرجنا منه خَضِرًا , نخرج منه حَبًّا متراكبًا"(٩٩/الأنعام). و فُسّر الخَضِر هنا برطْب البقول , أو الحبوب المختلفة.[١٧٠]

---

[١٦٥] مع تفاوت هذا الخير , في غير ما أشارت إليه الآية الكريمة المستشهد بها علي هذا المعني.
[١٦٦] عبّر بقوله : ذهب دمُه خَضِرًا مَضِرًا.
[١٦٧] خضر.
[١٦٨] و أصل الخُضرة للريحان و البقول.
[١٦٩] اللسان / خضر. و الأية ٦٣/ الحج. و القراءة شاذة , و ليست في الأربع عشرة. و المتواتر : "مُخضَرّة".
[١٧٠] القرطبي ٤/٤٤،٤٥.

لعله يتضح ممّا مضي دلالة الجذر علي معنيين متضادّين, أو كأنهما كذلك. و هما : حسن الشئ و نعومته , أو رداءته , و عدم اكتماله.

فأمّا المعني الأول فإنه يدور حول اخضرار النبت , و ريّه, و نعومته. و قد رأينا امتنان الآية علي المخاطبين باخضرار الأرض عقب المطر. و قد جاءت الإشارة إلي النعمة, أو سعة العيش بأنها خَضِرة. فجاء في دعاء عَليٍّ علي أهل الكوفة : "اللهمّ سلِّط عليهم فتي ثقيف يأكل خَضِرتها". كما شبه المال, و الدنيا به , في الحديث ؛ ففيه : "و إنما هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ". و كذا فيه : "إنّ الدنيا حُلوة خَضِرة مَضِرة". كما وصف الغزو فيه أيضا بالخَضِر ؛ لما ينزل الله من النصر , و يسهّل من الغنائم , كما عقّب في اللسان. كذلك استعمل الفعل من المادة لإفادة يُسر الأمر وسهولته , أو ثبوت جدواه و منفعته. و هو ما نجد اللسان ذكر مجيئه في الخبر : "من خُضِّر له في شيء ؛ فليلزمْه".قال : "معناه : من بورك له في صناعة , أو حرفة , أو تجارة فليلزمها".

و كل ما سبق يشهد لما جاء من قولهم : هو لك خَضِرًا مَضِرًا ؛ أي هنيئًا مَريئًا.[١٧١]

فأما المعني الآخر فيشير إليه معني الخَضَارة , و هي اللبن أكثر ماؤه[١٧٢], و الخَضِر للبقلة الخَضراء , و الخَضِر بمعني النبات الأخضر.

و كما أن اللبن مشوب بما يذهب بجودته , أو ما يفقده صفته , فكذلك البقل, و النبات و كل منهما أخضر , ما يزال في طور النموّ. و قد سمّي بيع الثمار الخُضر , أي التي لم يبد صلاحها , ببيع المُخاضرة. و هو منهي عنه.

---

[١٧١] في اللسان / مضر : "و خذ الشيءَخِضْرًا مِضْرًا , و خَضِرًا مَضِرًا. و قيل : الخِضْر : الغَضّ ,و المِضْر : إتباع. و الدنيا خَضِرةٌ مَضِرةٌ ؛ أي ناعمة غضّة". و ذكر أنه يقال : خَضْرًا لك و مَضْرًا ؛ أي : سقيا لك و رَعْيًا.

[١٧٢] في اللسان / خضر : قال عن هذا اللبن : إنه "الذي ثلثاه ماء, و ثلثه لبن. سمّي بذلك لأنه يضرب إلي الخضرة".

و هذا يقربنا من معني آخر , و هو معني اختضـــار الشـــيء , و هو اقتطاعه صـــغيرا. و هو كما يصـــدق علي الزرع غير البادي الصلاح , يصدق علي الميت فتيًّا. و في اللسان : "اختُضِر الشيءُ : أُخِذ طريّا غَضًّـــا". و أرانا بذلك نكون قد انتهينا إلي الســـبب في تعبيرهم عمّن أُهدِر دمُه بقولهم : ذهب دمه خَضِـــرًا مَضِـــرًا. فهو قد اختُضِر , و صار كالزرع غير الناضج , أو كاللبن الذي يغلب عليه الماء ؛ فصار ممّا يُزْهَد فيه.

و يدل الجذر "مضـــر" علي الحموضـــة و الابيضـــاض. و مَضَّر : جمَع . و قيل : أهلك. و قيل إنّ ذلك المعني مأخوذ من مجيء الكلمة في التركيب الإتباعي عن إهدار الدم.[١٧٣]

و قد ذكر اللسان التركيب : ذهب دمُه خِضْرًا مِضْرًا ؛ أي هدْرا , و قال إنه إتباع. و ذكر عن الكسائي أنها "بِضْر" بالباء. و هذا الذي جاء عن الكســائي يجعلنا نتوقف أمام مادة الكلمة ؛ لننتهي إلي أنها لا تحوي إلا الكلمة ,وما دخلها من الإبدال في صـــوتها الثاني , و كون ذلك معروفا , له أمثلة مقابلة له تعضده.

فالكلمة قد تكون "بَضْـــر". و هو نَوْف الجارية قبل أن تُخفَض. فمن العرب من يقول ذلك بدلا من "البَظْر" , و منهم من يقول :قد اشتكي ضَهْري. و يروي أن الكلمة "البُضَيْرة" تعني بطلان الشيء.

أقول : لدينا – إذن – كلمة جديدة , وظّفت دلالتها المادية ؛ لتكون بإزاء دلالة معنوية , و هيَ هدْر الشيء و إبطاله. و جاء: ذهب دمه بِضْرًا مِضْرًا خِضْرًا , و ذهب بِطْرًا.

و ذكر أن البِطْر"أصـــله أن يكون طلاّبه حراصـــا باقتدار و بَطر ؛ فيُحرموا إدراك الثأر".[١٧٤]

و ذكر عن الكســـائي أيضـــا : ذهب دمُه بِطْرا , و بِطْلا , و فِرْغًا , إذا بَطَل. فالكلمة الأولي قد تكون من بَطَر الحق ؛ بمعني رؤيته باطلا. و قد يكون معناها أنه أُبطل بسبب التحيّر و الدّهَش. و هو أحد معاني الكلمة.

---

[١٧٣] اللسان / مضر.

[١٧٤] اللسان /بطر.

و "أَشِـرٌ أَفِرٌ" بمعني الشّـديد البَطَر. قال ابن سـيده :"الأَشِـر: البَطِر المَرِح. و كذلك الأَفِر عند ابن الأعرابي... و قد قالوا : أَشْـران أفْرانُ".[١٧٥]

و في اللسـان[١٧٦]: " الأَشَـر : المَرَح , و ...البَطَر. أَشِـر الرجلُ يأشَر أَشَرًا ؛ فهو أَشِر , و أَشُر , و أَشْران : مَرِح. و في حديث الزكاة , و ذكر الخيل : و رجل اتّخذها أَشَـرًا و مَرَحًا. الأَشَـر : البَطَر , و قيل : أشدّ البَطَر...و يُتبَع أَشِر ؛ فيقال : أَشِرٌ أَفِرٌ , و أَشْرانُ أَفْرانُ".

و في المعجم الوسيط : "أَفَر يَأْفِر أَفْرًا و أُفُرًا : نشط , و – وثب في عَدْوه, و- القِدْرُ : اشتدّ غليانها , و – الحيَوان : سَمِن بعد الجَهْد , و – الخادمُ : خَفّ في الخدمة".

و دلالة الفعل علي النشـاط و الإسـراع في الحركة , و النماء أو السِّمَن بعد الشدّة أو المعاناة – تجعله مناسبا لأن يشتق منه تابع للكلمة الأولي . فالأَشـر فرِح نشِـط , ظاهرةٌ عليه آثار النعمة في هيئته و سلوكه.

و قد وردت الكلمة الأولي من التركيب في ذكر تكذيب ثمود لنبيهم. قال – تعالي - : "أَأُلْقي الذِّكرُ عليه من بيننا؟ بل هو كذابٌ أَشِـرٌ"(٢٥ / القمر). و ربما اسـتعمل المثقفون و من إليهم كلمتي (كذاب أشر) في وصف بعض من يرونه كذلك.

علي أنّ المستعمل بين الخاصة وغيرهم هو المصدر : البطَر. و يستعملون أيضا الوصف بالبطران.

أمّا الكلمة التابعة فلا يستعملها المثقفون و الكتاب , و لا العامة.

و قد جـاء التركيب "أُفٍّ و تُفٍّ" في المـقامة الدمـشقية من مـقامـات الحريري ؛ إذ فيها أن الراوي قال للبطل أبي زيد ؛ تعقيبا علي شـعر أنشـده إياه, بعد أن ألفاه في الحانة , و كان قد تسـلّل إليها دون أن يدري –"بَخٍ بَخٍ لروايتك, و أُفٍّ و تُفٍّ لغَوَايتك".[١٧٧] و سبق أن عرضنا لما ذكره الخليل عن الكلمتين.

---

[١٧٥] المخصص ٤ / ٢١٦.
[١٧٦] أشر , و انظر : أفر أيضا.
[١٧٧] مقامات الحريري ١٢٢.

و الواضح أنّ التركيب يراد به التعبير عن كراهية المتحدث لما يري من منظر أو سلوك. و "أُفٍّ" اسم فعل بمعني: أتضجّر. و قد ورد في قوله – تعالي - : "فلا تقُل لهما أُفٍّ , و لا تنهرهما"(٢٣/ الإسراء). قال في اللسان [١٧٨]: "و التّفّ منسوق علي أُفٍّ , و معناه كمعناه". و قد اختلف في شأن "التّفّ" بين أن تكون بمعني وسخ الأظفار , و أن تكون إتباعا لكلمة "أُفّ" المأخوذة من الأَفف , و هو الشيء القليل. و عليه , فقولهم : أفٍّ له معناه : قلّة له.

و نجد في اللسان ما يشير إلي الانتقال بمعني الكلمتين من الارتباط بدلالة محدّدة , إلي ما هو عام شامل لكل ما يندرج تحت حقلهما الدلالي.

قال[١٧٩] : "الأُفّ : وسخ الأذن , و التّفّ : وسخ الأظفار. فكان ذلك يقال عند الشيء يستقذَر , ثم كثر حتي صاروا يستعملونه عند كل ما يتأذّوْن به".

و يستعمل عامتنا (تفَّ) فعلا بمعني نفَث بلعابه نفْثا شديدا , أو بصَق. و ينطقون بمصدر الكلمة , مضموم الأول عند إرادتهم التعبير عن كراهيتهم لأمر , أو شخص.

و الأقرب أن تكون (تَفَّ) مأخوذة من "تَفَل يتفُل , و يتفِل تَفْلا ؛ بمعني : بصَق. و التُّفْل و التُّفَال : البُصاق و الزَّبَد و نحوهما".[١٨٠]فكأن العامة ضعّفوا الفاء عوضا عن اللام التي سقطت لكثرة تداول الكلمة , أو بسبب الخطأ السمعي.علي أن هذا الفعل , و إن اشتبه بتابع "أُفّ" في التركيب الإتباعي , و قربت دلالته منه بعض القرب – إنه ليختلف عنه , كما رأينا. و لعل ممّا يؤكد ذلك ذِكْر اللسان أن معني "تَفْتَف الرجلُ : إذا تقَذّر بعد تنظيف".

---

[١٧٨] أفف. و فيها :"أُفّ كلمة تضجر , و فيها عشرة أوجه , أو لغات , ذكرها ابن مالك في قوله :

فأفَّ ثَلّث ونَوِّن إن أردت وقل أُفّي و أُفٍّي و أُفْ و أُفّةً تصِبِ

و هي اسم فعل محمول علي أفعال الأمر. و قال الزجاج : معني أفّ : النتْن".

[١٧٩] اللسان / تفف.

[١٨٠] اللسان / تفل. و فيه : "و التفل بالفم لا يكون إلا و معه شيء من الريق. فإذا كان نفْخا بلا ريق فهو النفْث". و ذكر أن "التَّفْل شبيه بالبزْق. و هو أقل منه. أوله البَزْق , ثم التفل , ثم النفْث , ثم النفخ".

و التركيبان :"بَذِيرٌ عَفِيرٌ – مُضِيعٌ مُسِيعٌ" يندرجان تحت معني عام يجمعهما , و هو تبديد الشـيء و إضـاعته. و ربما اختص الأول بالدلالة علي الغاية في نثر الشـيء و تفرقته في مكان متّسـع. و من ذلك بَذْر الحَبّ , كما اشـتُقّ من الجذر الفعل "بَذَّر" الدالّ علي السَّـفه في إنفاق المال[١٨١] , و اسـتعمله القرآن الكريم. ففيه : "... و لا تُبَذِّر تبذيرًا. إنّ المُبَذِّرين كانوا إخوان الشياطين..."(٢٧،٢٦/ الإسراء). و اسـتعمل الفعل مجازيّا في إفشـاء السـرّ , كما جاء في الأثر عن السيّدة فاطمة – رضي الله عنها – عندما سُئلت عن كلام أُسِرّ به إليها – فقالت :"إنّي إذن لَبَذِرَة".[١٨٢]

و "عَفِيرٌ" من العَفْر و العَفَر , و هو ظـاهر التراب.[١٨٣] و جـاء من إحـداهمـا الفعـل "تُعَفَّر" بمعني : تمسّ التراب , في البيـت الثاني من قول المرقش الأكبر:

و في الحيّ أبكـارٌ سَـبَيْنَ فـؤادَه
عُلالة ما زَوَّدْن و الحُبّ شـاعِفِي
دِقَاق الخُصُور لم تُعَفَّر قُـرُونها
لشَجْوٍ ولم يَحضُرْن حُمَّي المَزَالف[١٨٤]

فالموصـوف بأنه بَذِير عَفِير إمَّا أن يكون فاعلا فيراد أنه متلف للمـال , أو لمـا يملك ؛ فهو كمن يلقي بـه في التراب , أو يبذره

---

[١٨١] و قد أبان بعض الباحثين مدي الدقة في التعبير بـ (التبذير) لا التفريق و النثر - عن إنفاق المال بوجه مذموم. قال :"أما التفريق فقد يكون منظما , و قد يكون إلي متلقين ؛ فيخلو مما في التبذير من احتمال الإهدار... (و) نثر الحب إذا بذر (إلا أنه) لا يعبر عن كل حزمة المعاني التي في التبذير بمذاقاتها. فالنثر فيه معني قلة المنثور, وكبر حجمه نسبيا... (و) استعمل في الدّرّ "در منثّر" و هو نفيس و قليل كما هو واضح". علم الاشتقاق للدكتور محمد حسن جبل ١٤٦،١٤٥.

[١٨٢] اللسـان / بذر. و فيه : "و كثير بَثِير و بَذِير : إتباع. قال الفرّاء : كثير بَذِير مثل بَثِير , لغة أو لغَيّة. و رجل هُذَرَةٌ بُذَرة , و هَيْذارة بَيْذارةٌ : كثير الكلام". و كان ذكر أن "البَذِير من الناس : الذي لا يستطيع أن يمسك سرَّه. و رجل بَيْذارة : يبذِّر ماله. و بَذُور و بَذِير: يذيع الأسرار و لا يكتم سرًّا.... يقال : بذَرت الكلام بين الناس كما تُبذَر الحبوب ؛ أي : أفشيته و فرّقته".

[١٨٣] اللسان / عفر. و في الوسيط : زرع العَفِير : بذر الحبوب في الأرض قبل سقيها.

[١٨٤] المفضـليات ٢٣١. و القرون : الضـفائر , و الشـجْو : الحزن , و المزالف القري التي تكون بين الريف و البادية , واحدتها مَزْلَفة.

فوقه. فـ "فَعِيل" بمعني "فاعل". و قد يكون الموصوف هو المُلْقَي به في التراب المفرّق غـايـة التفريق فوقَـه. وعلي ذلـك تكون "فَعِيـل" بمعني "مفعول".

و هكذا ندرك أن كلمة "عَفير" مؤكّدة لمعني متبوعتها , و إن كان ذلك التأكيد راجعا إلي أحد مســتلزمات معني البذر , الذي دلّت عليه الكلمة المتبوعة. و هكذا لا نكون بصدد ترادف تامّ بين الكلمتين إلا إذا تغاضـينا عن اختصـاص كلتيهما بمعني , علي ما أوضـحنا. و هنا نجد الكلمة الثانية مترتبة علي الأولي.

و "مضـيع" واضـحة المعني ؛ و لعل السـامع يعتمد عليها في فهم معني تابعتها[١٨٥] ؛ و هو هدف أصـيل لدي المسـتعملين لمثل هذه التراكيب , من القدماء المهتمين بالسجع و المحسّنات البديعية , و هو ما نجده في المقامات , و ما شاكلها من الرسائل[١٨٦].

قال ابن فارس في المقاييس : "السـين و الواو و العين يدل علي استمرار الشـيء و مُضِيّه. من ذلك السـاعة سُمِّيت بذلك. يقال : جاءنا بعد سَـوْعٍ من الليل , و سُـوَاع ؛ أي : بعد هَدْء منه ؛ و ذلك أنه شـيء يمضـي و يسـتمرّ... و يقال : أَسَـعْت الإبل إسـاعة ؛ و ذلك إذا أهملتها حتي تمر علي وجهها. و ساعت فهي تَسُوع. و منه يقال : هو ضـائع سـائع , و ناقة مِسْـياعٌ , و هي التي تذهب في المرعي. و السِّيَاع : الطّين فيه التِّبْن".[١٨٧]

و "مُضِـيع" و "ضـائع" غير غريبتين علي لغة الكتابة. و يستعمل العامة الكلمة الثانية مسهلة الهمزة. و يستعمل العامة "بذر" مع إبدال ذالها دالا , و هو إحدي الصور التي صار إليها هذا الصوت في منطقهم[١٨٨]. كما يسـتعملون كلمة (العَفْر) المسـكّنة الوسـط ؛

---

[١٨٥] و في اللسان / سوع : "و هو ضائع سائع. و أساعه : أضاعه. و رجل مُسِيع مُضِيع".
[١٨٦] و انظر : علم لغة النص , النظرية و التطبيق , للدكتورة عزة شبل محمد ١٥٢.
[١٨٧] و قارن بالأمالي للقالي ٢ /٢١١.
[١٨٨] يصير هذا الصوت زايا في مثل كلمة "ذئب". و هذا و سابقه من التحريفات التي ينبغي أن تصحّح, أو لا يُتجاوَز بها مستوي التخاطب اليومي.

يريدون بها ما اســتثارته الرياح من تراب الأرض. و هو غير بعيد عن معناه الذي أشرنا إليه سابقًا.

و "ســائع" التابعة لـــــ "ضــائع" تجعلنا نربط بينها وبين كلمة (صــايع) الشــائعة في الكلام الدارج وصـفا لشُـذّاذ الأشـخاص , الذين يُخشـي أذاهم , أو سوء سلوكهم. و قد يعَبّر بالفعل (نِصِيع – صِـعْنا) للـدلالـة علي فوات المنفعـة المعينـة , أو لُحوق نقص مـا بـالمرء في طعامه , أو نظام معيشـته. و هذا كله راجع إلي الفعل "سـاع يَسُـوع" بمعناه الدال علي الذّهاب للشــيء وإضــاعته , علي ما مضــي. وهما واضـحان في استعمال العامة للوصـف , و تعبيرهم بالفعل. و في كليهما نظر إلي ما سيصـير إليه أمر هذا (الصـايع) من الهلاك أو العقوبة[١٨٩] ؛ فكأنه سـمّي بما سـيصـير إليه , أو وصـف باعتبار ما ســيكون , و هي من علاقات المجاز. علي أنه في وصـــف شُـــذّاذ الأشـــخاص قد يكون أقوي و آكد منـه في الحديث عن فوَات المنفعة.

و ربّما سـمعنا بعضــهم يَصِـم بعض العاطلين , و مَن إليهم بأنّه (صـــايع ضـــايع) ؛ فنجد في ذلك تحقّقًا لتلك الظاهرة اللغوية التي نتناولها بالدرس في هذا البحث. و هو ما يمكن أن نجد في كلام الناس نماذج أخري تماثله.

و لا تعرف لغة الكتابة صيغة "فَعِيل" من "بَذِير – عَفِير".

و التراكيب الســادس و الخامس عشــر و الثالث والعشــرون دعائيّة , علي ما هو واضح.

و يراد بالأول أن يصـــحب عدمَ البركة عدمُ القدرة علي إدراك ما فات , وعدم الخلاص مما يتطلب من المرء.[١٩٠]

و ذكر الســيوطي أن "بَيَّـاك" في التركيـب الثـاني تعني : أضحكك. قال : زعموا. و قال قوم : قرّبك. و أنشدوا:

---

[١٨٩] قال ابن الأعرابي : "السّاعَة : الهَلُكَي , و الطَّاعَة : المطيعون, و الجاعة : الجِياع".

[١٩٠] في الوسيط : تاركه البيعَ وغيره , و فيه : صالحه علي تركه.و الإتباع هنا يمكن أن يفرد , كما في الجمهرة ؛ لوضوح استقلالية معني كلمتيه.

لــمّا تبيّنْــنا أبا تمـــيم أعطي عطاء الماجد الكريم[١٩١]

و ذكر ابن قتيبة التركيب في باب "تأويل المستعمل من مزدوج الكلام" ضمن "كتاب المعرفة" أحد أقسام كتابه "أدب الكاتب".[١٩٢]

و أورد المعجم الوسـيط التركيب , كما ذكرنا من قبل. و ذكر الفعل (بَيّا , يُبَيِّي تبيِيَةً) , و أنه يعني : التبيين و التوضـيح, و المسـرّة و التعجيل بالمحبوب, و إحلال المرء مكانا حسنا. و ذكر الفعل (تَبَيّاه) بمعني : تعمده, و قصده.

و "رَغمًا دَغْمًا شَـنّغْما" يرجح أنّ كلماته منصـوبة علي الدعاء , علي ما في قولهم : سَـقْيًا لفلان , و رَعْيًا له , و علي مثل ما في قوله – تعالي - : "...فضَـرْبَ الرِّقاب"(٤/ محمد). فهذا دعاء علي المتوجّه إليه به , أو المحدَّث عنه , أن يضـطر إلي ما لا يرغب فيه , و أن يسـودّ وجهه , أو أن تتضـاءل بنيته , أو أن تتداخل , و أن يشنَّع عليه.

قال أبو علي القالي : "فالدّغَم و الدُّغْمة : أن يكون وجه الدابة و جحافلها تضرب إلي السواد , و يكون وجهها ممّا يلي جحافلها أشد سوادا من سائر جسدها. فكأنه قال : أرغمه الله و سوَّد وجهه. و يمكن أن يكون الدغم الدخول في الأرض ؛ فيكون من قولهم : أدغمت الحرف في الحرف , و أدغمت اللجام في فم الفرس".[١٩٣] و لم يعرف أحد من شـيوخ القالي كلمة "شِـنَّغْم". و روي أن كثيرا من النحويين صـحَّف الكلمة في كتاب سـيبويه ؛ لتكون بالعين غير المعجمة. قال :"و الذي روي ذلك له وجه من الاشتقاق , و هو أن تجعل الميم زائدة , كما أنها في زُرْقُم , و سُـتْهم , و جَلْهَمَة. و يكون اشـتقاقه من

---

[١٩١] المزهر ٤١٩/١. و روي البيت في الجمهرة: (... أخا تميم ....). و ذكر أن التركيب يمكن أن تفرد كلمته الثانية لكونها ذات معني مستقل. و انظر:العين (بيي) ١٧٦/١. وذكر البيت

بَيَّـــا المسافر فاهتبلها فرصة و احْبُ النـديم و حيِّه بـسلام

و انظر : أساس البلاغة/بيي.

[١٩٢] انظره ٤٢ , ٤٣.

[١٩٣] الأمالي ٢ /٢١٦.

الشناعة. كأنه قال : أرغمه الله و أدغمه , و شَنّع به, و يقولون : فعلت ذلك علي رَغْمه و شَنْعه".

و في اللسان[١٩٤]: "رجل شَغِمٌ :حريص. و يقال : رَغْمًا دَغْمًا شِنَّغْما. كل ذلك إتباع. قال ابن سيده : و زعم ثعلب أن شِنّغْما مشتق من الرجل الشِّنّغْم ؛ أي : الحريص... ابن السكّيت: رَغْمًا له دَغْمًا شَغْمًا ؛ تأكيدا للرغم بغير واو...قال : و لا أعرف الشَّغْم و الشُّغْمُوم : الطويل التام الحسَن من الناس و الإبل... و منه قول ذي الرمّة :

* و استرجعت هامَها الهِيمُ الشَّغَامِيمُ *...

و الشُّغْمُوم : هو الشاب الطويل الجَلْد".

و "سَغَّم الرجلَ : أحسن غذاءه. الجوهري : سَغّمت الطين ماءً , و الطّعامَ دُهنًا : رَوّيته و بالغت في ذلك. المحكم : و كذلك : سَغَم الزرعَ بالماء , و المصباحَ بالزيت. قال كثيّر...:

أو مصابيحَ راهب في يَفَاعٍ سَغَّم الزيتَ ساطعاتِ الذّبال

أراد : سَغَّم بالزيت ؛ فحذف الجارّ... و سَغَّمَ الرجل إبلَه : أطعمها و جرّعها...قال ابن الأعرابي : يُسَغّمه : يربّيه. ابن السّكّيت في كتاب الألفاظ : يقال : رَغْمًا دَغْمًا سَغْمًا. قال : كله توكيد للرغم بغير واو جاء... و قال اللحياني : رغمًا له و دَغْمًا و سَغْمًا ؛ بالواو , و فعل ذلك علي رغمه و سَغْمه".

و العلاقة واضحة بين معاني هذه المادة الأخيرة و التي قبلها. فالتروية بالماء و غيره و الإطعام و إحسان الغذاء , يترتب عليها – و بخاصة الأخيران – تحقق الطول و الحسن و الجلادة , و هي معاني الشَّغْم و الشُّغْمُوم. و يبدو أن النون المشدّدة زيدت قبل الغين ؛ لتقوية معني الكلمة.[١٩٥]

---

[١٩٤] شغم , و راجع أيضا مواد : سغم , و شعم , و شنح.

[١٩٥] أورد الصغاني في التكملة و الذيل و الصلة أن الجوهري أهمل كلمة "شِنَّغْم" , و ذكر أنه جاء عن ثعلب : "علي رَغْمه و شِنّغْمه. و قال أبو زيد :رَغْمًا سِنَّغْما؛ بالسين المهملة. و قال الأزهري : أنا واقف في هذا الحرف. و الصواب عندي بالسين غير معجمة". كما أشار إلي إهمال الجوهري كلا من كلمتي "شِنَّعْم – شِنَّحم". و ذكر عن سيبويه أنهما علي مثال جِرْدَحْل؛ بمعني : الطويل و السمين. المعجم العربي نشأته و تطوره , للدكتور حسين نصار ٢ / ٤٠٣.

و يبدو أنّ الكلمة قد تلعّبت بها الألسنة ؛ فأضافت إلي بنائها , و يرجح أنها بعيدة عن جمهور اللغة المستعمل , كما نالها من التصحيف ما جعل بعض اللغويّين يتوقفون في قبولها , كما رأينا القالي يفعل , وكذلك الأزهري و الجوهري. و هذا ابن منظور يذكر أنّ "الشّعْم : الإصلاح بين الناس. و هو حرف غريب. و الشُّعْمُوم و الشُّغْمُوم ؛ بالعين و الغين : الطويل من الناس والإبل. و في التهذيب : الطويل بغير تقييد. و زعم يعقوب أنّ عينها بدل من غين "شُغْمُوم". فالشَّعْم و الشُّعمُوم – علي ما يبدو – هما الأحدث ؛ لما ذكر من معني للأولي رؤي أنه غريب. وذلك – فيما أظنّ- لأنه مجازي. فإذا كان الشُّعْمُوم و الشُّغْمُوم بمعني واحد ؛ و ذلك للإبدال , علي ما رأي يعقوب – فإنّه قد جُعل الإصلاح بين الناس بمثابة دلالة الشَّغْم علي الحِرْص , و تمام الطول و الحسن ؛ لما بين المعنيين من التناسب , وتماثل الأثر المترتب عليهما. و صغر المساحة التي تشغلها "شعم" في اللسان بالقياس إلي "شغم" بالغين المعجمة – ربما يقوّي ذهابي إلي حداثة "شعم" بالعين المهمَلة.

و قد أشرت في الحاشية السابقة إلي استدراك الصغاني كلمة "شِنّحْم". و جذر الكلمة يلتقي مع "شغم" في وصف الناقة التامّة الخِلْقة , علي ما نجد في اللسان. ففيه :"الليث : الشَّنَاحِيّ , ينعت به الجمل في تمام خلقته. و أنشد :

أَعِدُّوا كلَّ يَعْمَلة ذَمُول و أَعْيَس بازِلٍ قَطِمٍ شَنَاحِي

الأصمعي : الشَّنَاحِيّ : الطويل... ابن سيده : الشَّنَاح و الشَّنَاحِيّ و الشَّنَاحِيَة من الإبل : الطويل الجسيم... و رجل شَنَاحٍ و شَنَاحِيَة: طويل".

و تقارب الأصوات وراء تقارب المعني , أو وراء توالد الكلمات ؛ ربما ليختص بعضها بالشيوع لمعني بعينه , أو بالاستعمال في بيئة أو جهة دون الأخري. علي أنه يبقي أن الغرابة سمة واضحة لكلمة "شِنّغْم" و ما ماثلها, أو تولّدت منه. هذا بخلاف ما أشرنا إليه من وقوع التصحيف فيها , و هو ما جعلنا نبحث في المواد الأربع : شغم , و سغم , و شعم , و شنح. و هو أيضا

ما جعل القالي يتلمس وجها للكلمة ؛ فيجده في كونها مشـــتقة من الشناعة أو التشنيع.

و توجيه "شِـنَّغْما" علي ما أوردنا عن معني أصـل الكلمة في اللســان - وإن كان ابن السـكّيت لم يعرفه – أنه يدعو عليه بأن يواجَه بالتام الحسن من الناس , أو القويّ الذي ينال منه , أو الناقة التي تعنُف به أو تؤذيه. و قس علي ذلك "شِنَّحْما", و "سِنَّغْما". و لعل هذه الأخيرة هي الأصـل ؛ إذ ذكر ابن السكيت واللحياني المصـدر : "سَـــغْم" ضـــمن التركيب كما ســـبق أن رأينا , كما رأينا الأزهري يرفض "شِنَّغْما" بالشين ؛ لأن الصحيح أنها بالمهمَلة.

و كلمة "رغْم" غير غريبة علي أذن العامة و الخاصـة , و لا في كلامهم. و تســـتعمل لغة الكتابة التعبيرات : "علي الرغم من كذا..." , "برغم كذا ..."، "...رغمًا عن كذا...". و أمّا الكلمتان الأخريان فهما علي الخلاف من ذلك, و بخاصـة الثانية -"شِنّعْم" - و كذلك ما اشـتق من المواد ذات الصـلة بها – كل أولئك لا يعرف في كلام العامة , و لا في الكتابة.

و التركيب "تافِهٌ نافِهٌ" يلفتنا فيه وضـــوح معني الكلمة الأولي منه[١٩٦] , و كونها شـــائعة علي الألســـنة , إلا أنّ الثانية غريبة , مثلها مثل بقية الكلمات الثواني أو التالية للكلمات الأولي. علي أنّ هذا التركيب يقوي ليكون أدبيًّا بهذه الكلمة الثانية , أو التابعة. وقد ورد الفعل منها في الحديث الشـريف , الذي خاطب به النبي – صـلي الله عليه وســلم – عبد الله بن عمرو , و قد عزم علي أن يلزم نفســه بما يشـــق عليها من أنواع العبادات ؛ فقال : "إنّك إن فعلت ذلك هجَمت عيناك و نَفِهَت نفسُك"[١٩٧].

---

[١٩٦] في التاج : "تَفِه فلانٌ تُفُوهًا , إذا حَمُق. و رجل تافه العقل : قليله". و فيه : "المنفوه : الضعيف الفؤاد الجبان. و النُّفوه : ذلة بعد صعوبة. و نفِهَت نفسُه : أَعْيَت و كَلّت".

[١٩٧] الأمالي ١/ ١٠.

و يتصـــل بمعني التركيب ما يدل عليه كلٌّ من : حَقِير نَقِير – ضَئيل بَئيل. فهما يدلان علي صـغر شـأن ما يوصـف بهما, أو صِـغَر حجمه.

و الكلمتان الأوليان في التركيبين معروفتان بين الفصـــحاء و الكتّاب.

و "نَقِير" كلمة قرآنيّة , و ردت في قوله – تعالي - : "... فـإذاً لا يُؤتون النـاس نَقِيرًا", "و لا يُظلَمون نَقِيرًا"(٥٣, ١٢٤/ النساء) , و هي بمعني النّقرة في ظهر النواة[١٩٨]. فهي مصدر أو اسم مفعول. و هذه ربما استعملها المشتغلون باللغة, و ذوُو الثقافة القرآنية في تعبيراتهم.

و بقية الصيغ ربّما كانت بمعني فاعل أو مفعول.

و يتضح من سياق استعمال كلمة "نَقِير" , و معناها أنها تشير إلي صِـــغر الشـــيء , و بلوغه الغاية في ذلك. و هي في التركيب الإتباعي تعني ذلك. و قد وجهت توجيهاً آخر يلتقي في آخر الأمر مع المعني الســـابق , و إن اختلفت في دلالتها هنا , علي ما هو معروف من التعدّد الغالب لمعاني الكلمات , و تناســب أحدها وحدَه مع السياق دون غيره. لقد جُعلت بمعني الشاة الهزيلة التي يُنقَر عرقوبها , أو إحدي أرجلها ؛ ليوضع فيه خَيْط ؛ لتهمَل بعدئذ[١٩٩].

و عليه , فقد جعل الحقير كأحد هذين الشـــيئين : كالنقرة في ظهر النواة , أو الشاة الهزيلة المهمَلة. فكأنهم أرادوا أنه حقير مميّز , أو معروف بهذه الصفة.

و قد مضـــي التوقف عند معني "بَئِيل" في حديثنا عن معجم العين , و عرفنا أنها تعني : الصـغير النحيف الضـعيف , و أنّ إحدي الكلمات من مادتها . و هي "البَأْلة" تعني القارورة بلغة بلحارث , و أنها بالنّبَطيّة بالتاء. و هذا يعني ارتباط هذه المادة بهذه اللهجة البائدة من لهجات العربية ؛ و هو ما يمكننا تعليل غرابة الكلمة "بَئِيل" به.

أقول : لعل "البَأْلة" هي (البالة) الشـائعة الاسـتعمال في كلام العامة , و ربما في الكتابة , مشـــارًا بها إلي ما يحتوي علي الملابس

---

[١٩٨] الأمالي ٢ /٢١٢.

[١٩٩] الأمالي / ٢١٢/٢.

المستعمَلة , أو الرخيصة الثَّمن. و كأنها شُبِّهت بالقارورة لأنّ ما بها يوضع متراصّا بعضه فوق بعض.
و لعلي سمعت بعضهم يدلّل أحد الصغار قائلا له : (يا بُؤْلة).

اختُلف في "النُّوع" بين أن يكون بمعني الجُوع ؛ فتكون الكلمة تكرارا للأولي ؛ تأكيداً لها لأنّ لفظها مختلف. قال ابن منظور : "النُّوع ؛ بالضمّ : الجوع. و صرّف سيبويه منه فعلا فقال : ناع يَنُوع نَوْعًا ؛ فهو نائع. يقال : رماه الله بالجوع و النُّوع. و قيل النُّوع : إتباع للجوع , و النّائع إتباع للجائع". و رأي بعضهم أنّه غير إتباع "لأنّ الإتباع أن يكون الثاني بمعني الأول".
و قيل إنها بمعني العطش ؛ لأنه "لو كان الجوع نُوعًا لم يحسن تكريره". و لكون الكلمة ذات معني خاص بها فإنها تستعمل مفردةً لتفيد هذا المعني , علي ما جاء في قول القُطَامي:
لَعَمرُ بني شهاب ما أقاموا صدور الخيل و الأَسلَ النِّيَاعَا
بمعني الرماح العِطَاش إلي الدماء.
و يبدو أنّ ابن بَرّي لا يري فيما رواه أبو زيد من قولهم : "جوعًا له و نُوعًا , و جُوسًا له و جُودًا" – إتباعًا ؛ لأن الإتباع لا يكون بحرف العطف".
و لـ "لنّائع" معني ثالث هو اللين و الحركة و التمايل. و في اللسان : "يقال للغصن إذا حرّكته الرياح فتحرّك : قد ناع ينُوع نَوَعانًا , و تنَوّع تنوّعًا , و استناع استناعةً , و قد نوّعته الرياح تنويعًا : إذا ضربته و حرّكته. و قال ابن دريد : ناع ينُوع , و يَنِيع : إذا تمايل".[٢٠٠] و قد أشار القالي إلي معنيي العطش و التمايل في تناول الصيغة.[٢٠١]
و مقلوب المادة الذي منه الفعل " يَنَع الثمَرُ , يَيْنَع. و يَيْنَع يَنَعًا و يُنْعًا و يُنُوعًا؛ فهو يانعٌ من ثَمَر يَنْعٍ"[٢٠٢] – بمعني: أدرك و نضج – يشهد لهذا المعني الأخير من معاني "نائع", و هو معني

---

[٢٠٠] اللسان / نوع.
[٢٠١] الأمالي ٢/ ٢١٤ , ٢١٥.
[٢٠٢] اللسان / ينع.

التمايل و الاضـــطراب.فالثمر و الزرع الناضـــج كلاهما يكون هذا شأنهما , بخاصة إذا حركتهما الرياح. و هذا المعني الثالث يرجح أنه المعني الحقيقي لنائع , و قد حمل عليه الأول و الثاني بطريق المجاز.

و "نائع" هي – فيما أرجح - (نايِح) الشـائع اسـتعمالها علي ألسنة العامة, في وصفهم الشعر المسترسل بأنه (سايح نايح). فهو "سـائح" لاسـترسـاله و طوله , ويحرّكه الهواء يَمْنةً و يَسْـرة لأجل ذلك.

و قد استوقفنا التركيب "حسَن بَسَنٌ قَسَنٌ" في أول هذا البحث ؛ فأشرنا في الهامش إلي معناه , وهو أنهم أكّدوا حسنه بأنه مزيد فيه , كأنه قد تخلّله هذا الحُسْنُ ؛ فهو مبسوس فيه , أو هو حَسَنٌ جميل السّحْنَة. و هو لأجل ذلك متبوع مطلوب. و هو ما دل عليه "قَسَن" , الذي هو "قَسّ" – و هو فيما يبدو أصل "قَصّ الأثرَ و نحوه"- و قد أُبدلت سينها الثانية نونا , مثلما فعل في "بَسَن".

و ممّا لعله يشير إلي وجود ظاهرة الإتباع في كلام العامة ما كنت أسمعه من قول بعضهم ؛ وصفا لبعض مَنْ يُسَمّوْن "حَسَن" - : حَسَـــن بَصَـــل. فإلاّ تكن الكلمة الثانية تحريفًا لكلمة "بَسَـــن" ؛ ربّما لغموض معناها – فإنها تشهد علي وجود الظاهرة. علي أن المثال قد تحول به المتكلمون عن معناه , و وظّفوه في غير ســـياقه بعد أن غيّروا الكلمة التابعة.

و يشبه التركيب السابق في الدلالة قولهم : "مَلِيحٌ قَزِيحٌ".

و المَلِيح إمّـا أن يكون من المَلاحـة بمعني الحُسْـــن , أو أن يكون من المِلْح. و قـد اختـار القـالي المعني الثـاني في توجيهـه التركيب[٢٠٣] ؛ لتناســـبه مع التابع بعده ؛ إذ هو من الأَقْزاح بمعني الأَبزار التي توضـع في الطعام ؛ لتزيده حُسْـنًا , و تجعله شَـهِيًّا. و

---

[٢٠٣] الأمالي ٢/ ٢١١.قال : " مليح قزيح. و أصـــل هذين الحرفين في الطعام. فالقَزيح: المقزوح ...الذي فيه الأقزاح...: الأبزار.واحدها : قِزْح. و مليح بمعني : مملوح , من قولهم :مَلَحت القِدْرَ أملَحها , إذا جعلت المِلح فيها بقدْر".

علي هذا فالكلمتان من حقل واحد , و هو : مفردات الطعام و أوصافه.

فإذا كانت الكلمة المتبوعة من الملاحة – و هو فيما يبدو لم يؤخذ به قديما – فإنّ استعمال التابع هنا من باب المجاز. وقد رأينا – فيما مضي – الاختلاف بين أن يكون التابع تكرارا للكلمة الأولي في المعني , أو ذا معني مناسب لها , و هو ما يمكّننا من الأخذ بهذا الذي يحتمله معني كلمة "مَلِيح" من الدلالة علي الحُسْن في توجيه التركيب الذي معنا. علي أنّ الأفضل بقاؤه في مجال وصف الطعام أيضا.

و كلمة "مَلِيح" بمعني : حسَن[٢٠٤] , غير شائعة الاستعمال في لغة الكتابة. وكنت أسمعها في بعض القصص المروي شفويًّا. و يبدو أنّها مستعملة بهذه الدلالة في شائع الكلام في بعض البلاد العربية , كالسعودية مثلا , و بعض بلاد الشام. و ربما صارت اللام نونًا ؛ إذ نسمعهم يقولون : منِيح. هذا إن لم يكن المراد بالكلمة الشاة , أو العنز التي تُمنَح للغير ليحلبها[٢٠٥].

و لا يعرف العامة و لا الخاصة كلمة "مليح" بمعني : مملوح , أو مُمَلّح. فهم إنما يستعملون هذه الكلمة الأخيرة , أو كلمة (مالح) تلك التي استبدل بها المعجم كلمة "مِلْح".[٢٠٦]
أمَّا "قَزيح" فلا يستعملها الكتَّاب و لا العوامّ.

والتركيب "قَبِيحٌ شَقِيحٌ" يدل علي عكس المعني الذي يندرج تحته التركيبان السابقان. و هذا بيّن من معني كلمته الأولي.

---

[٢٠٤] في العين / ملح : " و يقال : أملحْت يا فلان في معنيين , أي : جئت بكلمة مليحة, أو أكثرت مِلْحَ القِدْر. و المُلْحة : الكلمة المَلِيحة".

[٢٠٥] في القاموس : "مَنَحه الناقةَ : جعل له وبرها و لبنها و ولدها , و هي المِنْحة و المَنيحة".

[٢٠٦] و هو الاستعمال القرآني , ففي (١٢ / فاطر) : " و ما يستوي البحران , هذا عَذْب فُرَات , سائغٌ شرابُه , و هذا مِلْحٌ أُجَاجُ". و القاموس / ملح.

و تعني الثانية شـيئين : التغير , و الكسـر. فالتغير منه تغيّر الثمرة حين نموّها ؛ باحمرارها , أو اصـفرارها. و من الكسر قولنا : شقَحت الجَوْزة ؛ أي: كسرتها.[٢٠٧]

وإذا كانت الكلمة الأولي معروفة , فإنّ الثانية غير معروفة.

و ربما سـمعنا بعض العامة يقول عمّن يختلف معه , أو يغاضبه (يروح يشكح). فربما كانت من "شقح , أو أشقح" بمعني : كسـر. فكأنه يتركه لما قد ينزل به من الأذي , أو هو يطلب حدوث ذلك له.

و قد تكون الحاء جاءت بديلة للعين ؛ إذ يقال : "شَـكِع الرجلُ : إذا كثر أنينه. و كذلك الغضبان إذا اشتد غضبه , يَشكَع شَكَعًا".[٢٠٨]

و واضح قرب هذا المعني من معني "التغير" للفعل "شقح أو أشقح".

و نستطيع إلحاق التركيب "سَمِيجٌ لَمِيجٌ , أو : سَمِجٌ لَمِجٌ" بهذا السـابق ؛ إذ هو يدل علي الاتصـاف البالغ بالقُبح. فالسـميج , أي : القبيح , موصوف باللَّمج , و هو الأكل. و لعل المراد أنه يكون طفيليًّا , أو مولَعًا بالطعام , مسـتشـرف النفس إليه. يدل علي ذلك أنّ التّلَمُّج بالطعام هو التلَمّظ به , و اللِّمَاج: أدني ما يؤكل[٢٠٩].

و يعرف العامّة كلمة "سَمِج" , وهم يكسرون أولها ؛ للمماثلة لحركة الثاني. و لا تعرف الكلمة التابعة.

---

[٢٠٧] الأمالي٢ /٢١٠. قال عن المعني الأول : "أَشْقح البُسْر : إذا تغيرت خضرته بحُمرة أو صُـفرة. و هو حينئذ أقبح ما يكون. و نقل عن اللحياني أنه يقال : شَـقَيحٌ لَقِيحٌ, من : لَقِحت الناقة , و لَقِح الشـجرُ , و لَقِحت الحربُ. و المراد :مكسور حامل للشرّ. و عن يونس شقيح نَبيح , من النُّباح ؛ أي : مكسور كثير الكلام.

[٢٠٨] المقاييس / شكع.

[٢٠٩] الوسيط . و فيه : "سَمُج يسْمُج سَمَاجة, و سُمُوجةً :قَبُح ؛ فهو سَمِيجٌ و سَمْجٌ و سَمِج". و انظر أيضا: لمج. و فيها : "لَمَج الشيءَ ـُ لَمْجًا : أكله, و- الصبيُّ أمَّه : رضعها. لَمّج فلانًا : أطعمه ما يتعلّل به قبل الغداء... يقال : ماذقت شَـمَاجًا ولا لَمَاجًا: شـيئًا....رجل لَمْجٌ : ذوّاق للطعام و الشراب".

و"حِلٌّ و بِـِلّ" تركيب قديم في العربية. جاء علي لسان العباس بن عبد المطلب بن هاشم في وصف زمزم؛ فقال: هي لشارب حِلٌّ و بِـِلٌّ. و التركيب أدبي, كلمته الأولي قرآنية , و ردت في الآية (٢ / البلد): "و أنت حِلٌّ بهذا البلد" بمعني : مقيم. و هي تعني أيضا : المباح , و ما جاوز الحُرَم , و الغَرض الذي يُرمَي إليه , علي ما جاء في "الوسيط". و هذه المعاني الثلاثة الأخيرة هي التي يصدق أحدها علي الكلمة في التركيب.

و أورد ابن قتيبة التركيب في الباب نفسه الذي أشرنا إليه سابقا.[٢١٠]

و البِلَّة و البِلال : ما يبَل به , كما ذكر الزمخشري في "الأساس". وذكر الوسيط أنّ : بَلَّ من مرضه يبِلّ بَلاًّ , و بلَلا و بُلولا : برَأ و صحَّ. ويعني الفعل أيضا تَنَدّي الريح. و بَلَّ الشيءَ بالماء يبُلّه بَلاًّ و بِلّةً و بَلَلاً و بَلالا : ندّاه. و يعني الفعل العطاء. و بَلّ بالأمر يبَلّ: ظفر به.[٢١١] و علي ذلك فزمزم يبُل ماؤها جوف الصدِي , أو هو كالشيء قد ظُفِر به , أو أعطيه الشخص, أو كأنها البُرْء من السقَم.

و استعمل شوقي "البَلال"في وصفه الريح و قد تأثرت بمياه بَرَدي؛فقال:ثم انثنت لم يَزُل عنها البَلالُ و لا

جفَّت من الماء أَذيال و أرْدان[٢١٢]

و جاءت الكلمة بمعني الظفر أو الامتلاك في قول ثعلبة ابن عمرو العبدي , في وصفه ناقته :

بلِلْت بها يومَ الصُّراخ , و بعضهم

---

[٢١٠] انظر : أدب الكاتب ٤٣.

[٢١١] و قارن بالعين /بلل١٦١/١.و قارن بالمزهر ٤١٩/١. و كأنه ينقل عن الخليل , وإن خالفه في التسمية للغة الكلمة(بِلّ). فهي عنده تعني: المباح في لغة يمانية . وللكلمة المعني نفسه بلغة حِميَر عند الخليل. والراجح أنه خلاف شكلي. و ذكر السيوطي ذهاب بعضهم إلي أن الكلمة إتباع. و يري صاحب الجمهرة أن الكلمة يمكن إفرادها ؛"فإن البِلَّ:المباح .زعموا". يقصد بذلك أنها ذات معني مستقل , علي ما ذكرنا – من قبل – عن "بَيًّا". و يجتمع إلي ذلك استقلال الكلمتين عن متبوعتيهما بالعطف. و قد رأي البعض ضرورة ألاّ يفصل العاطف بين التابع ومتبوعه ؛ لتكون الكلمة الثانية إتباعا. و هو غير ما رأي ابن دريد و القالي و ابن سيده.

[٢١٢] الشوقيات ٤٦٧/١.

يَخُبُّ به في الحيّ أوْرقُ شارِف[٢١٣]

ولعل "بِلَّة" ؛ مصدرا لـــ"ـــبلَّ الشيء بالماء و نحوه" - اتخذ للدلالة علي المرة , ثم استعمل مذكره "بِلّ" ليكون تابعا لـــ"ـــحِلّ". و هو ما يشـــهد للقول بأنه مصـــوغ هكذا للإتباع. ولم يذكر الوســـيط الكلمة.

والعامة يقولون (حَلال بَلال) لما يرونه شـــيئا قد فاز به الشخص ؛ فله أن يفيد منه كما يشاء. و قد رأينا أن الفعل "بَلَّ بالأمر" يدل علي الظفر بالشيء. و هم قد استعملوا المصدر الشائع لـــ (حل). و جاء استعمالهم لـــ (ـــبلال) متمثلا فيه التغيير لأجل تماثل كلمتي الإتباع ؛ فمُطلت حركة اللام الأولي من المصدر(بلَ◌َل). وأيسر من ذلك أن نقول إنهم استعملوا المصدر غير الشائع.

و قد سبق أن عرضنا للتركيب "حارٌّ يَارٌّ" عند تصنيف العلاقة بين طرفي التركيب الإتباعي. و معناه شدة حرارة الموصوف به , و بالغ تأثيرها فيمَن تصيبه. و قد وقفنا , من قبل أيضا , علي إشارة صاحب "العين" إلي ضرورة التلازم بين كلمتي التركيب. و هو ما جاء في "اللسان" من بعد. قال : " و قال أبو الدُّقَيْش : إنه لَحَارٌّ يَارٌّ , عنَي رغيفًا أخرج من التنّور. و كذلك إذا حميت الشمس علي حجر , أو شيء غيره صُلْب ؛ فلزمته حرارة شديدة – يقال: إنه لَحَارٌّ يَارٌّ...و الفعل : يَرّ يَيَرُّ يَرَرًا. و تقول : الحَرّ لم يَيَرّ. و لا يوصف به علي نعت أفعل و فَعْلاء إلا الصخر و الصّفَا... و ذُكِر عن النبيّ – صلّي الله عليه وسلّم – أنه ذكر الشُّبْرُم ؛ فقال إنّه حارٌّ يَارٌّ...و قال بعضهم : حارٌّ جارٌّ , و حرَّانُ يَرَّانُ , إتباع. و لم يخصّ شيئا دون شيء".[٢١٤]

و ما أقرب ما بين "اليَرَر" بمعني الحرارة الشـــديدة و الفعل "ورَت النارُ, تَرِي وَرْيًا و رِيَةً حَسَنة , و وري الزَّنْدُ يَرِي".[٢١٥]

---

[٢١٣] المفضليات ٢٨٢.

[٢١٤] اللسان / يرر. و فيه أنّ الشُّبْرُم : ضرب من الشِّيح. و قيل :حبٌّ يشبه الحِمّص. و ذكر أنّ أم سلَمة – رضي الله عنها – شربت ماءه بعد طبخه ؛ فقالت : إنه حارٌّ جارٌّ.

[٢١٥] اللسان /وري.

و كذلك "أوْرَي النار , يُورِيها" أي : أوْقدَها. و في القرآن الكريم : "أفرأيتم النارَ التي تُورُون؟"(٧١/ الواقعة). و قد يقال – علي جهة التجوّز : أوْري زناد فكره.

إنّ "يَرَر" – و إن كانت لا تتفق - مع "وري" إلا في صوت واحد , فإنّ تضعيف هذا الصوت فيها ؛ ليكون مقابلا للياء – حسب أصل المادة – في قرينتها – ليرجح أنه شبه أصيل في الأخري ؛ لكون الياء يعتمد عليها في الابتعاد عن تكرار الصوت , أو تضعيفه ؛ كما في استعمالهم : قَصَّيْت أظافري , بدلا من : قَصَصْت , و تظنّيّيّيّيّيّيت الحديث , بدلا من : تظنّنت. و في اعتقادي أننا يمكننا الأخذ بذلك هنا و إن كنّا بصدد تغيير في أصوات الجذر للدلالة علي معني رئيس جديد , لكنه ليس غريبا عن المعني الرئيس الآخر , و هو شدّة حرارة الأشياء الصُّلبة. ولعله لا يستغرب ارتباط شدّة حرارة صِلاب الحجارة بالاتّقاد , الذي تدل عليه مادة "وري".

و قد يقال : حارٌّ جارٌّ. فكأنّ شدّة الحرّ تجرّ من تصيبه ؛ فتؤثر فيه. و قد تكون الجيم إبدالا من الياء ؛ علي ما في مثل: "الشيَرة" بدلا من "الشجَرة"[٢١٦].

و "خَبِيثٌ نَبِيثٌ" يعني أنه ماكر مخادع باحث عن مواطن ضعف من يترصّده ؛ لينال منه. و الكلمة الأولي واضحة المعني. و لعل أدني ما تشير إليه اتصاف الشيء و المرء بالسوء , أو الرداءة و عدم الجودة. و منه ما جاء في قوله – تعالي - : "و لا تيمّموا الخبيثَ منه تُنفقون"(٢٦٧/ البقرة). و يزيدها السياق دلالة ؛ فيكون لـ "لخُبْث" معني أكثر قتامة , علي ما في قوله – تعالي – : "...فسينفقونها , ثمّ تكون عليهم حسرة , ثمّ يغلَبون , و الذين كفروا إلي جهنَّمَ يُحشَرون. ليَمِيزَ الله الخبيث من الطيّب..." (٣٦, ٣٧/ الأنفال). و كذا في قوله – تعالي - : "الخبيثات للخَبيثين و الخبيثون للخبيثات , و الطيّبات للطّيّبين ..." (٢٦/ النور). و الكلمة في التركيب الإتباعي لها من هذا المعني الثاني جانب كبير. و لعل الكلمة

---

[٢١٦] الأمالي للقالي ٢/ ٢١٤.

التابعة تشير إلي ذلك بغرابتها , التي لعل السامع يستأنس بمتبوعتها؛ ليصل إلي معناها.

في اللسان[٢١٧] : "نَبَث الترابَ ينبُثُه نَبْثًا ؛ فهو منبوث و نَبِيث : استخرجه من بئر أو نهر... الجوهري : نَبَث ينبُث مثل نبش يَنْبُش, و هو الحفر باليد... خبيث نبيث إتباع. و فلان ينبُث عن عيوب الناس ؛ أي : يظهرها." ثم ذكر عن ابن الأعرابي قوله : "النبيث و النّبِيذ و النَّحِيت , كلُّه واحد. و خبيث نَبِيثٌ : ينبُث شرَّه ؛ أي : يستخرجه".

و قد يقال : "خبيث نَجِيثٌ". و الكلمة التابعة لها المعني نفسه الذي لمثيلتها. فهي تعني الاستثارة و الاستخراج. و في اللسان[٢١٨] : "نجَث الشيءَ يَنجُثُه نَجْثًا و تَنَجّثه : استخرجه. و تَنَجَّث الأخبارَ : بحثها. و رجل نَجَّاث : بحَّاث عن الأخبار... و يقال : بُلِغت نَجِيثته و نَكِيثته أي بلغ مجهوده... و المستنجِث : المستخرِج... و قيل : المستنجث مثل المنهمِك... و في حديث عمر – رضي الله عنه - : انجُثُوا لي ما عند المغيرة ؛ فإنه كَتّامة للحديث".

و ربما ساغ لنا الزعم بأن هذا التابع أكثر دلالة علي خبث هذا الموصوف بالتركيب ؛ لما في تصويره الحادّ لمعني تتبع النقائص و العيوب , أو مواطن الضعف و إيقاع الأذي بالغرماء. يتضح ذلك في مجيء صوت الجيم بديلا للباء. و لعل طبيعته المركّبة من الشدة و الرخاوة تشهد لذلك. و لعل معنيي البحث و الانهماك السابق ذكرهما يعضدان قولي هذا.

و الوصفان التابعان غريبان علي لغة الكتابة .

و ثانيهما واضح الصلة بكلٍّ من : نَكَث – نَكَش – نَجَش.

و "النَكْث" يعني الخيوط المفَكَّكة بعد أن كانت مغزولة. و قد حُمِل عليه نقض العهد. جاء في القرآن الكريم :"و لا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنْكاثا"(٩٢/ النحل). و فيه :"...فَمَن نكَث فإنّما ينكُث علي نفسه , و من أوفي بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا"(١٠/ الفتح). و قد ناسب "النَّكْث"- باحتوائه علي

---

[٢١٧] نبث.

[٢١٨] نجث , و أمالي القالي ٢ / ٢٠٩.

"الثاء" - فكّ الخيوط لتطلّبه نوعا من الممارسة الدقيقة و الخفيّة, أو غير ذات الأثر المسموع. و العهد أمر معنوي ؛ يتحلل منه الناقض بالتخلص من روابطه مبيّتًا في نفسه الإقدام علي فعله.

و الفعلان الآخران يتفقان مع "نجث" في الدلالة علي الاستثارة , وهي تتضح أكثر في معاني "نجش". و عامتنا يستعملون الأول ؛ يريدون به معني الاستثارة , في مثل قولهم (انكُش فلان). و ربما تميّز هذا الفعل عن "نجش" بكونه يدل علي معني الإتيان علي الشيء و استنفاده[٢١٩]. و هكذا نعرف أنّ استعمال العامّة لـ"نكش" من وراء تركه في لغة الكتابة.

و قد جاء في الحديث الشريف النهي عن التناجُش , و هو بيع النجْش.[٢٢٠]

و لعلّ معاني التراكيب : "خَفيفٌ ذَفِيفٌ - شيطانٌ لَيْطَانٌ – عِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ" – تقترب بعض الاقتراب من معني التركيب السابق. لكنها تختص بالدلالة علي البراعة , و المضاء في قضاء العمل , و إنجازه مع التغلب علي ما يعُوق ذلك.

و مادة "ذفف" تعني السرعة و تيسُّر الشيء و تهيّؤه. "ذَفَّ الأمرُ يَذِفّ ؛ بالكسر ,ذَفيفًا , و استذَفّ : أمكن و تَهَيّأ. و ذَفَّ علي وجه الأرض, و دَفَّ. و الذَفيف و الذُّفاَف : السريع الخفيف. و خص بعضهم به الخفيف علي وجه الأرض, ذَفَّ يَذِفّ ذَفَافةً. يقال : رجل خفيف ذَفِيف ؛ أي : سريع , و خُفَافٌ ذُفَاف. و به سُمِّي الرجلُ ذُفَافَة"[٢٢١].

فالكلمة التابعة مؤكدة لمعني سابقتها , أو مخصّصة له , عند من يدرك معناها. و يكون ذلك التخصيص لأنها تدل – عند بعضهم – علي موطن الخفّة, و هو وجه الأرض. فكأنّ المراد تقييد الصفة

---

[٢١٩] في اللسان / نكش : " و النكش أن تستقي من البئر حتي تُنزَح. و رجل مِنكَش : نقّاب عن الأمور". و انظر : نجش أيضا.

[٢٢٠] اللسان / نجش. قال : هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة , و هو لا يريد شراءها , و لكن ليسمعه غيره ؛ فيزيد بزيادته.

[٢٢١] اللسان / ذفف.

بأنها خاصة بالسيْر , لا أنها تصف شخصية الموصوف مثلا بأنها مقبولة ؛ فهو لذلك ليس من الثقلاء , الذين لا يُرغَب فيهم. فإذ ما تغاضينا عن هذا الرأي في معني التابع , صار مطابقا في المعني لمتبوعه.

و "لَيْطانٌ" من الفعل : لاط بالشيء يَلوط به , إذا علِق.[٢٢٢] فكأنّ المراد أنّ الموصوف شيطان ملازم لما يتطلّبه , ما ينفكّ يعالجه بمقدرته القويّة حتي يحقق ما يريد.

و الأمر نفسه ثابت لتابع التركيب الثالث. فالموصوف فيه "عِفْرِيت". و اشتقاقه من "العَفَر" , و هو ظاهر التراب. فكأنه ينبعث منه. و هو لذلك نافِرٌ , أو شديد النُّفْرة , أو التنفير لغيره.[٢٢٣] و هو ما تعنيه الكلمة التابعة. و لا يكون هذا أو ذاك إلا لقوّة حركته , ومخالفتها للمألوف.

و لا تعرف الكلمات التابعة في لغة الكتابة و لا في غيرها.

و "خازنٌ مازِنٌ" لم يشر اللسان إلي كونه إتباعًا. و هو وصف للخازن الخفيف النشط , جُعل كالسحابة , و هي المُزْنة, تُسرع في المسير. و يمكن أن يوصف الغنيّ بالتركيب أيضا. فهو خازن للمال , يحفظه , و هو في ذلك مُشْبه المُزْنة الممتلئة بالماء.

و قد وردت كلمتا التركيب مجموعتين في القرآن الكريم. ففيه (٢٢ / الحِجْر) : "... و ما أنتم له بخازنين" , و كذا في (٤٩/غافر) : "و قال الذين في النار لخَزَنة جهنّم ...". و فيه (٦٩/ الواقعة) : "أأنتم أنزلتموه من المُزْن...؟".

و الكلمتان معروفتان مستعملتان , غير أنّ الثانية يغلب أن تكون علما.

و قولهم : أعطيت المال سَهْوًا رَهْوًا , تعبير فيه تكنية عن السخاء الشديد , بل الإسراف و التبذير. فهو يعطي , و كأنه غافل ساهٍ , في سكون و عدم تغيّر حال , أو عدم تنبه لما يفعل!

---

[٢٢٢] و الأمالي ٢ / ٢٠٩.

[٢٢٣] المزهر ١ / ٤١٨ (الهامش).

و لم يشـــر اللســـان إلي كونه من الإتباع. و قد جاءت الكلمة الثانية لتؤكد دلالة الأولي علي السكون و السهولة و التتابع.

فالمشـــي السّـــهْو : اللّيّن , و السَّـــهْوة من الإبل : اللّيّنة السَّـــيْر الوطيئة. قال زهير :

تُهَوِّنُ بُعْدَ الأرض عنّي فريدةٌ كِنَازُ البَضِيع سَهْوة المَشْي بازِل

قال في اللســـان: "لا تتعب راكبها ؛ كأنها تُســـاهيه". قال:"و يقال: بعير ساهٍ راهٍ , و جِمَال سَوَاهٍ رَوَاهٍ لَوَاهٍ. و منه الحديث : آتيك به غدًا سَهْوًا رَهْوًا ؛ أي لَيّنًا ساكنًا ... و السَّهْو : السهل من الناس و الأمور و الحوائج".[٢٢٤]

و "الرَّهْو" كلمة تدل علي الســهولة , كما قلنا. قال ابن فارس في المقاييس : "الراء و الهاء و الحرف المعتلّ أصلان , يدل أحدهما علي دَعَة و خَفْض و ســكون , و الآخر علي مكان قد ينخفض و يرتفع. فالأول : الرّهْو : البحر الســاكن. و يقولون: عيش راهٍ ؛ أي : ساكن. و يقولون : أَرْهِ علي نفسك ؛ أي ارفُق بها. قال ابن الأعرابي : رَهَا في السير يَرْهُو إذا رَفَق".[٢٢٥]

نســـتطيع القول : إنـه قد جُمِع بين الكلمتين في أحد جـانبي المعني الذي تلتقيان فيه , و هو ما أشـرنا إليه ســابقًا من السـكون و الســـهولة و التتابع. يضـــاف إلي ذلك تأكيد معني الرفق و السـهولة للمصـدر "سَـهْوًا" بالكلمة التالية , تلك التي يبدو أنّ دلالتها عليه حقيقية , علي العكس من "سَهْوًا".

و كأني بهم قد جمعوا بين الكلمتين للعمل علي إشـــاعة هذه التالية – رَهْوًا - بعد استشفاف السامع معناها من سابقتها , أو ربطه بين دلالتيهما نوعا من الربط. و قد جاءت الكلمة في قوله – تعالي – (٢٤/ الدخَان) : "و اترك البحر رَهْوًا". و فُسّـــرت الكلمة هنا بالسكون و السهولة.

---

[٢٢٤] اللسان / سهو. و في المقاييس : "السين و الهاء و الواو. معظم الباب يدل علي الغفلة و السكون ... و من الباب المُساهاة : حسن المخالقة. كأن الإنسان يسهو عن زَلّة إن كانت من غيره".

[٢٢٥] و قارن باللسان. و فيه : "و عيش راهٍ : خَصِيب ساكن رافه".

و "سَــهْوًا" معروفة مســتعملة. و يشــيع علي ألســنة العامة اســتعمال اســم المَرّة ؛ فيقولون : جري كذا (علي سَــهْوة). و لعله محرَّف عن "السَّهْوَاء". و هي ساعة من الليل وصدر منه.[٢٢٦]

و "سائغ لا ئغ" قد يوصف به الطعام , أو الشراب ؛ فيراد أنّه مقبول , سهل المدخل في الحلق و النزول فيه. فإذا وصف به غيرهما – و لعل ذلك لم يســتعمله القدماء - كان ذلك علي ســبيل المجاز ؛ لبيان جوازه , و إلحاقه في الســهولة و المقبوليّة بالطعام أو الشراب المستساغين.

و اللاّئغ من : "لاغ الشــيءَ لَوْغًا : أداره في فيه ثم لَفَظه. ابن الأعرابي: لاغ يَلُوغ لَوْغًا : إذا لزِم الشــيءَ"[٢٢٧]. فهذا الطعام - أو الشراب - السائغ يبقي في الفم , أو يلزمه الطاعم أو الشارب لحسنه و يسره في التناول.

و "ســائغ" قرآنية , وردت في ســياق الموازنة بين ماء البحر المِلْح و ماء النهر العَذْب , في قولـه – تعالي - : "و ما يســتوي البحران , هذا عَذْبٌ فُراتٌ ســائغٌ شــرابُه , و هذا مِلْحٌ أُجَاج"(١٢/ فاطر).

و لا تعرف الكلمة التابعة. علي أنها تشــير إلي "اللّغالغ" أو "النّغانِغ" و هي اللّهَوات , أو جهات أســفل الحلق , التي يمرّ منها الطعام و الشراب إلي المريء. و من هذه الأخيرة المصدر "النّغنَغة" الشــائع بين العامة عند حديثهم عمّا ينعم به البعض من خَفْض العيْش و سعته.

و يســتوقفنا التابع في التركيب : "شــديد أَدِيد"[٢٢٨]. و هو من الإدّ ؛ بمعني الشدّة , و العجب , و الأمر الفظيع العظيم , و الداهية. و من هنا كان الإتيان بالكلمة ؛ لتؤكد معني ســابقتها ؛ فثمة ترادف ,

---

[٢٢٦] اللسان / سهو.
[٢٢٧] اللسان / لوغ , و انظر : سوغ أيضا.
[٢٢٨] سبق ذكره فيما احتواه المعجم الوسيط من تراكيب الإتباع.

بالإضـافة إلي ما للكلمة التابعة من وقع صـوتي يقرب بها من الدلالة علي القَدّ. فـ "الإدّ : الداهية تَئِدّ و تَؤُدّ أَدًّا ... و أَدَّه الأمرُ يَؤُدّه و يَئِدّه : إذا دهاه".[٢٢٩]

و في القرآن الكريم (٨٩/ مريم) : "لقد جئتم شـيئا إِدًّا" ؛ أي : شيئا عظيما.

و "عَرِيضٌ أَرِيضٌ" وردت كلمتاه في شـعر امريء القيس ؛ إذ قال:

بلادٌ عريضةٌ , و أرضٌ أَرِيضةٌ
مدافعُ غيْثٍ في فضاء عريض

و يوصف به المكان المتسع الليّن الطيِّب المقعد. و "أَرِيض" وصف مأخوذ من الأصل المتفرع كثير المسائل للجذر. ويبدو أن هذا الأصل قد وصـفه ابن فارس بذلك الوصـف لشيوع معناه - و هو: كل شـيء يسفُل , مقابلا السماء – و من ثُمّ معني ما يتصل به ؛ كهذا الوصف , علي ما يبدو من غرابته لنا الآن. لكنَّا ربما سـاغ لنا أن نفهم أنه قد كان علي غير تلك الحال , قياسـا إلي دلالة أصـلي الجذر اللذين لا ينقاسـان ؛ لأن كلا منهما موضـوع حدث وضـعته العربية. و هما : الأرض :الزَّكْمَة. فالرجل المأروض : المزكوم , و الرِّعْدَة. يقال :بفلان أرْض.[٢٣٠]

و ربما صـح الذهاب إلي أنّ صـيغة "فَعِيل" قد اشـتقت من الاسـم للدلالة علي الاتسـاع وتباعد الأقطار ؛ فجاءت بوزنها و اتفاقها مع سـابقتها في النهاية مؤكدة للمعني. و للأثر الصـوتي دور بارز في ذلك. و لعل الدلالة علي اللين و طِيب المقعد , أو تَأَرّض النبت ؛ بمعني : نضـجه و إمكان جَزِّه[٢٣١] – مما ترتب علي معني الاتساع , أو مما استعملت الصيغة أو الفعل للدلالة عليه. و الإشارة

---

[٢٢٩] اللسان / أدد.
[٢٣٠] العين , و المقاييس: أرض. و ديوان امريء القيس١٢٦.
[٢٣١] قال أبو علي القالي : الأرِيض : الخليق للخير الجيد للنبات. الأمالي ٢ /٢٠٩.

إلي إمكانية إفراد الصـــيغة , علي ما جاء عند ابن دريد و غيره [٢٣٢], قد يقوّي رأينا السابق.

و يشـيع علي ألسـنة العوام (الولد المأروض). و هم يصـفون بالكلمة من يظهر مقدرة علي الكلام أو مهارة في السـلوك علي غير ما ينتظر من أمثاله. و واضح أن ذلك المعني يتيحه لنا معني الصيغة و الفعـل السـابقين.[٢٣٣]و ربمـا كـان مرادهم التعجـب من مقـدرة الموصـوف , علي صـغره و ضـآلته اللذين كأنهما الأَرَض (أو السقَم بعامة).و لعل هذا هو الأقرب أن يكون ما آلت إليه دلالة الكلمة في أذهانهم ؛ أي أنها قد صارت تدل علي الضعف و الصغر.

و الكلمـة التـابعـة في "غنيٌّ مَلِيٌّ" هي "ملِيء" في الحـديث النبوي الشـريف : " ... و من أُحِيل علي مَلِيء فلْيَتبع".[٢٣٤] و لعله لا يسـتغرب أن يعدّ ابن دريد الكلمة مما يمكن أن يفرد. و ما ذلك إلا لوضـوح اسـتقلالية معناها. و تشـهد الصـيغة بصـورتيها لوصـف الغني – أحيانا – في الكلام الدارج بأنه (مَلْيَان). و هي مسـهّلة الهمزة كمَلِيّ. و الأصـل : ملآن. و هما تسـتعملان هكذا علي التشبيه , كما هو واضح. علي أن الأولي أكثر دلالة علي المعني.

و قد سـبق أن عرضـنا للتركيب "عَيِيٌّ شَـوِيٌّ" عند تناول ما جاء من الإتباع في "الوسـيط". و عرفنا أن الكلمة التابعة تعني بقية الشـيء , أو أطرافه أو ما لا يمثل شـيئا ذا خطر. و عرفنا أن الكلمة لم ترد في الوسيط , أو إن شئنا الصـيغة[٢٣٥]- بهذا المعني , و رجحنا أن من وراء ذلك عدم استعمالها.

و نحن نجد أن "الشَّـوَي" تسـتعمل في الشـعر الجاهلي بمعني قوائم الفرس. قال معاوية بن مالك :

---

[٢٣٢] الجمهرة ٣/ , و المخصص ١٤ / ٢٩, و المزهر ١ / ٤١٩.

[٢٣٣] يقال :رجل أريض للخير ؛ أي : خليق له. شبه بالأرض الأريضة. (المقاييس).

[٢٣٤] فقه السنة , للشيخ سيد سابق ٣ / ٣٣٣, ٣٣٤ (ط. أولي ,الريان ١٩٨٨).

[٢٣٥] لأن كلمة"الشَّوَي" قرآنية , جاءت في الآية ١٦من سورة المعارج , و قد ذكرها.

بكل مُقَلِّص عَـبْلٍ شَوَاه إذا وُضِعت أعِنّتهنّ ثابا[٢٣٦]

و الاستعمال نفسه نجده في شعر المتنبي ؛ إذ يقول واصفا أطراف الخيول:

يقدمها و قد خُضِبت شَوَاها
فتي ترمي الحروب به الحروبا[٢٣٧]

أمّا "عَيِيّ" فمن العِي ؛ بمعني الضعف , أو بلوغ المشقة, و الوقوع في غاية الإجهاد , كما هو معلوم. وكما يكون ذلك في العمل و ما شاكله, يكون أيضا بالإرتاج علي المتكلم , أو عدم استطاعته الكلام و التعبير. و قد ورد الفعل "عَيِيَ" في الآية ١٥من سورة ق, و هي : "أَفَعَيِينا بالخلْق الأول؟..." في سياق الردّ علي التكذيب بالبعث. و الصفة : عَيِيّ – و ربما المصدر : العِيّ أيضا – مظنة استعمال الأدباء , و الكتاب المجيدين.

و التعبير"طَلْقٌ ذَلْقٌ" موصوفا به الشخص الحسن البيان الجيّد العبارة , أو اللسان الذي هو الأداة المجلّية لهذا الأمر – جزؤه الأول شائع الاستعمال في المستوي الفصيح من الكلام. علي أن استعماله في المجال المشار إليه , يغلب أن يكون صنيع المتخصصين من اللغويين و الأدباء. و ربما قرن هؤلاء الكلمة الثانية إليه. و هي من "ذَلَق" اللسان و "ذَلَقتـــه". و يراد بهما : حِدَّته. و ذَولق اللسان طرَفه. و كل محدّد الطرف مذَلَّق. ذَلُق ذَلاقةً ؛ فهو ذَلِيق , و ذَلْقٌ , ذُلَقٌ , و ذُلُقٌ. و ذَلِق اللسان يذلَق ذَلَقا ؛ أي ذَرِب. و كذلك السِّنان ؛ فهو ذَلِقٌ , وأَذْلَق.[٢٣٨]

و ما أقرب ما بين الطاء و للذال في كلمتي التركيب صوتيا ومعنويا!

---

[٢٣٦] المفضليات ٣٥٩.

[٢٣٧] ديوانه, ٥٨.

[٢٣٨] اللسان /ذلق.وذكر ابن فارس (لسانٌ طُلَقٌ ذُلَقٌ) ضمن تراكيب أخري تقال لمن كان ذا فصاحة و لسَن. متخير الألفاظ٤٥.

و هنا نجد المتكلم قد وقع علي بغيته بتأكيد الكلمة الأولي بتكرارها, مع التخفف من عبء اكتمال هذا التكرار , علي ما ذكره ابن جني كما أشرنا إليه سابقا.كذلك كان للكلمة دلالتها علي معني جديد بعض الشيء , و هو حدّة اللسان. و الحدّة هذه قد تعني ما هو فوق الطلاقة.

و لعل احتمال الكلمة هذا المعني يجعلنا نربط بينها وبين كلمة أخري, تشاركها هي و سابقتها المعني الأساسي – و هو البراعة في التعبير – لكنها تستعمل للدلالة علي ما هو أعلي مما تدل عليه ثانيتهما. هذه الكلمة هي الفعل "سَلَق". و لا خلاف بين الكلمات الثلاث إلا في الصوت الأول. و تقارب الأصوات الثلاثة مخرجيا ربما كان مما يقلل من شأن هذا الخلاف , و يشهد لتقارب الدلالة بين الكلمات.[٢٣٩]و استعمال القرآن الكريم للفعل في قوله - تعالي – :" فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حِدَاد"(١٩/الأحزاب) فيه تعويل علي مناسبة الفعل للموقف المعبر عنه , ومواءمة قوية بين الفعل والألسنة المتكلمة , الموصوفة بالحِدَّة. و الفعل يدل علي رفع الصوت , أو الصياح. كما يدل علي الإغلاء بالماء الحار , و الضرب و الطعن و الصرْع. و هذه المعاني – وبخاصة الأربعة الأخيرة - تجعل اختصاص هذا الفعل بدلالة أعلي في الدرجة من دلالتي الفعلين "طَلُق – ذَلُق" أمرا غير مستغرب.

و التركيب "ساغب لاغب" أدبي , يستعمل طرفاه في الفصحي عالية المستوي. و قد استعمل القرآن الكريم مصدريهما. فقد جاء فيه:"...لا يمسّنا فيها نَصَبٌ و لا يمسُّنا فيها لُغُوب"(٣٥/فاطر) ,و جاء : " ... أو إطعامٌ في يوم ذي مَسْغَبة"(١٤/ البلد).

---

[٢٣٩] جاءت الأفعال من الجذور الثلاثة. يقال : طَلُق اللسانُ- طُلُقة و طلاقة : فَصُح و عَذُب منطقُه. و سَلَق ـُ سَلْقا : صاح و رفع صوته , و سلق فلانا بكلامه أو بلسانه: آذاه . و في التنزيل العزيز : " فإذا ذهب الخوفُ سلقوكم بألسنة حِدَاد".الوسيط /طلق,سلق. و قد سبق إيراد ذَلُق عن اللسان.

و التركيب (لا مَحيص , و لا مَفِيص) جزؤه الأول معروف في الفصحي. و قد ورد في القرآن الكريم ,في (٤٨/فُصّلت):" ... و ظنّوا ما لهم من مَحِيص". و كلمة "مَحِيص" وثيقة الصلة بـ "حَيْص" التي وردت في الطائفة الأولي من تقسيماتنا لتراكيب الإتباع في هذه الجزئية من جزئيات البحث. و دلالة "محيص" علي المهرَب نابعة من الميل في جور و تلدّد ؛ كما في المقاييس , أو الحيَد عن الشيء؛ كما في اللسان.

و "مَفِيص" الغريبة علي الأسماع اسم مكان , أو زمان من الفعل فاص لسانه يَفِيص , و أفاصه : أبانه. قال ابن منظور: و التفاوُص : التكالم منه. و ذكر أنه جاء أن النبي – صلي الله عليه وسلم – كان يقول في مرضه: الصلاةَ و ما ملكت أيمانكم. فجعل يتكلم و ما يُفِيص بها لسانه؛ أي: ما يُبِين. قال :و فلان ذو إفَاصة إذا تكلم؛ أي :ذو بيان. و ذكر صاحب اللسان أيضا أن الجذر يعني التجاوز أو الترْك. قال: "و يقال : و الله ما فِصتُ , كما يقال : و الله ما برِحت. قال ابن برّي :و يقال في معناه: استفاص. قال الأعشي:

و قد أَعْلَقَت حَلَقاتُ الشباب فأنَّي ليَ اليومَ أن أَستَفِيصا؟"

و ذكر بعدئذ عدم معرفة الأصمعي لمعني الفعل في بيت امرئ القيس:

منابته مثل السَّدُوس و لونه كشوك السَّيَال؛فهْو عذب يَفِيص

و ذكر غير الأصمعي أنه من قولهم : فاص في الأرض, أي : قطَر و ذهب. و ذكر أنه يعني : يبرُق. و قيل : يتكلم. و قال ابن الأعرابي : ما لك عن ذلك مَفِيص ؛ أي : مَعدِل.

و قد يمكننا أن نلحق معني الإبانة بالكلام ، بل بإجادته – بالتحول , أو العدول عن المكان أو الموقف. فالإبانة بالكلام عدول عن السكوت إلي التعبير عما في النفس.

وهنا نحن بإزاء كلمة تبدو غريبة علي لغة الكتابة و الأدب في زماننا , علي العكس مما كانت عليه هي و الفعل المشتقة منه , في زمان العربية الأول, بل و ما بعده إلي القرن الرابع , علي الأقلّ. علي أنها – فيما يبدو – انحسر استعمالها من بعد ؛ لتكون ضمن التراث اللغوي الذي يحتفل به خاصة اللغويين و الأدباء.بل

ربّما قلّ من يفعل ذلك من الأدباء , اللهمّ إلاّ الحريصين علي الصنعة اللفظية , التي يُعوَّل فيها كثيرا علي غريب اللغة.

بقي أن أشير إلي أن "يَفِيص"بمعني : يُبِين , يستعمله العامة مكسورَ ياء المضارعة , و مشدّد عين الفعل (يِفَيّص). و يحذفون ياء المضارعة ليكون ما بقي هو الماضي بدلا من "فاص".

و لعل التركيب "ضعيف نَعِيف" يشهد علي توقف دلالة التابع علي دلالة متبوعه. و لعله يجعل متلقيه يقنع آخر الأمر بضرورة أنه مؤكد لمعني متبوعه ؛ و ذلك لغرابة الكلمة. و قد اختصر "الوسيط" ما جاء من اختلافات في "اللسان" حول "النَّعْف من الأرض" في قوله : "النعف مكان يرتفع قليلا , و يكون فيه صعود و هبوط. (ج) نِعَاف". و لقد يكون في هذا المعني ما يبرّر استعمال الصيغة التابعة لكلمة "ضعيف". فهذا الضعيف مضطرب الحال , غير ذي طبيعة ثابتة. و يمكن أن يكون أكثر مناسبة أن تدل هذه الصيغة علي أحد معاني "النَّعْفَة". و قد أوردها "الوسيط" أيضا, في اختصار. أمّا في "اللسان" ؛ فقال إنها : سير النعل علي ظهر القدم ,أو الذُّؤابة , أو سيور في طرف الرحل يعلق فيها الراكب بعض متاعه. و أضاف : العقدة الفاسدة في اللحم.[٢٤٠]

و لا تعرف لغة الكتابة كلمة "نَعِيف".

و يمكن أن يندرج التركيب "ضَمِن زَمِن" داخل حقل سابقه ؛ إذ هو يدل علي ملازمة المرض للموصوف به. فهو قد ضُمِّنه , أو صار مشتملا عليه. و ربّما نظر إليه علي أنّه بملازمته للمرض كأنّه متكفل ببقائه , ملتزم به!

و في اللسان : "الضَّمَن و الضَّمَان و الضُّمْنة و الضَّمَانة: الداء في الجسد من بلاء أو كِبَر. رجل ضَمِنٌ , لا يثنَّي و لا يجمع و لا يؤنّث : مريض, و كذلك ضَمِن , و الجمع : ضَمِنون, و ضَمِين , و

[٢٤٠] اللسان , و الوسيط /نعف.و قد أشار اللسان إلي أن كلمة "نعيف" إتباع.

الجمع : ضَـمْنَي... و في حديث عبد الله ابن عمر: مَن اكتَتَب ضَـمِنًا بعثه الله ضَمِنا يوم القيامة".[٢٤١]

و قد يدل الوصـــف به علي المعاناة من الهُيام و الحُبّ. و يكون السياق هو الفيصل في ذلك.

قال في اللســـان : "و الضَّـــمانـة : الحُبّ. قال ابن عُلَيّـة : و لكن عرتني من هَوَاكِ ضَمَانَةٌ

كما كنت ألقي منكِ إذ أنا مطلَق

و رجل ضَمِنٌ : عاشقٌ".[٢٤٢]

و نحن نستعمل "ضَـمِن – ضَـامِن – ضَـمَان" في الكتابة و الكلام الشائع, في الدلالة علي التكفل بالأمر.[٢٤٣]

و نحن نجد صـاحب اللسـان يفسـر الضّـمن بالزّمِن , و يشرح الأثر السابق بقوله : "من سأل أن يكتب نفسه في جملة الزمْنَي ؛ ليُعذَر عن الجهاد و لا زَمَانة به , بعثه الله يوم القيامة زَمِنًا". كما نجده يشـرح معني "الزَّمِن" فيقول: " الزَّمِن : ذو الزَّمانة. و الزَّمانة آفة في الحيوانات. و رجل زَمِنٌ ؛ أي: مبتلي بيّن الزَّمانة. و الزَّمانة : العاهة. زَمِن يَزْمَن زَمَنًا و زُمْنةً و زَمانة؛فهو زَمِنٌ ,و الجمع زَمِنون , و زَمِين و الجمع زَمْنَي ؛ لأنه جنس للبلايا التي يصـــابون بها , و يدخلون فيها و هم لها كارهون...و الزَّمانة أيضـا الحُبّ. و قد رُوِي بيت ابن عُلَيّة : و لكن عَرَتني في هواك زَمانةٌ كما كنت ألقي....."[٢٤٤].

و لم يذكر اللسـان التركيب. ونسـتطيع أن نضـم ذلك إلي ذكره الكلمة المتبوعة تامة التصـرف ؛ لنفهم اسـتقلالية كلتا الكلمتين بمعني خاص بها. فالضَّـمِن تشـير إلي الاشـتمال علي الداء , و الزَّمِن تشـير إلي طول مدّة بقائـه , أو كونـه نتيجـة الكِبَر. و قد رأينـا كيف أنهمـا يلتقيان.

---

[٢٤١] اللسان / ضمن.

[٢٤٢] للضمِن معني ثالث , و هو الكَلّ. و هو لا يخرج عما يدل عليه أصل المادة , من الاشتمال علي الشيء , أو التكفل به.

[٢٤٣] في اللسان (ضمن) : "الضَّمين : الكفيل. ضَمِن الشيءَ , و به , ضَمْنًا و ضَمانًا : كفَل به. و ضَمّنه إياه :كفّله... و ضَمَّن الشيءَ الشيءَ : أودعه إياه".

[٢٤٤] اللسان / زمن.

و يبدو أنّ الخلط بين نطق صـوتي الضـاد و الظاء , و الخطأ في نطق الظاء – يبدو أن كل ذلك جعل ابن فارس يذهب إلي أن "الزَّمِن" هي أصـل كلمة "الضَّـمِن". "كأنّ الضـاد مبدلة من زاي".[٢٤٥] و لعل الاختلاف في هذه الكلمة وحدها في بيت ابن عُليّة السابق يشهد لهذا. و الأقرب أن "الضَّمِن" دالّة علي المصاب بداء في الجسد من بلاء أو كِبَر. و هي قديمة الاستعمال لهذا المعني بدليل مجيئها في الأثر.

و إذا كنَّا قد رأينا كيف أنّا نستعمل بعض مفردات مادة "ضمن" , فإنّا نستعمل أيضا كلمتي "الزمن – الزمان" بمعني الوقت , أو المدّة. علي أنّ الصيغة "زَمِن" و جمعها "زَمْنَي"غير معروفتين في الكتابة , أو – علي الأقل- لا يستعملهما إلا الحريصون علي جودة الاختيار للمفردات.

و "لَيِّق" مؤكّدة لمعني متبوعتها ؛ لأنها وصف من "لاق الشيءُ به لَيْقًا و لَيَاقًا و لَيَقانًا : لَصِق. و يقال : لاق الشيءُ بقلبي. و هذا أمر لا يليق بك : لا يحسن بك ؛ حتّي يلصق بك. و فلان لا يلِيق ببلد : لا يثبت فيه , و لا يَلِيق به بلد. و ما لقت بعدك بأرض :ما ثَبَتُّ. و فلان ما يلِيق بكفّه درهم : ما يحتبس.و – به الثوبُ : ناسبه"[٢٤٦].

فالشيء الضيّق مُمسك بما ضاق عليه , أو عالق به مقيّد له.

و قد روي الفرّاء هذا البيت في وصف بعض الأجواد الشجعان :

كـفَّاك كـفٌّ ما تَـلِيق درهمًا
جُودًا و أخري تُعطِ بالسيف الدّمَا[٢٤٧]

---

[٢٤٥] المقاييس / زَمن , و ضمن.

[٢٤٦] الوسيط /ليق.

[٢٤٧] معاني القرآن للفرّاء ٢ /٢٧. و استشهد به علي مجيء "يأتِ" في الآية ١١٥/ هود ,محذوفة الياء.

و يقال : ضـيّقٌ عَيّق ؛ مراداً به ما يقرب من المعني السـابق. فالشـيء لضـيقه يعُوق صـاحبه , و يحول دون انطلاقه كما يريد , سواء أكان ذلك الضيق حقيقيًّا أم مجازيًّا.[٢٤٨]

و تسـتعمل لغة الكتابة الفعل – وكذلك الدارجة - : "لاق" في التعبير عمّا يناسـب المرء , أو الموقف , من الفعل أو السلوك.[٢٤٩] و قد ذكر الوسيط أن اللياقة تعني : سلوك الإنسان في حياته مع غيره سلوكا متسما بالأدب , و أنّ هذه الدلالة مولّدة.

و "عزيز مَزيز" وصـف للشـيء المحبَّب للنفس لقيمته و فضله.

و الكلمة التابعة غريبة , لكنها بمعني متبوعتها ؛ و لذلك فهي تؤكـدهـا. و كلتـا الكلمتين علي وزن "فَعِيـل" بمعني "مفعول". فالموصوف محتفَظ به مفضَّل ؛ لقيمته.

و كلمة "عَزيز" معروفة مسـتعملة , لدي الفصـحاء و العامّة. و قد استعملها القرآن الكريم في وصف الذات العليّة, كما في قوله – تعالي – (٢ / الجاثية , و الأحقاف): "تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم". و هي هنا بمعني الفاعل. و هو بخلاف مجيئها في وصـف القرآن الكريم , علي ما في قوله – تعالي - :"... و إنّه لَكتاب عزيز"(٤١/ فصّلت).

أمَّـا "مَزِيز" فهي من "المِزّ ؛ بـالكسـر : القَدْر. و المِزّ : الفضـل. و المعنيان مقتربان. و شـيء مِزٌّ , و مَزِيز , و أَمَزّ ؛ أي: فاضل"[٢٥٠].

و يعرف العامة إحدي الكلمات المأخوذة من المادة , و إن غيّروها بعض التغيير[٢٥١]. و الكلمة هي : المُزّ. و هو "من الرُّمَّان

---

[٢٤٨] في الأمالي للقالي ٢١٧/٢: "فإن قيل : ضَيّقٌ عَيِّقٌ ؛ فهو صواب ؛ لأنهم يقولون: ما لاقت المرأة عند زوجها , و لا عاقت ؛ أي لم تلصق بقلبه".

[٢٤٩] يجعل العامّة القاف همزة.

[٢٥٠] اللسان / مزز.

[٢٥١] فهم يكسرون الميم , و يفكون التضعيف.

ما كان طعمه بين حموضـــة و حلاوة. و المُزّ بين الحامض و الحُلو. و شراب مُزّ :بين الحلو و الحامض"[٢٥٢].

و "نَطْشـان" صـفة مأخوذة من مادة لا تحتوي إلا ما يتصـل بالتركيب الإتباعي. و الكلمة تعني : انعدام القوة. فكأنه قد ضـــعفت قوته لشـدة عطشـه.قال[٢٥٣] : "ما به نَطَيشٌ ؛ أي : ما به حِراكٌ و قوّة. قال رؤبة :

* بعد اعتماد الجَرَز النّطِيشِ *

و في النوادر : ما به نَطِيش و لا حَوِيلٌ و لا حَبِيصٌ و لا نَبِيصٌ؛ أي :ما به قوة. و عطشانُ نطْشانُ : إتباع".

و قد يراد بهذا التركيب عكس المعني الســـابق. فـ "النَّطْش : شـدّة جَبْلة الخَلْق. و رجل نَطِيش جَبْلة الظهْر : شـديدها". فكأن المراد أنّ هذا الموصوف قويّ البنية ؛ لذلك هو شديد الاحتمال. و قد يكون المراد بالعطش هنا شـــدة بنيان الجســـم, و عدم رخاوته ؛ فهو لذلك صُـــلْب , كأنّه البناء الذي يبِس فاشـــتدّ. و أتبع هذا المعني المجازي للكلمة بالوصـف "نَطْشـان" الدالّ علي قوّة الخلقة الطبيعية للمرء.

و قد سـبق أن ذكرت أنّ كلمة "وَقِير" علة للوصـف السـابق عليها. فالمرء يظهر أثر فقره بســبب كثرة حاجاته ؛ ممَّا يُثقِل كاهله. و "وقر" تدل علي الثقل.[٢٥٤]و هو ما جعل القرآن يعبر عن إعراض المشـركين عن سـماعه بقوله : "... و في آذاننا وَقْرٌ" (٥/فصّـلت). فكأنّ في الآذان حائلا ثقيلا يحجب وصول آياته إليها.

و قـد ذهـب القـالي في توجيـه معني "وَقير" إلي أنهـا من "وَقِرْت العَظْمَ, أَقِره. و الوَقْرة : الهَزْمة في العظم. أنشدنا أبو بكر بن دريد :

رأوا وَقْرة في العظم منّي ؛ فبادروا

---

[٢٥٢] السابق.

[٢٥٣] اللسان / نطش.

[٢٥٤] المقاييس / وقر. و ذكر أن صيغة فَعِيل إتباع لفقير , و أشار إلي الوَقْرة في العَظم.

بها وَعْيَهـا , لَمَّا رأوني أَخِيـمها"[٢٥٥]

و الوَقْرة هذه – فيما أري – من آثار الثّقل , الذي هو المعني الرئيس للمادة. و في القاموس أن من معاني "الوقير" : النُّقْرة العظيمة في الصخرة تُمسك الماء. وهذا من آثار إحداث الوقرة بشيء ثقيل , أو أمر عظيم.

و ذكر أيضا أن الكلمة تعني : القطيع من الغنم , أو صغارها , أو خمسمائة منها , أو عامّ , أو الغنم بكلبها و حمارها و راعيها.

و هذا المعني الدال علي الكثرة , يمكن أن نلحقه بالثقل مجازا. يؤكد ذلك ما ذكره القاموس بعدئذٍ من أنّ "القِرَة ؛ كعِدة : العِيال , و الثِّقل , و الشيخ الكبير , و وقت المرض , و الشاء , و المال. و فقير وَقِيرٌ : تشبيه بصغار الشاء , أو إتباع".[٢٥٦]

و الكلمة التابعة غير معروفة الاستعمال. و تستعمل صيغة اسم المفعول من الرباعي "وقّر" بدلا منها. فيقال : الهيئة الموَقَّرة – المجلس الموَقَّر.

و كنت جعلت التركيب "كثير بثير" مما يتطابق طرفاه في المعني , أو مما يؤكّد فيه الثاني الأول. و ليس ذلك بعيدا ؛ فالبَثْر يعني التفرّق و الانتشار. و منه سمّيت البُثُور التي تصيب الجلد , و تنتشر علي سطحه. فالكثير منتشر في مساحة واسعة , مفرَّق في جنباتها.[٢٥٧]

---

[٢٥٥] الأمالي ٢ / ٢١١. و ذكر أن المراد بالوعي في البيت قد يكون انجبار العظم علي غير استواء , أو ما يمتلئ به الجرح ثم يسيل منه . و في القاموس : الوَقْر : الصَّدع في الساق , كالوَكْتة (التقطع) , أو الهَزْمة تكون في الحجر , و العين و العظم. و انظر المقاييس / وكت.

[٢٥٦] القاموس المحيط / وقر.

[٢٥٧] في القاموس أن البَثْر : الكثير و القليل , و خُراج صغير(أوبَثْر صغار ,كما قال الجوهري ؛ لكون البَثْر اسم جنس جمعيًّا ؛فيجوز و صفه بالجمع و المفرد , كما بهامشه). و قال : بَثِر وجهُه ؛ مثلَّثةً بَثْرًا و بُثُورًا و بَثَرًا ؛ فهو بَثِر. و أشار إلي أن التركيب "كثير بَثير" من الإتباع , مع جواز إفراده.

و يقال أيضا : كثير بَجِير. و قد سبق أنه ممّا ذكره الوسيط من تراكيب الإتباع. و الكلمة التابعة هنا تعني التراكب و التعقّد. و هذا يستلزم كثرة المتراكب و المتعقد. قال ابن فارس في المقاييس[٢٥٨]: "الباء و الجيم و الراء أصل واحد , و هو تعقّد الشيء و تجمّعه. يقال للرجل الذي تخرج سُرَّته , و تتجمّع عندها العروق : الأَبْجَر, و تلك البُجْرة. و العرب تقول : أفضيت إليه بعُجَري و بُجَرِي ؛ أي : أطلعته علي أمري كله".[٢٥٩]

و علي هذا فالتناسب قائم بين الكلمتين ؛ فكلتاهما تدل علي الكِبَر , أولاهما من حيث العدد , و الأخرى من حيث الحجم. و ربما صحّ أن يفضيا إلي بعضهما في وصف كثرة المال. و قد جعل الوسيط كلمة "البَجِير" بمعني : المال الكثير.

و جاءت الكلمة إتباعا في الو صف بالعُمران ؛ فقيل: "مكان عَمِير بَجِير"[٢٦٠]. و ذكر القاموس[٢٦١] أنه يقال : كثير بَجِير عَمِير , وأنه إتباع. و يبدو أن ذلك هو الأكثر , أو هو الصحيح وحده ؛ إذ لم يذكر اللسان إتباعا في وصفه المكان. و قد ذكر أنه يقال : "عَمَر الرجلُ مالَه و بيتَه يعمُره عِمارةً وعُمُورا و عُمْرانًا : لَزِمه ... و عَمَر المالُ نفسُه يَعمُر , و عَمُر عَمَارة (الأخيرة عن سيبويه) , و أعمَره المكانَ , و استعمره فيه : جعله يَعمُره".[٢٦٢]و وضّح الوسيط معني "عَمَر المالُ" بأنه: صار كثيرًا وافرًا.

و لا تعرف لغة الكتابة الكلمتين التابعتين , كما لا تستعمل كلمة "عَمِير".

و المرجح أنّ التابع في التركيب "وحِيد قَحِيد" قد صار بمعني المتبوع ؛ لما يكتنف معناه من الغموض. و لا بُدَّ أن ذلك قد

---

[٢٥٨] بجر.

[٢٥٩] و في القاموس / بجر : البُجْرة : السرّة , عظُمت أم لا , و العقدة في البطن و الوجه و العنُق.

[٢٦٠] المزهر ١/ ٤٢٤. و في اللسان / عمر : "و مكان عامر : ذو عمارة. و مكان عَمِير : عامر".

[٢٦١] آخر مادة عمر.

[٢٦٢] اللسان/ عمر.

تحقّق شيئًا فشيئًا , مع البعد عن البيئة اللغوية التي تشتهر فيها الكلمة , و هي البيئة المهتمّة بالإبل و ما شـــابهها. و لقد عرفنا – من قبل – أنّ الكلمة من : أَقْحَدَت الناقةُ ؛ أي : صـــارت لها قَحَدة كبيرة , أو هزيلة. فلمّا كانت القحَدة – و هي السَّـنَام أو أصـله – وحيدة , اتخذت صـفة من مادتها لتقرن بكلمة "وحِيد" لتأكيد معناها. و يمكن أن نتّخذ الكلمة في التركيب و ما شـــاكله مثالا علي ما دعاه الدكتور أحمد مختـار عمر بـالكلمـات المعتمـة من المترادفـات التي لا يتبين وجـه اختصـاصـها بمعني , يجعلها تتميز به عن الكلمات التي تشـترك معًا في معني, بإجمال , أو علي سبيل التعميم.[٢٦٣]

و "النَّـذْل الرَّذْل" كلمتـاه بمعنًي. و الأقرب أن لا يكون من الإتباع ؛ لعدم ذكر اللســـان لذلك. و الكلمتان معروفتان للخاصـــة و العامّة , علي أنّ العامّة يحرّكون الذال من الكلمة الثانية بالكســـر , و كذا يفعلون بالراء. و هو إمَّا أن يكون تطورا لـ "رَذْل" – و هو الدّون من الناس – بتحريك أوسـطها[٢٦٤] , أو هو تطور بصـيغة "رَذِيل" التي لها المعني نفسـه , و ذلك باختصـار الكسـرة الطويلة, مع كسـر الراء ؛ لتتناسـب مع الكسـر بعد الصـامت الثاني , و هو ما فعل بأول الكلمة الثلاثية. و العمل علي التناسب بين الحركات لاختيار الصـيغة الأيسر معروف في منطق العامة التوسع فيه من قديم.[٢٦٥]

في اللســـان أنّ "النّذْل و النَّذيل من الناس : الذي تزدريه في خِلقته و عقله. و في المحكم : الخســـيس المحتقر في جميع أحواله. و الجمع أنذال و نُذُول و نُذَلاء. و قد نَذُل نَذَالـة و نُذُولـة. الجوهريّ : النذالة :السفالة...نَذْل و نَذِيل, أي :خسيس".

و تشـــترك "الرّذْل" في معانيها مع معاني ســـابقتها. و يضـــاف إلي ذلك أن الكلمة تدل علي الرديء من كل شـــيء. يقال: رجل رَذْل الثياب و الفعل.

---

[٢٦٣] علم الدلالة , للدكتور أحمد مختار عمر ٢٣١.

[٢٦٤] و هذا مسلك تعرفه العربية في الكلمات الثلاثية الساكنة الوسط.

[٢٦٥] لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر٢٥٦ , ٢٥٧.

و قد و رد جمع "أفعل" التفضـــيل من هذه الصـــفة[٢٦٦] في القرآن الكريم في حكايته وصف قوم نوح – عليه السلام – للمؤمنين به ؛ إذ يقول "...و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا"(٢٧ / هود). و جاء الوصـف في السـياق نفسـه , في موضـع آخر بصـيغة جمع المذكر السالم؛حيث يقول: "...و اتّبعك الأرذلون"(١١١/ الشعراء). كما استعمل الوصف نفسه في القرآن , في وصف آخر العُمُر حالَ الكِبَر و العَجْز من حياة الإنســـان. قال – تعالي - : "و منكم من يُرَدّ إلي أرْذَل العُمُر" (٥/ الحجّ). و في الحديث : "و أعوذ بك أن أُرَدّ إلي أرذل العُمُر".

(ج) و هذه مجموعة ثالثة , و أخيرة , نقف فيها علي غرابة كلمتي التركيب الإتباعي :

- أَشَقُّ أَمَقّ.
- مكان بَلْقَعٌ سَلْقَعٌ.
- تاعِسٌ واعِسٌ.
- تاكٌّ فاكٌّ.
- ثَعْد مَعْد.
- ما له؟ ثُلَّ و غُلَّ.
- جَوَّاسٌ عَوَّاسٌ.
- ما به حَبَضٌ و لا نَبَض ؛ أي : ما يتحرّك.
- عيْنٌ حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ.
- جاء بالمال من حَسّه وبَسّه ؛ أي : من حيث شاء.
- حَزْنٌ شَزْنٌ : وَعْرٌ صعْب.
- أذُنٌ حَشِرةٌ مَشِرةٌ.
- حَشْلٌ فَسْلٌ.
- حَطِيءٌ نَطِيءٌ : رَذْلٌ.
- ما له حَمٌ و لا رَمٌ , و لا حُمٌ و لا رُمٌ ؛ أي : ما له شيءٌ.

[٢٦٦] ذكر اللسان أن لها نفس معاني الرذل و الرذيل.

- ما لي فيه حَوْجاءُ و لا لَوْجاءُ.
- خَبٌّ ضَبٌّ.
- خَصِيٌّ بّصِيٌّ.
- لحمه خَظا بَظَا.
- خازِ بَازِ. تقال للذباب , أو لنوع منه.
- خاش ماش , و هو المتاع.
- خِيم بالمكان و رِيم.
- دَعِبٌ لَعِبٌ.
- رأس زَعِرٌ مَعِرٌ.
- ما له سَبَدٌ و لا لَبَدٌ.
- سَغِلٌ وَغِلٌ , و سَغْل وَغْلٌ.
- سَلِيخٌ مَلِيخٌ (و سَلِيهٌ مَلِيهٌ).
- هو لك أَبدًا سَمْدًا سَرْمَدًا.
- سَمْهَجٌ لَمْهَجٌ.
- سَنَامٌ سامِكٌ تامِكٌ.
- رجل سَهْدٌ مَهْدٌ ؛ أي : حسن.
- شيءٌ شَذٌّ فَذٌّ بَذٌّ.
- شَغْبٌ جَغْبٌ.
- شَقِيحٌ لَقِيحٌ (و نَبِيح عن يونس).
- شَكِسٌ لَكِسٌ.
- شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ.
- رُطَبٌ صَقْرٌ مَقْرٌ.
- فرس صَلَتَان فَلَتانُ.
- رجلٌ صَيِّرٌ شَيِّر.
- صُمْعَةٌ لُمْعَةٌ.
- طَبٌّ لَبٌّ.
- طَبِنٌ تَبِنٌ.
- عَوزٌ لَوزٌ.
- عَكٌّ أَكٌّ , و عَكِيكٌ أَكِيكٌ.
- عَلْجَمٌ خَلْجَمٌ ؛ أي : طويل ضخْم.

- ما له عافِطة و لا نافِطةٌ.
- رجل عَيْمَانُ أَيْمَانُ. : فاقد الصبر.
- لحم غَرِيضٌ أَنَيضٌ.
- غَضٌّ بَضٌّ نَدٌّ.
- فرس غَوْجٌ مَوْج.
- فَدْمٌ لَدْمٌ.
- إنّه لَفَظٌّ بَظٌّ.
- فَقِهٌ نَقِهٌ.
- كَزٌّ لَزٌّ , و كَظٌّ لَظٌّ.
- له من فَرَقه كَصَيصٌ و أَصِيصٌ؛أي : انقباض و ذُعْرٌ.
- رجل كِفِرِّينٌ عِفِرَّينٌ ؛ أي : خبيث.
- شفة كاثِعةٌ باثِعةٌ : ممتلئة.
- لاحِزٌ لاصِمٌ.
- مخرنطِم مُبرَنطِمٌ.
- ناقة مِسْيَاعٌ مِرْياع.
- مائقٌ دَائقٌ.
- تركتهم هَتَّا بَتَّا.
- إنّه لهَذِرٌ مَذِرٌ.
- أحمق هَفَاتٌ لَفَاتٌ ؛ أي : خفيف.
- هُلَعَةٌ بُلُعَةٌ.
- هائعٌ لائعٌ , و هاعٌ لاعٌ ؛ بمعني :جبان.
- كثر الهِيَاط و المِياط ؛ أي : العلاج.
- وَتِحٌ شَنِقٌ.
- وَعِقٌ لَعِقٌ.

و تدل كلمتا التركيب : "الأشَـقّ الأمقّ" علي الطول , و قد تنفرد ثانيتهما بالدلالة علي الفاحش منه.

و دلالة الكلمة الأولي علي الطول نابعة من دلالتها علي البعد بين طرفي المشقوق. فالشَّقّ هو الصدع في عود أو حائط أو زجاجة. و من ذلك "الشُّـــقّة". و هي : بعد مســـير إلي الأرض البعيدة. و قد

وردت الكلمة في القرآن الكريم ؛ ففيه : "...و لكن بَعُدت عليهم الشُّقّة"(٤٢/ التوبة). و حُملت المعاناة علي معني البعد هذا ؛ إذ قطعه سيْرا , أو سفرًا, مفضٍ إليها لا محالة. و لذا كان "الشِّقُّ و المَشقَّة : الجهد و العناء. و منه قوله – عزّ و جلّ – "إلا بشِق الأنفس".[٢٦٧]

فإذا ما أضيف إلي ما سبق عن دلالة المادة كون "أَشَقّ" علي وزن "أفعل" التفضيل , كنا أمام الغاية في بلوغ الطول.

و قس علي ذلك الكلمة التابعة. و هي تكاد تتطابق في المعني مع سابقتها. فيقال : رجل أمَقّ , و امرأة مَقّاء ؛ أي طويلان. و خَرْق أمَقّ : بعيد الأرجاء. و مفازة مَقّاء : بعيدة ما بين الطرفين. و كل تباعد بين شيئين مَقَق.و المَقّ:الشَّقّ. و مققت الشيء أمُقّه مَقًّا : فتحته.

و تدل المادة - إلي جانب هذا المعني الذي تتفق فيه مع مادة "شقق"[٢٦٨] – علي وصف المنتقَص طولا ؛ فيقال فَخِذ مَقّاء, و هي المعروقة العارية من اللحم الطويلة. كذلك تدل علي امتقاق الفصيل ما في ضرع أمه؛أي استنفاد ما في أصوله.و مع كون هذا الاستعمال الأخير , ربما تكون كاف الفعل "امتكّ" فيه قد أبدلت قافا – فإن المعنيين يشيران إلي دلالة المادة دلالة رئيسة علي الطول. و هناك أيضا "المُقامِق". و هو المتكلم بأقصي حلْقه. و هو معني يمكن أن نجعله منضويا تحت المعني العام نفسه , و إن بدا مشيرا إلي صوت القاف , الذي مخرجه من اللهاة في الحلق. و في ذلك ما فيه من المناسبة الصوتية بين الكلمة و ما تدل عليه. و لعل اختيارهم للمشتقات من المادة للدلالة علي الطول , كان مراعي فيه قيمة احتوائها علي هذا الصوت , و ما بينه و بين صوت الميم من البعد. فكأن ذلك تجسيد صوتي للمعني , أو تمهيد له لإدراكه , بعد أن أحسّ به المتكلمون من قبل[٢٦٩].

---

[٢٦٧] اللسان / شقق. و الآية ٧من سورة النحل. و ذكر اللسان أن الأشقّ :الطويل من الرجال و الخيل. و الاسم : الشَقَق. ثم أورد عن رؤبة في وصف فرس : أشَقّ أَمَقّ خِبَقّ. قال : "فجعله كله طولا".

[٢٦٨] اللسان / مقق.

[٢٦٩] ربما يؤنس للأخذ بمثل هذا ما نجده في المادة من أنه "يقال: فيه مقْمَقَة و لُقَّاعات. و المَقْمَقة : حكاية صوت أو كلام". فها هو يشير إلي حكاية الصوت , و إن كان لم يفسرها.

و جاء عن ابن الأعرابي أنه يقال : مَقَّق الرجل علي عياله, إذا ضيّق عليهم فقرًا , أو بخلا.

و هذا المعني يمكن أن نلحظ صـــلته بالدلالة علي البعد. فهذا المضـيّق علي عياله قد بالغ في فعله , و فعل ما جعله بعيدا عمّا يفعل أمثاله.

و يشــترك هذا المعني مع ســابقه في أن دلالته علي البعد , أو الطول دلالة غير مباشرة , أو دلالة معنوية.

بقي أن نشــير إلي أن الكلمة الأولي غير معروفة الاســتعمال بمعناها في التركيب. لكنها غير غريبة علي اســتعمال الفصــحاء في التعبير عن المشقة عند الموازنة بين اتصاف شيئين , أو أمرين بها.

و المعني الأخير لمادة "مقق" يذكرنا بقول العامة : (فلان يمَقّق عينيه في الكتب)يقصـــدون بذلك إرهاقهما. و ها نحن وجدنا الفعل يراد به التضـــييق.و قلت إن فيه معني المبالغة, و تجاوز الحدّ في الفعل. و هو ما يفعله المرهق عينيه. و قد يكون من المبالغة في فتحهما , أو إسهارهما. و قد رأينا أن الفعل يعني : فتح.

و "مكانٌ بَلْقعٌ : خالٍ... و البَلْقَع و البَلْقَعة : الأرض القَفْر التي لاشـــيء بها. يقال : منزل بَلْقَع , و دار بَلْقَع ؛ بغير الهاء , إذا كان نعتا... فإن كان اســـما قلت : انتهينا إلي بَلْقَعة مَلســـاء. قال: و كذلك القَفْر. و البلقعة : الأرض التي لا شـــجر بها , تكون في الرمل و في القيعان. يقال : قاع بَلْقَعٌ و أرض بلاقِع".[٢٧٠]

و قد اختلف في "سَلْقَع" بين أن تكون بمعني : المكان الحَزْن الغليظ , و أن تكون إتباعًا لـــ "بَلْقَع" لا يفرَد. "يقال : بلقَعٌ سَلْقَعٌ , و بلاد بلاقع سلاقعُ , و هي الأرَضون القِفار التي لا شيء فيها".[٢٧١]

فليس ثمّة ما يمنع حكاية أصوات الكلمات للمعاني , أو قربها من ذلك. و في القاموس : "في كلامه لُقَّاعات ؛ بالضم مشددة : إذا تكلم بأقصي حلقه".

[٢٧٠] اللسان / بلقع.

[٢٧١] اللسان / سلقع.

و يقال : صَـلْقَع الرجلُ ؛ فهو مُصَـلْقِع , إذا كان عَدِيمًا مُعْدِمًا.
و تأتي "صَلْقَع" إتباعًا لــ "بلقَع" , كما يقال : رجل صَلَـنْقَع بَلَنْقَعٌ , كلتاهما في الإشارة إلي الفقير المعدِم , و لا يفردان.[٢٧٢]
و مادة "سـلقع" – علي ما يبدو – قليلة الاسـتعمال. فصـيغتها الرباعية السـابقة , لا تأتي مستقلة. و قد تكون لازمت "بلقَع" لدلالتها علي المكان الحَزْن الغليظ , ثم لم تعد تأتي مستقلة.
و يأتي الفعل "اسْـلَنْقع" الحصَـــي : "حمِيَت عليه الشــمسُ ؛ فلمع. و يقال له – حينئذٍ - : اسلَنقَع بالبريق. و اسلنقع البَرْق : استطار في الغيم". وهنا نحن نجد اســتمداد معني اللمَعان من الدلالة علي المكان الحزن الغليظ ؛ إذ هو مظَنّة و جود الحصـي و غيره مما يلمع في الشمس. و حُمِل عليه لمعان البرق.
و من هذه الدلالة الأصلية لــ "سلقع" جاءت دلالة السَّلْقع علي الفقر , أو الإفلاس.[٢٧٣] فالمكان الحزن لا نبات فيه و لا حياة؛و من ثم فهو مكان فقير.و لهذا كانت"سَلْقَع"تابعة لـ "بَلْقَع",و يبدو أنّها فقدت استقلاليتها بعدئذ.
و يعرف العامة "بَلْقَع" , لكنهم يجعلون صــوتها الأخير حاءً. و هو ســلوك له ما يبرّره ؛ فالحاء قرينة العين في المخرج الحلقي. علي أن في النطق بها ميلا إلي الأيسر ؛ فالحاء لا تتطلب الجهد الذي تتطلبه العين المجهورة. و هم لا يخطئون في ذلك وحده , بل ربما دلّت الكلمة عندهم علي الفساد.
و هم يسـتعملون اسـم الفاعل من مادة الكلمة الثانية مع إبدال قافها كافًا ؛ فيقولون : (مســلكع) ؛ يريدون بذلك الضــعيف الجســم الهزيل من الناس. و هو من : سَـلْقَع عِلاوَته ؛ لغة في صَـلْقَع ؛ أي : ضرب عنقَه. فهم قد ضيّقوا المعني , علي ما نري.

---

[٢٧٢] اللسان /صلقع.
[٢٧٣] و إن كان ذلك لغة (لهجة) , و ليس أصليا في المادة. و يجوز إبدال السين بالصاد في "صلنقع".

أورد السيوطي أنّهم يقولون:"إنه لَتاكٌّ فاكٌّ ماجٌّ". و ذكر أنه يعنَي به: البعير الذي لا ينبعث من الكِبَر. و قد يوصف به الرجل.[٢٧٤]

و قد اقتصر القالي علي كون التركيب وصفا للأحمق.

و في الوسيط : تَكّ الرجلُ ـِ تُكُوكًا : حمُق , و – هَزُل , و – هلك ؛ فهو تاكٌّ (ج) تُكّاك. و – الشيءَ تَكًّا : قطعه. و – البِطِّيخَ و نحوه : وطِئه فشدخه".

و لعل من السائغ أن نقول إنّ معنيي القطع و الوطْء المستتبع الشدخ , كانا الأصل لمعنيي الهزال و الهلاك ؛ باعتبار أنّ الأوّلين حسّيّان. و لعل في ترتيب صاحب اللسان للمعاني , في المادّة[٢٧٥] , ما يشهد لهذا , و إن كان يصعب التعويل علي هذا الترتيب ؛ فيبقي الأمر راجعا إلي الأخذ بأصالة المعاني الحسّيّة ؛ لتتلوها غير الحسّيّة.

و يرتبط جانبا الدلالة الحسي و المعنوي ببعضهما , و يفضي كلاهما إلي الآخر. فالمهزول قد يكون أثّر فيه الزمن ؛ فكأنه قد اقتُطع من بنيته الجسمية. و قد يصيبه الحُمْق بسبب ما انتابه من الضعف ؛ فيشدخ البطّيخ بوطئه.

و قد صارت كلمة "تاكّ" إلي الدلالة علي الحمق وحده بعد أن كانت تدل علي لازمة من لوازمه , و هو شَدْخ البِطّيخ. و الأحمق يفعل ذلك؛ربّما لفقده القدرة علي الابتعاد عنه,أو لأنه لا يستطيع فعل غيره. و لعل ذكر القالي التركيب وصفا للأحمق[٢٧٦] يشهد علي أن هذا هو الأصل , ثم صارت الكلمة مرادفة للموصوف بأنّه "أحمق".

و لا تعرف لغة المثقفين هذه الصيغة , و إنما يستعملون لفظ "الأحمق".

و يستعمل العامة لفظة "تَكَّة"؛فيقولون إنّ شيئا ما, أو أمرًا (يحتاج تكّة) ؛ أي : يحتاج عملا بسيطا أو سريعًا. و

---

[٢٧٤] المزهر ٤٢٢/١. و بهامشه عن اللسان : الماجّ من الناس : الذي لا يستطيع أن يمسك ريقه من الكبر, و الأحمق الذي يسيل لعابه. و قيل : هو الأحمق مع هرم.

[٢٧٥] ذكر اللسان أولا معني الفعل "تكّ" علي وطء الليّن ؛ فيؤدي ذلك إلي شدخه. ثم ذكر أن التاكّ هو الهالك مُوقًا , و أنه يقال : أحمق تاكّ. و ذكر فيما بعد أنّ التكيك : الذي لا رأي له.

[٢٧٦] فيه : أحمق تاكٌّ فاكٌّ.

الكلمة مقبولة صحيحة. فهي اسم مرّة من الفعل "تَكَّ" بمعني قطَع , و وطِئ. و هم إنما يريدون ممّن يخاطبونه أن يُنهي الأمر سريعًا بالقطع فيه , أو بحمل النفس علي تحمل بعض المشقّة في إنجازه.

أمّا "فاكّ" فهي من "الفَكّة". و هو "الضَّعف". قال الشاعر :

الحزْم و القوّة خير من الإدْهان و الفَكّة و الهاع

و قال ابن الأعرابي : شيخ تاكّ و فاكّ. فمعناه أنّ الشيخ لضعفه إذا وطِئَ لم يقدر أن يشدَخ غير الشيء الليّن. و فاكٌ :هَرِم. و قد فَكّ يفُك فكًّا وفُكُوكًا ؛ فهو فاكّ. و يقال : عنز فاكّة و نعجة فاكّة"[٢٧٧].

و نحن نجد أن الوصف بـ"فاكّ" قد يأتي منفردا. فقد يقال : شيخ تاكّ , كما يقال : شيخ فاكٌّ. علي أنّ الكلمة لا تدل إلا علي الكبر و تقدّم العمر بالمرء نحو منتهاه. و لذا تكون تأكيدا لكلمة "تاكّ"[٢٧٨] بمعني الهرم المهزول. و لنا أن نستنتج من وصف العنز أو النعجة بأنها فاكّة , أنّ ذلك قد يرجع إلي تأخرها عن القطيع ؛ بسبب من مرضها أو ضعفها. فكأنه قد حمل شأن الشيخ الضعيف علي ذلك.

و علي هذا فالكلمتان "تاكّ , و فاكّ" تشتركان في الدلالة علي الهرم , و ما يستتبعه من ضعف. غير أن الأولي تختص بالدلالة علي الحمق و ما لعله يلزم عنه من بعض السلوكيّات.

و في القرآن الكريم , جاء مصدر الفعل "فَكَّ" في سياق بيان ما يتقرّب به المرء إلي الله تعالي ؛ حيث يقول : "...فكّ رقَبَة"(١٣/ البلد). و قد يقال : فَكّ الأسْر , أو فكّ أَسْر الأسري. كما قد يقال في الدعاء : فَكّ الله الكرب. فكأن الأسر و الكرب كليهما قيد يراد إزالته بفتح رتاجه. و في لغة العسكريّين "فكّ الاشتباك". و قد رأينا أن الفك يعني انفراط بعض أفراد المجموعة الواحدة. و هو قريب من الانفراج و التباعد الذي يُرَتّب له ليكون بين المتحاربين. و هو ما يشير إليه هذا الاستعمال الأخير للكلمة.

---

[٢٧٧] الأمالي ٢ / ٢١٥. و البيت لأبي القيس بن الأسلت الأنصاري. المفضليّات ٢٨٥. و الهاع : شدّة الحرص.

[٢٧٨] جاء في اللسان / تكك أنه يقال : أحمق فاكّ تاك , إتباع له. وهذا عكس ما سبق.

و يصـــدق معني الانفراط علي المصـــدر "الفَكَّة" الشـــائع الاســـتعمال عامّيًّا ؛ للدلالة علي يســـير النقود , أو أجزاء وحداتها الكبري. و قد أشار الوسيط إلي أنّه من المولّد.

و يتصل بالتركيب في المعني كل من التركيبين : مائق دائق – أحمق هَفَات لفَـَات.

و "مائق" ذكر البعض أنها تعني سـرعة البكاء و قلة الثبات , من قولهم: ما أباتته مَئِقًا ؛ أي ما أباتته باكيا. "و المَأْقَة و المَأْق : ما يأخذ الصـــبيّ َبعد البكاء. مَئِق يمْأَق مَأْقًا ؛ فهو مَئِق. و امتأق مثله.و المَأْقة...شبه الفُوَاق يأخذ الإنسان عند البكاء و النشيج , كأنه نفس يقلعه من صدره".[٢٧٩]و المُؤق و المَأْق حرف العين الذي يلي الأنف. و قد يقال له : مُوق. و علي هذا فقد اشتقت صيغة "مائق" من مسمَّي حرف العين ؛ إذ هو مجري الدمع عند البكاء. و بعدئذ وصـــف بها الأحمق لسرعة تأثره و انفعاله. و لعلها قد تُوُسع في استعمالها ؛ لتدلّ علي ســـيّء الخُلُق ؛ اعتمادًا علي ما في قولهم : أنت تَئِق و أنا مَئِق ؛ بمعني: أنت ممتلئٌ غضـــبًا و أنا ســـيّء الخُلُق ؛ فلا نتفق. و بعدئذٍ صارت يوصف بها الأحمق بعامّة. و في رأيي أنّا بذلك يمكننا الجمع بين الآراء الثلاثة التي أوردها اللســـان حول معني الكلمة. فإذا ما تقرّر أنّ المُوق : حُمْق في غباوة, و أنّ المائق : الهالك حُمْقًا و غباوةً – عرفنا أنّ هذا معني تالٍ للمعني الحسّـــيّ الأصـــلي, الذي هو البكاء وما يصحبه من إراقة الدمع , علي ما سبق إيضاحه.

و يبدو أنّ الوصـف "دائق" ليس ذا معني واضـح الاسـتقلال عن معني الكلمة المتبوعة. علي أنّا نجد و صـف المال[٢٨٠] بأنه دَوْقَي و رَوْبَي. و المعني : هزْلَي. و لعل هذا ما يعضـد ما ذهبت إليه – في تصـــنيفي للتراكيب – من كون الأحمق مهزول لأنه لا يملك القدرة علي التحمل.

و أمّـا التركيـب الآخر فكلمـة "هَفـاتٌ" فيـه تشـــير إلي معني "التهافت". فالأحمق ضـــعيف الرأي , قليل النفع لنفســـه و غيره. و

---

[٢٧٩] اللسان / مأق , و موق.

[٢٨٠] و يقصد به أصل معناه , و هو : الماشية من نوق و غيرها.

"اللَّفَات" تشـــير أيضـــا إلي الالتفات , و التحوّل عن الأمر أو الشـــخص. و هذا يمكن أن يفيدنا في الوقوف علي صـــفات الأحمق. فهو متردّد , متسرّع , لا يُفيد مما يسمع أو يري.

وقد ذكر الوســـيط أن الكلمتين بمعني الأحمق , غير أنه زاد في معني الثانية تقييده بـ"العسِر الخلُق".

و التركيب "ثَـعْدٌ مَعْدٌ" تدلّ كلمته الأولي علي اللّيّن من الرُّطَب , أو البُسْـــر الذي غلَبه الإرطاب , كما في اللســـان. و احدته ثَعْدَة. و رُطَبة ثَعْدة مَعْدَة : طريّة , عن ابن الأعرابي.[٢٨١]

و تدور معاني الجذر "معد" حول الضـــخامة و الغِلَظ و الانتزاع و الذهاب و الفساد. و لعلّ تسميتهم للبقل الرَّخْص , و الغَضّ من الثمار , و بعض أنواع الرُّطَب بالمَعْد – راجع إلي اكتمال نموّ كلٍّ. فلأجل هذا الاكتمال كبُر حجمها , أو بلغت المنتهي منه. و هذا مندرج تحت معني الغِلَظ , علي أن يكون مع كلٍّ ممّا ذكرنا بحسب ما يناســـبه. و قد اعتمد القالي علي هذا المعني في أحد تفســـيريه لمعني التركيب. قال : "و المَعْد : الكثير اللَّحْم الغليظ".[٢٨٢]

و للقـالي تفســـير آخر مراعًي فيـه معني الانتزاع. قـال إنّ المعني : "رُطَب لَيّن منزوع من الشجرة لوقته".

---

[٢٨١] ذكر اللســـان في آخر المادّة : ما له ثَعْدٌ و لا مَعْدٌ ؛ أي : قليل و لا كثير. و ثَرَي ثَعْدٌ و جَعْدٌ : إذا كان لَيّنًا. و أري أنّهم , في تفســـيرهم لمعني التعبير الأول , إمّا أن يكونوا نظروا إلي معني كلمتي التركيب من جانب واحد , و إمّا أنهم اعتمدوا علي ما للكلمة الأخري من الدلالة علي شدّة العيش , علي ما سنقف عليه. فهم – علي الاعتبار الأول – قد خصّوا أولي الكلمتين بالقليل , و الثانية بالكثير. فنظروا إلي عدم الإرطاب في الأولي , و نظروا إلي جانب كثافة اللحم و غِلَظه في الثانية. و قد أتاح لهم ذلك أن يقرنوا الأولي بقلّة المال , و الثانية بكثرته. و القول بأنهم نظروا إلي الكلمتين من جانب واحد ملاحَظ فيه ما صـــار إليه أمر الكلمتين في التركيب الإتباعي من التقارب في المعني , أو الاتحاد فيه.

أمّا الاحتمال الثاني فسنجد أن تفسيرهم يقتضينا عكس وضع الكلمتين بإزاء القلة والكثرة , و سينظر إلي جانب الإرطاب في الكلمة ؛ ليكون دالا علي الكثرة.

و صـــنيعهم في التعبير الثاني يشـــهد لما قلنا في هذا الاحتمال الثاني. فقد أخذوا المعني الحقيقي لكلمة "ثَعْد" , و هو غلبة الإرطاب. و الجعودة , أو التموّج الذي تدل عليه الصفة "جَعْد" إنّما هو نتيجة لليونة هذا الثَّري. و يراد بالجعودة هنا آثار أقدام المشاة.

[٢٨٢] الأمالي ٢ / ٢١٦.

و في كلا التفسيرين نقف علي استقلالية كلتا الكلمتين بمعني خاص بها. و هو ما قال به بعضـــهم , و إن كان آخرون قد ذهبوا إلي أنّ "المَعْد" إتباع لا يفرد.[٢٨٣]

و قولهم : ما لـه؟ ثُلَّ و غُلَّ , تعجب من حال المحدَّث عنه ؛ فهو قد انتزِع من موقعه , و قُيِّد أو ضُـــيِّق عليه. و قد تكون الجملتان الفعليتان دعاء.

و ما معنا هنا ليس إتباعا , بل هو من الازدواج , غالبا,[٢٨٤] أو المصـاحبة غير اللازمة. فالفعلان كما يستعملان معا ؛ لتناسـبهما, و اســـتدعاء أحدهما الآخر ؛ لمقاربته له في المعني لكونه نتيجة له أو سببا – فإنّ كلا منهما يستعمل بمفرده لتمام تصرفه و استقلال معناه , و إن كانا غريبين بعض الشيء, و بخاصة الأول.

جاء في اللسـان[٢٨٥]: "و ثُلَّ إذا هلك. و ثُلّ إذا استغني[٢٨٦]. ابن ســـيده : الثلَل ؛ بالتحريك : الهلاك. ثلَلْت الرجلَ أَثُلّه ثَلا و ثَلّلا... و ثَلّ البيتَ يَثُلّه ثَلاً : هدمه , و هو أن يُحفر أصـــل الحائط , ثم يُدفع فينقاض. و هو أهول الهدم... و ثُلّ عرش فلان ثلاً :هُدِم و زال أمر قومه ... و قال ابن دريد : ثُلّ عرشُـــه ثَلاً : تضـــعضـــعت حاله. قال زهير :

تداركتما الأحلاف قد ثُلّ عرشُها
و ذبيـــان قد زلّت بأقدامها النـــعلُ

كأنه هُدم و أُهلك".

---

[٢٨٣] اللسان / معد.

[٢٨٤] لم يشر اللسان (ثلل) إلي كون التعبير من الإتباع. و ذكر في (غلل) أنه يقال : "ما له أُلّ و غُلّ. أُلّ: دُفع في قضاء , و غُلّ : جُنّ فوضع في عنقه الغُلّ".

[٢٨٥] ثلل.

[٢٨٦] كان ذكر في أول المادة : "الثَّلّة :جماعة الغنم و أصوافها... قليلة كانت أو كثيرة و قيل : الثَّلّة : الكثير منها. و قيل : هي القطيع من الضأن خاصة...". و ذكر بعدئذ أن الثَّلّة التراب الذي يُخرج من البئر. أقول : لهذا ليس يستغرب دلالة الفعل علي الاستغناء. فقد يكون مَن ثُلّ : امتلك مالا , أو كان ماله كالثري.

و "غُلَّ" من الغُلّ , و هو القَيْد في العنق أو اليد. و يجمع علي أغلال. و قد وردت في الآية الكريمة :(١٥٧/ الأعراف) "و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم".

و الفعلان "ثُلّ – غُلّ" لا يكادان يستعملان[٢٨٧]إلا في الكتابة العالية المستوي , أو الأدب الجيد.

و "جَوَّاسٌ عَوَّاسٌ" يعني : كثير التَّطواف في الليل. و التركيب ليس من الإتباع ؛ فيما أحسب ؛ إذ لم يشر اللسان إلي ذلك. و لكلتا الكلمتين المعني نفسه , و هو الطَّوْف بالليل , علي أن الأولي أكثر اختصاصا بالدلالة علي الترداد و الطواف[٢٨٨], في حين أنّ الثانية – فيما يبدو – أكثر دلالة علي تحديد زمنهما. كما أن الثانية تشير إلي معانٍ أخري , لها علاقة وثيقة بالطوْف و الترداد و طلب الشيء باستقصاء. فهي تشير إلي إحسان القيام علي أمر المال , و العيال. " يقال : إنه لسائس مال , و عائس مال ...و عاس علي عياله , يعُوس عَوْسًا , إذا كدّ و كدح عليهم... و العَوْس : إصلاح المعيشة".[٢٨٩]

و قد جاء في الحاشية قبل السابقة أنّ الفعل "جاس" قرآني , و رد مرّةً واحدة في الآية المذكورة , و هي الآية ٥/الإسراء. و ورد الفعل ضمن غريب القرآن الذي عرض له ابن عباس – رضي الله عنه- بالشرح.[٢٩٠]

---

[٢٨٧] و كذا المبني للمعلوم منهما.

[٢٨٨] في اللسان / جوس :"الجَوْس : مصدر جاس جَوْسًا و جَوَسَانًا : تردَّد. و في التنزيل العزيز : "فجاسوا خلال الديار" ؛ أي تردّدوا بينها للغارة... و جاسوا و حاسوا بمعني واحد : يذهبون و يجيئون... الأصمعي : تركت فلانا يجوس بني فلان و يَحُوسهم ؛ أي : يدوسهم و يطلب فيهم".

و فيه / عوس : "العَوْس و العَوَسَان : الطَّوْف بالليل".

[٢٨٩] اللسان / عوس. و ذكر اللسان أن الجُوس : الجوع. يقال :جُوسًا له و بُوسًا , كما يقال : جُوعًا له و نُوعًا. أقول : إن هذا المعني مجازي , ذو صلة بالمعني الحقيقي , و هو الطواف , و الذهاب و المجيء. فالجوع يشمل كل الجوف , أو المعدة ؛ فكأنه ذرَعها بتأثيره. فهذا هو المعني الفرعي الوحيد للمادة.

[٢٩٠] الإتقان , للسيوطي ١١٥/١. وقال إن الفعل بمعني : مشَوْا.

لا غرْو أن يكون استعمال الفعل و ما اشتُق منه أو من المادة قاصرًا علي ذوي الثقافة اللغوية , و مجوّدي الأدباء.

ولقد تستعمل كلمة "عُوَيْس" علَما. فلعلها تصغير "العَوْس" بمعني إصلاح المعيشة. و قد تكون مأخوذة من "العَوَس" , و "هو دخول الخذّين حتي يكون فيهما كالهَزْمتين. و أكثر ما يكون ذلك عند الضحك".[٢٩١]

مرّ بنا في الوسيط أنه يقال : ما به حَبْضٌ و لا نَبْضٌ ؛ بمعني : ما به حِرَاكٌ , و لم يذكر أنه إتباع.

و في اللسان : ما له حَبَضٌ و لا نَبَضٌ ؛ محرَّك الباء ؛ أي : حركة. و قال إنه تعبير لا يستعمل إلا في الجحْد. و الحَبَض : الصوت , و النبض: اضطراب العِرق. و قيل : الحَبَض : حبَض الحياة , و النبض : نبض العروق, و الحُبَاض: الضعف[٢٩٢].

إنّ المراد نفي امتلاك المحَدَّث عنه أيّة قدرة , مهما ضعفت. و لذا نُفي أنّ له حَبَضًا , و هو أقل مقدرة علي الحركة, مهما بدت غير مؤثرة[٢٩٣]. و قد رأينا تقارب معنيي كلمتي التركيب ؛ حتي إنّ الحَبْض بالوتر فُسّر بالإنباض به.

و لا تعرف "حَبَض" و لا "حَبْض" علي حين يستعمل العامة و الخاصة "النبْض".

جاء في اللسان[٢٩٤]: "عيْنٌ حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ : عظيمة. و قيل : حادّة النظَر. و قيل : حَدْرَة : واسعة[٢٩٥]. و بَدْرَةٌ : يبادر نظرها نظر الخيل. عن ابن الأعرابي. و عين حَدْراء :حسَنة... الأصمعيّ : أمّا قولهم :

---

[٢٩١] اللسان / عوس. و الهَزْمة مثل النّقرة , أو الحُفرة.

[٢٩٢] اللسان / حبض , و أدب الكاتب لابن قتيبة٤٣.

[٢٩٣] نفهم ذلك ممّا سقناه من معاني الحبَض. و نضيف إليها أن الحبْض بالوتَر : الإنباض به , أو مَدّه ثم إرساله. و حَبَض السهمُ يَحبِض حُبوضا : أن تنزِع في القوس ثم ترسله ؛ فيسقط بين يديك و لا يصُوب؛ أي لا يستقيم. و هذان المعنيان يشهدان لما ذهبت إليه.

[٢٩٤] حدر.

[٢٩٥] و هو ما ذكره ثانيا عن الأزهري , و زاد بأنها الجاحظة.

عين حَدْرَة ؛ فمعناه مكتنزة صُـــلْبة , و بَدْرة بالنظر. قال امرؤ القيس :

و عَيْن لها حَدْرة بَدْرة شُقَّت مآقيهما من أُخَرْ"

و الحَدْر من كل شـــيء – كما ذَكَر - : تحدّره من علوّ إلي سُفْل. يقال : حَدَر الشـيءَ يحدِره , و يحدُره حَدْرا و حُدُورا ؛ فانحدر : حطّه من علُوٍّ إلي سُفْل. و منه حَدْر الدمع , و حَدَرت العينُ به.

و تدل المادة علي الغِلظ و السّمَن أيضًا ؛ إذ يقال : "فتًي حادر ؛ أي غليظ مجتمع. قال : و كل رَيّان حسَن الخلق حادر".

فالتركيب يراد به وصـف العين بالعِظَم , الذي يسـتلزم الحِدّة. و من ثَم فهي مبادرة بالنظر إلي الأشـياء , سـابقة غيرَها إلي رؤيتها. و لعل ما في بيت امرئ القيس يؤكد ذلك.

و قد لزِم من معني الانحدار تحقق معـاني بروز العين , أو جحوظها , أو عِظَمها. و الراجح أنه لا يراد ذلك الجحوظ المَعِيب. و هو ما لعله يؤكده تفســير وصــف العين "الحَدْراء" بالحسَــنة. فهي ليست خَزْراء.[٢٩٦]

و يبـدو أنّ الكلمتين "حَـدْرَة – بَـدْرَة" بمعني واحـد. ذكر القـاموس أن العين توصـــف بثـانيتهمـا , و أن ذلك يعني أنهـا تبـدُر بالنظر , أو أنها تامّة.[٢٩٧] و واضــحٌ ما في الوصــفين من التجوّز, و إن كان ذلك أوضحَ في الثاني ؛ إذ هو علي تشبيه العين بأنها كالبدر , و هو القمر ليلة اكتمال ضوئه.[٢٩٨]

و تعرف لغة الكتابة اســتعمال كل من الفعل "انحدر" و المصـــدر "الانحدار" من مادة الكلمة الأولي "حَدْرَة". و لا يبعد أن يسـتعمل الأديب , أو المجوّد في كتابته الفعل "تحَدّر" أو مصـدره , في وصــفه الماء , أو الدمع , أو غيرهما ممّا يصــح وصــفهما , أو الحديث عنهما باستعمال الكلمتين.

---

[٢٩٦] الخَزَر ؛ محرّكة :كسْر العين بصرَها خِلْقة , أو ضيقها و صغرها , أو النظر كأنه في أحد الشِّقّين, أو أن يفتح عينيه و يغمّضهما , أو حَوَل إحدي العينين. خَزِر ؛ كفرِح ؛ فهو أخزر. القاموس / خزر.

[٢٩٧] القاموس / بدر.

[٢٩٨] قال في القاموس : البدر : القمر الممتليء.

و يعرف العامة و الخاصة "البَدر" وصفًا للقمر ليلة اكتمال ضوئه. و يستعمل الكتاب الفعل "بادر" و المصدر "المبادرة" من جذر الكلمة الثانية : البَدْرة. و قد كانت هذه تستعمل قديما للدلالة علي كيس النقود ؛ لما يحويه من الكثير منها.[٢٩٩] و كأنه شُبّه بالبدر لكِبَره مقارنةً بالأهلّة قبله , و ربما لتشابه الأثر النفسي الذي يتركه كلا المشبّه و المشبه به في النفس , و هو استشعار السعادة و الجَذَل.

و في التعبير : جاء بالمال من حَسّه و بَسِّه[٣٠٠] , نجد أن الكلمتين المتعاطفتين مترادفتان , تدلان علي الشدّة أو مضادّها ,و هو الرفق و حسن التأتّي للشيء. و هذا يدل عليه مجيء"و عَسّه"في التهذيب بدلا من "و بَسّه". فهي تعني السير ليلا للبحث عن الأشياء.[٣٠١]

و قد ذكر صاحب اللسان أنه يقال : لآخذَنّ منك الشيءَ بحَسٍّ أو ببَسّ ؛ أي : بمشادّة أو رِفْق. و مثله : لآخذنّه هَوْنًا أو عَتْرَسةً.[٣٠٢] و هذا يعني أنّ الكلمتين مختلفتا المعني. و اللسان يذكر أنّ العرب تقول عند لذعة النار و الوجع الحادّ : حَسٍّ بَسٍّ , و ضُرب فما قال : حَسٍّ و لا بَسٍّ.[٣٠٣] كما يذكر عن اللحياني أنه يقال : مرّت بالقوم حَوَاسُّ ؛ أي : سنون شِدَاد , و الحَسّ : القتل الذّرِيع. و هذا كله يشهد لمعني الشدّة , أو التطلّب الشديد, أو الشاق للشيء.

---

[٢٩٩] في القاموس : البَدْرَة : كيس فيه ألف , أوعشرة آلاف درهم , أو سبعة آلاف دينار.

[٣٠٠] سبق أن هذا التركيب في الوسيط , و أنه يعني : جئ بالشيء من حيث شئت.

[٣٠١] في القاموس : "عَسَّ عَسًّا و عَسَسًا , و اعتسّ : طاف بالليل , و هو نفْض الليل عن أهل الريبة".

[٣٠٢] اللسان / حسس.

[٣٠٣] "بالجرّ و التنوين. و منهم من يجرّ و لا ينوّن. و منهم من يكسر الحاء و الباء ؛ فيقول : حِسٍّ و بِسٍّ. و منهم من يقول : حَسًّا لا بَسًّا ؛ يعني : التوجع". اللسان / حسس.

و يطابق هذا المعني ما ذكره اللســـان من أنّ البَسّ يعني تفتّت الجبال أو نســـفها. و اســـتعمل الفعل "بَسّ" بهذا المعني في القرآن الكريم , في الآية ٥من ســـورة الواقعة : "و بُسّت الجبال بَسًّا". و الكلمة بهذا المعني مرادفة للحَسّ بمعني الجهد. و يقرب منه معني إذهاب المال ؛ إذ يقال : بَسّ في ماله بَسّـةً : أذهب منه شيئا.

إن المجيء بالشـيء المعين يتطلب بذل الجهد في سـبيل ذلك. و هذا ما توفره معاني الكلمتين المندرجة تحت "الشِّـــدّة" علي ما رأينا. علي أنّ تطلّب الشيء يقتضي أناة و صبرا و حسن تأتٍّ له , و هو ما نجد الكلمتين تدلان عليه أيضـــا ؛ فتبدوان كمترادفين اســـتعملا لهذا , تمامًا كحالهما في الاشـــتراك في الدلالة علي معني الشدّة , أو القصد في قوة و دونما تردّد نحو الهدف المراد تحصيله.

فالحَسّـــة : الحالة. و الحِسّ : الصـــوت الخفيّ. و الحِسّ من: أحســـست بالشـــيء , و هو الذي تسـمعه قريبا منك و لا تراه. و هو الحركة. و أَبَسّ بالناقة: دعاها للحلب. و الإبساس أن يمسح ضرعها ليســكّنها لتدِرّ. و انبسّ الرجل إذا ذهب. و البَسّ : الســير الرقيق , و السـوق الليّن. فكأن القائل : "جئني به من حَسّـك و بَسّـك" أراد : كن في حالة المتسمّع المترقّب الذي يتحيّل للشيء حتي يحصّله , و للأمر حتي ينجزه. و هكذا يكون معني التركيب الإتباعي : جئني بـه من حيث شـــئت , أو من حيث كان و لم يكن[٣٠٤]. ذلك أنّ متطلب هذا الشـيء يكون قد استعمل كل الوسائل لتحصيله شدّة ور فقًا , علي ما سبق أن أوردناه عن صاحب اللسان نفسه , أو باستعمال الشدة وحدها ؛ بمعني العزم و عدم التراخي في ســـبيل تحقيق المراد , أو حســـن التأتّي للأمر , و اســـتعمال ما يناســـب كل حالة. و هو ما رأينا بعض معاني كلتا الكلمتين يشهد له.

و لا تعرف لغـة الكتـابـة كلمتي التركيـب , علي أنّـا نلمس استعمال العوام لهما , أو لما هو من مادتهما.

---

[٣٠٤] و اللسان / بسس.

فالعامة يقولون : فلان بخير علي حِسّك. فهم يريدون بذلك أنّه علي ما أحسست به , أو ما أدركته عنه بحواسّك , أو ما علمته من أخباره , و رأيته عليه.

و يقولون : خُذْ حِسّ كذا , يعنون : تنبّه له و ارقبه من بعيد. و هذا يتفق مع ما جاء من أنّ الحِسّ و الحَسِيس[٣٠٥]: الذي تسمعه ممّا يمُرّ قريبًا منك و لا تراه.

و هم يستعملون الفعل "بَسّ"[٣٠٦] في الحديث عن إعداد بعض الأطعمة أو الحلوي , و غيرها. و مما يفيده "البَسّ" : خلط السَّوِيق و الدَّقيق و غيرهما بسمن أو زيت.

و يقولون "بَسٌّ" في طلب الكفّ عن الكلام أو غيره. و أشار الفيروزآبادي إلي الكلمة في القاموس , و ضبطت فيه بإسكان السين. و قال إنها "بمعني : حَسْب , أو هو مسترذَل". و في الوسيط : بَسّ ـُ بَسًّا ؛ بمعني المبالغة في الطلب. و ذلك المعني غير غريب عن معاني الشدة و ما تستلزمه فيما سبق من تناولنا للمادة.

و الحَزْن : ما غلُظ من الأرض. و تشير كلمة "الشَّزَن" إلي المعني نفسه.[٣٠٧] و يبدو أن الكلمة الثانية سُكّن وسطها ؛ ليناسب إسكان وسط الأولي.

و جاءت كلمة "الحَزْن" في بيت عنترة :

و تحُلّ عبلة بالجواء,و أهلُنا بالحَزْن فالصّمّان فالمتثَلّمِ

و هو يشير بالكلمة إلي موضع لبني يربوع , فيه رياض و قيعان , أو هو "قُفٌّ غليظ مسير ثلاث ليال في مثلها. و هي بعيدة من المياه ؛ فليس ترعاها الشاء و لا الحُمُر ؛ فليس فيها دِمَن و لا

---

[٣٠٥] وردت "الحَسيس" في وصف بعد المؤمنين من النار يوم القيامة في قوله – تعالي- : "لا يسمعون حَسِيسها , و هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون"(١٠٢/ الأنبياء).

[٣٠٦] و بعض المشتقات منه , كالفعل علي صيغة "اتفعل : اتبِسّ" , وكلمة (البسبوسة) الشائعة.

[٣٠٧] القاموس / حزن , و اللسان / شزن.

أرواث".[٣٠٨]فالمكان – إذن – يصعب ارتياده لبعده. و هو بعض ما يشير إليه اسمه "الحَزْن" الذي هو ضد "السهل".

و قد ذكرت كلمة "الحَزْن" أيضا في قول الأعشي :

ما روضةٌ من رياض الحَزْن مُعشِبةً
خضراءَ , جاد علـيها مُسْبِلٌ هَـطِلُ

و هو يشـير بها إلي موضـع معروف كانت ترعي فيه إبل الملوك, و هو أرض بني أسد.[٣٠٩]

و كأن حزونة هذين الموضـعين كانتا من وراء اتصـافهما بطيب الهواء, و كونهما مهوي لإقامة الناس.

و لا تسـتعمل كلمتا التركيب , و لعل ثانيتهما هي الأكثر غرابة.

و قولهم : أذن حَشْرة مَشْرة ؛ بمعني : دقيقة لطيفة.

و الفعل "حشَـر" يفيد الجمع ؛ و هو ما يمكن أن يشـير إلي تضـاؤل حجم المجموع ؛ لتحيزه في مكان محدد بعد أن كان مفرَّقًا , أو شـاغلا مكانا متسـعًا. و الحَشْـر من القُذَذ[٣١٠]: المؤلَّلة الحديدة. و الأذن الحَشْرة , و الحَشْر : الصـغيرة اللطيفة المستديرة , أو الدقيقة الطرف. سُـمّيت بالمصـدر لأنها حُشـرت حَشْـرًا ؛ أي صـغرت و أُلطفت , أو بُرِيَت و حُدّدت. و وصـف بالمصـدر "حَشْـر"المؤنث و الجمع ؛ كما قيل :رجل عَدْل , و نسوة عَدْل. و من قال : حَشْرات ؛ و صـفا لآذان , فعلي أن المفرد : حَشْـرة. قال ذو الرُّمّة في وصـف الناقة :

لها أُذُنٌ حَشْرٌ , و ذِفْرَي لطيفة و خَدٌّ كمرآة الغريبة أَسْـجَحُ

و قال النمر بن تَوْلَب :

---

[٣٠٨] شرح القصائد العشر للتبريزي ١٧٨. و قال إن الجِواء ينجد , و الصّمّان لبني تميم. و أشار صاحب القاموس إلي الحَزْن , و انظر : اللسان / حزن.

[٣٠٩] اللسان / حزن.

[٣١٠] و القُذَّة : ريش السهم , و أذن الإنسان و الفرس. القاموس / قذذ. و في (مشر) : حَشْرة : محدّدة الطرف.

لها أُذُنٌ حَشْـرةٌ مَشْرةٌ كإِعْلِيط مَرْخٍ إذا ما صَفِرْ[٣١١]

و قيل إنّ "مَشْـرة" إتباع لما قبلها. و يبدو أن الكلمة وصـفت بها الأذن الصغيرة ؛ لمناسبتها الشديدة لذلك. فالمَشْرة "شبه خُوصَة تخرج في العِضاه , و في كثير من الشجر أيام الخريف , لها ورق و أغصـان رَخْصـة". كذلك فالأرض الماشِرة هي التي اهتزّ نباتها , و اسـتوت و رَوِيَت من المطر. و قال بعضـهم : أرض ناشـرة بهذا المعني.[٣١٢]

فالمَشْـرة اسـم اتخذ وصـفا للأذن , بعد أن شُـبّهت بتلك النبتة الصـغيرة الرَّخْصـة الأغصـان و الأوراق. و قد يكون أصـل الكلمة "الماشِرة" ؛ فاختصرت حركتها الطويلة , و أسكنت الشين لتناسب الكلمة المتبوعة. و بذلك تكون الكلمة قد أكدت أحد جانبي معني الكلمة المتبوعة , و هو معني الحسن و النضارة لهذه الأذن , بعد أن أشارت الكلمة المتبوعة إلي معني التحديد و الصغر. و لعله يرجح اسـتقلال الكلمة التابعة بهذه الدلالة , و تأكيدها , ما روي من الإبدال في الصوت الأول:(ماشرة – ناشرة).[٣١٣]

و "خَشْـلٌ فَسْـلٌ" يوصـف به الرديء المرذول , أو غير المقبول من الناس.

وفي اللسان[٣١٤]: الخَشْل : الرديء من كل شـيء. و قد تخَشَّل ... الليث: الخَشْـل من المُقْل[٣١٥]كالحَشَـف من التمر. و رجل مُخَشَّل و مخشول : مرذول. و قد خشَله. و الخَشْل : رءوس الحُلَيّ من الخلاخيل و الأَسْوِرة. و قيل: الخَشْل: ما تكسّر من رءوس الحُلِيّ

---

[٣١١] اللسان / حشر , و مشر. و ذكر فيها أنه يقال : أذن حَشْرة مَشْرة ؛ أي مؤلَّلة , عليها مَشْرة العِتْق ؛ أي نضارته و حسنه. و ذكر بيت النمر بن تولب. و إعليط المرخ هو الذي يكون فيه الحَبّ. و قد سبقت الإشارة إلي مجيء التركيب في الوسيط , و إن لم يذكر أنه إتباع.

[٣١٢] اللسان / مشر.

[٣١٣] و نشر الله الخلق : بعثهم. و منه ما في الآيتين الكريمتين ١١/الزخرف, ٢٢/عبس : "فأنشرنا به بلدة ميْتًا - ثم إذا شاء أنشره".

[٣١٤] خشل. و في الوسيط : خَشَلَه ـُ خَشْلا : رَذَلهُ.

[٣١٥] في القاموس : المُقل المكّيّ : ثمر شجر الدوْم.

و أطرافه. و الخَشَـل كذلك. قال الشـمّاخ: تري قَطِنًا من الأحناش فيه جماجمهنّ كالخَشَل النَّـزيع

وممّا حكاه ابن بري عن علي بن حمزة أن "الخَشْـل" بالإسـكان , لا غير : الأَسْورة و الخلاخيل , و هو ما كان منها أجوف غير مصمت. و كل أجوف غير مصمت فهو خَشْل. قال : و أمّا رءوس الأَسْورة و الخلاخيل فلا تكون إلا مصمتة , و ليست خَشْلا.

و الكلمة "خَشْـل" غريبة علي الأسـماع , و غير مسـتعملة. و تنبع غرابة تابعتها من صـيغتها. ذلك أنّ كلمتي (الفَشَـل – الفاشـل) شـائعتا الاسـتعمال , و هما من مادتها. و هذه الكلمة التابعة إمّا أن تكون اسـما , و صـف به هذا الخَشْـل[٣١٦] , و إمَّا أن تكون صـفة مشبهة , أسكن وسطها ؛ لتناسب الكلمة الأولي.[٣١٧]

و يبدو أن الكلمة الأولي متطورة عن أخري قديمة , هي "حَشْل". و قد اقتصر صاحب اللسان في تناولها علي القول: "رجل حَشْـل : رَذْلٌ. و قد حَشَـله ؛ خفيفة. حكاه يعقوب". و الحاء و الخاء متجاوران في المخرج ؛ فالأولي حلقية , و الثانية من أقصـي اللسان و أقصـي الحنك ؛ فلا يبعد أن تتطور أولاهما إلي الثانية. و قد عدّت "حَشْـل" بين الكلمات القديمة المشـتركة بين السـاميات. و هي كلمات تتّسم بأنها غريبة , أو مهجورة في العربية.[٣١٨]و لعل هذا يفسر لنا انفراد يعقوب بن السكّيت بالكلمة, و عدم تناول المادة بأكثر من الإشارة إلي ذلك.

و قد وقفنا علي شيء مما تناول به اللسان مادة "خشل"؛ مما يؤكد سـيرورتها في اللغة علي خلاف مادة "حشـل". و قد جاءت بعض المشـتقات من مادة "خسـل" – بالسـين المهملة – لتدل علي معني : الرديء من كل شـيء أيضـا. و هو ما يشـهد لغلبة اسـتعمال الخاء مع الشـين أو السـين , و اللام للدلالة علي هذا المعني. و إبدال

---

[٣١٦] و الأعرف – كما في اللسان – إسكان الشين , و قيل إن الفتح لغة في الكلمة.

[٣١٧] في العين / فشل : "رجل فَشْلٌ , و فَشِل. و قد فَشِل يفشَل عند الحرب و الشدة و يضعف. و إنه لخَشْل فَشْل. و الفَشْل : الجبان المرعوب , يبهَت عند الرَّوْع , لا يحسن قتالا و لا شِرادًا ؛ أي : هربا".

[٣١٨] اللغة العربية و علاقتها باللغات الإرترية٢١٠. و قد سبقت الإشارة إلي كون بعض كلمات أخري ممّا ندرس هنا تنتمي إلي هذه الطائفة من الكلمات.

الشين بالسين معروف[٣١٩], ييسّر ذلك تجاورهما في المخرج. فالسين لثوية أسنانية , و الشين من وسط الحنك.

جاء في اللسان[٣٢٠]:" الخَسِيل:الرَّذْل من كل شيء... و هو من خَسِيلتهم ؛ أي من خُشارتهم ... و الخُسالة و الحُسَالة : الرديء من كل شيء".

و كما حدث اختلاف في الكلمة الأولي من التركيب "خَشْل فَشْل" - حدث الشيء نفسه في الثانية ؛ فقد استبدلت كلمة "فَسْل"- بالسين المهملة - بكلمة "فَشْل". و هي تؤكد معني الرداءة في الكلمة المتبوعة من التركيب , علي حين أنّ كلمة "فَشْل" تكون كالنتيجة لهذه الكلمة المتبوعة , أو تؤكد معني هامشيًّا لها.

و"الفَسْل:الرَّذْل النذْل,الذي لا مروءة فيه و لا جَلَد. و الجمع : أَفْسُل و فُسُل وفِسَل و فُسْل ... و يقال : أَفْسَل فلان علي فلان متاعَه , إذا أَرْذَله , و أَفْسَل عليه دراهمَه , إذا زَيَّفها. و هي دراهم فُسُول ... و أصلها من الفَسْل , و هو الرديء الرَّذل من كل شيء ... و الفَسِيلة : الصغيرة من النخل. و الجمع فسائل و فَسِيل , و الفُسْلان جمع الجمع".[٣٢١]

و "الفَسِيلة" غير غريبة علي لغة الكتابة. و قد كان الأستاذ توفيق الحكيم يكتب مقالات له في جريدة الأهرام , يتقدمها ذكر الحديث الشريف : "إذا قامت الساعة , و في يد أحدكم فَسِيلة فلْيغرسها".

---

[٣١٩] و قد سجل اللسان التبادل بينهما في خمس وعشرين حالة ؛ و هو ما دفع إلي اعتبار ذلك قياسًا. أثر الأصوات في القرآت و النحو , للدكتور عبد الصبور شاهين ٢٩٢. و ربما عددنا من ذلك "يسرّون" في بيت امرئ القيس :

تجاوزت أحراسًا إليها و معشرا عليّ حِرَاصًا , لو يُسِرُّون مقتلي

إذ يُروي بالسين والشين. و هو بالأولي يدل علي الإظهار و الكتمان ؛ فهو من الأضداد , علي ذلك. و المعني الأول هو معني الفعل بالشين. شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٤ , و القاموس / سرر , شرر.

[٣٢٠] خسل. و في (فشل) : و رجل خَشِل فَشِل , و خَسْل فِسْل. و ذكر البيت :

و قد أدركتني و الحوادث جمّةٌ أسِنّة قوم لا ضِعافٍ و لا فُشْل

و يروي : و لا فُسْل ؛ جمع فَسْل.

[٣٢١] اللسان / فسل.

و يستعمل العامة , و ربما غيرهم أيضا كلمة "الفَسْل" للإشارة إلي ضعيف الشأن من الناس. كما يستعملون "الخُسَالة" للمعني الذي سقناه لها , و إن أبدلوا الخاء غيْنًا ؛ لاتحاد مخرجهما. و لعلهم خلطوا بين دلالة الكلمة و ما ينتج عن غسل الأشياء ؛ فشبّهوا الرديء منها بما ينتج عن عملية الغسْل بالماء.

و قد رأينا الكلمة قُرنت إليها كلمة الحُسَالة ؛ ليكونا بمعني واحد. علي أن المستعمل علي أقلام الأدباء و الكتّاب هو "الحُثَالة" بالثاء. "و الحُثَالة و الحُثَال : الرديء من كل شيء. و قيل : هو القُشَارة من التَّمْر و الشعير و الأرز و ما أشبههما". و ذكر من قبل أنّ : "حُثَالة الطعام : ما يخرج منه من زُؤَان و نحوه ممّا لا خير فيه فيرمي به".[٣٢٢]

و تشير كلمة "خَشْل" و ما سقناه حولها إلي اعتماد العامة عليها في استمداد كلمتهم (شخاليل)[٣٢٣] للدلالة علي الأشياء من معدن كالذهب و نحوه ؛ يسمع صوت لاصطكاك بعضها ببعض. و من الطريف أنهم يستعملونها في مقام الهزء بمن يحدثون عنه. و هو ما يؤكد ارتباط الكلمة بمعناها المعروف لها, في القديم , و هو المتكسر من رءوس الحُلِيّ و أطرافها. و يبدو أن العامة قد جمعوا "الخَشْل" بعد القلب.

و "حَطِيءٌ نَطِيءٌ" ؛ أي : نَذْل. و رداءة الموصوف هنا كانت بوصفه بالإهانة بالصرْع أو الضرب بالأرض.

و في اللسان[٣٢٤]: "حَطَأَ به الأرضَ حَطْأً : ضربها به و صرعه... و قال شَمِر :حَطَأْته بيدي ؛ أي : ضربته... و قال قطرب : الحَطْأَة : ضربة باليد مبسوطةً أيَّ الجسد أصابت... و الحَطِيء من الناس , مهموز , علي مثال فَعِيل : الرُّذَال من الرجال. و قال شمر : الحَطِيء : حرف غريب. يقال : حَطِيءٌ نَطيءٌ . إتباع له".

---

[٣٢٢] اللسان / حثل.

[٣٢٣] هناك كلمة دونها المعجم تقرب في بنائها من هذه الكلمة , و هي الخَنْشَلِيل ؛ بمعني الجيّد الضرب بالسيف.

[٣٢٤] حطأ.

و "الحُطَيْئة" الشـــاعر المعروف , أُخذ لقبه من مادة "حطأ" لقِصـــره و دمامته. فلعله أريد بالحطيء أنه كذلك ؛ أي قريب من الأرض.

و ليســـت "نطأ" من الجذور اللغوية. و هنا نرجح أن الكلمة الثانية – أو التابعة – تطوّرٌ عن "نَضِـيّ" بمعني "منضـوّ" من الفعل : نضَـــا ثوبَه عنه نَضْـــوًا : خلعه و ألقاه. و تدل صـــيغة "فَعِيل" هذه علي الخَلَق من الســـهام و الرماح. "قالوا : سُـــمّي (أي الســـهم) نَضِـيًّا لكثرة البَرْي و النحت ؛ فكأنه جُعِل نِضْـوًا".[٣٢٥] و يشبه هذا ما جاء من قولهم : "أنضَا وجهُ فلان و نَضَا علي كذا و كذا ؛ أي أَخْلق". و تدل "النَضِـيّ" أيضـا علي العنُق ؛ علي التشـبيه , و قيل : تدل علي ما بين العاتق إلي الأذن , و تدل أيضـا علي طول كل شيء.[٣٢٦]

فهم قد أتبعوا "الحَطِيء" النّضِـيَّ ؛ إمَّا لدلالتها علي الخَلَق من الأشـياء والأشـخاص , أو المهزول منها , و إمَّا لدلالتها علي العُنُق , أو ما هو أقل منه. و أُبدلت الضـــاد بالطاء[٣٢٧] , و هُمِز آخر الكلمة. و هكذا نكون بصـدد التغيير في الكلمة التابعة , علي ما ذكر ابن جنّي و غيره ؛ لتتواءم الكلمتان صوتيًّا.

و الكلمتان غريبتان , لا تســتعمل أولاهما , و لا أيٌّ مما يؤخذ من مادتها. و كذلك لا يستعمِل أصـل الثانية , أو ما يُشـتَق من مادتها إلا المجوّدون من الكتّاب و الأدباء , عند الحديث عن الأسفار ؛ فيقال مثلا : هو نِضْو أسفار – ينضُو ثيابه.

و "حَمٌّ و رَمٌّ " أو "حُمٌّ و رُمٌّ" تستعملان في النفي. يقال : ما له عن ذلك الأمر حَمٌّ و لا رَمٌّ ؛ أي : بُدّ , و ما عن ذلك حُمٌّ و لا رُمٌّ. حُمٌّ : مَحالٌ , أو : ليس يحول دونه قضـــاء. يقال : حُمَّ هذا الأمرُ حَمًّا إذا قُضي , و حُمَّ له ذلك: قُدّر. قال البَعيث :

ألا يا لَـــقوم كـلُّ ما حُـــمَّ واقــع

---

[٣٢٥] و النِّضو : البعير المهزول.

[٣٢٦] راجع : اللسان / نضو.

[٣٢٧] و هما من مخرج واحد , هو اللثوي الأسناني.

و للطير مَجرَي و الجنوب مصارع

"و أحَمَّ الرجلُ ؛ فهو يُحِمّ إحمامًا , و أمرٌ مُحِمٌّ. و ذلك إذا أخذك منه زَمَعٌ و اهتمام". و جاء أيضا : "هو من حُمّة نفسي ؛ أي من حُبّتها. و قيل : الميم بدل من الباء".[٣٢٨]

و رُمٌّ إتباع , أو هو مَرَمَّة البيت , و هي متاعه. و هي "مَفْعَلة" من : رَممت الشيءَ , أرُمُّه و أَرِمُّه رَمًّا و مَرَمَّةً إذا أصلحته. فالمستعمل لهذا التركيب يعبر عن ضرورة الانشغال بما يشير إليه ؛ لأنه لا غني له عنه , في كل الأحوال , بل إن الحاجة إلي هذا مشبهة حاجة المرء إلي متاع بيته!

و جاء عن الفرَّاء : ما له حُمٌّ و لا رُمٌّ ؛ أي : ليس له شيء. و عن ابن السِّكِّيت : ما له ثُمٌّ و لا رُمٌّ , و ما يملك ثُمًّا و لا رُمًّا.[٣٢٩] و الثُّمّ : قُمَاش الناس : أساقيهم و آنيتهم. و قيل : الصحيح : الثُّمُ و الرَّمّ؛ بالفتح كما جاء عن أبي عبيد. قال : و الثَّمّ : إصلاح الشيء وإحكامه , و الرَّمّ : الأكل.[٣٣٠]

و ما ذكره الفرّاء من معني للتركيب , هو ما أوردناه في القائمة السابقة علي تناول هذه المجموعة. و هو معني لا يتناقض مع ما سبق , غير أنّه يلزم أن يكون ثمّة سياق مناسب له , كأن يكون الحديث عن فقير , أو شخص فقد ماله. و مثل ذلك أن تكون إفادة التركيب الدلالة الأخرى عند الحديث عن شخص معنيٍّ بشيء , لا يدع الاهتمام به. و هكذا يكون هذا الفقير , أو المسلوب المال قد صار صفر اليدين ممّا ينشغل الناس بحفظه , أو تنميته من مال أو ما شابهه. و الاختلاف بين رواية الفراء و ما صُحّحت به ليس إلا اختلافا فيما يُتعلق به و يُعتنَي ؛ لإبدال كلمة أو معني بغيرهما.

---

[٣٢٨] راجع اللسان / حمم. و في (حبب) أشار إلي أنه – صلي الله عليه وسلم – قال لفاطمة عن السيدة عائشة – رضي الله عنهما - : إنها حِبّة أبيك. الحِبُّ : المحبوب , و الأنثي : حِبّة.

[٣٢٩] و اللسان / ثمم. قال : و ما يملك ثُمًّا و لا رُمًّا , أي قليلا و لا كثيرا. لا يستعمل إلا في النفي.

[٣٣٠] جاء في أول مادة (رمم) في اللسان :"و رَمَّه – أيضا – بمعني أكله".

علي أن هذه الكلمات جميعا تتقارب في المعني , إن لم تتفق فيه. و إذا كانت "الرَّمّ" بمعني الأكل فإنه يصلح الجسم – غالبا – و بذلك تتفق الكلمة مع سابقتها بما يلزم من معناها.

و المادة (ثمم) تفيد معني الإصلاح . يقال : "رجل مِعَمّ مِثَمٌّ مِلَمٌّ للذي يصلح الأمر و يقوم به ". كما تفيد معني الجمع. قال ابن منظور : "و ثَمّ الشيءَ يَثُمّه ثَمًّا : جمعه. و أكثر ما يستعمل في الحشيش. و يقال : هو يثُمّه و يقُمّه ؛ أي : يكنسه و يجمع الجيد و الرديء... و الثُّمَّة ؛ بالضم : القبضة من الحشيش". قال : "و ثَمَّت الشاةُ الشيءَ و النبات بفيها تَثُمّه ثَمًّا , و هي ثَمُوم : قلعته بفيها". و بذا نكون قد وقفنا علي تطابق "الثَّمّ و الرَّمّ" في الدلالة علي معني الأكل.

و ربما كانت حقيقة الأكل غير مرادة , بل دنوّ تحقق المطلوب , و الحصول علي النتيجة المرجوّة. و هو ما يناسبه قوله – بعدئذ - : "و ثَمَّ الشيءَ يَثُمّه و ثَمَّمه : وطِئه , و الاسم: الثُّمّ... و يقال : ذلك علي الثُّمَّة ؛ يضرب مثلا في النجاح".[٣٣١]

يبقي – بعدئذ – ما جاء في المادة , عن ابن السكّيت من أنه يقال : "و انثمّ جسمُ فلان ؛ أي : ذاب , مثل : انْهمّ". و ذكر – بعدئذ – أنه يقال : "انثمّ الشيخُ انثمامًا : ولّي و كبر و هرم". و لا يبعد هذان المعنيان و بخاصة الأول – مما سبق من ذكر قولهم : هو يثُمّه و يَقُمّه. فجمع الجيد مع الرديء له ضرره. و الكلمة قد يُتوسّع في مجال استعمالها , بعد أن كانت تستعمل في مجال الماشية , التي ترعي الثمام , أو الحشيش ؛ فتجمع في تناوله بين ما يصلح لأكلها و ما لا يصلح ؛ و هوما يضرها.

و قد سبقت الإشارة إلي ما جاء في الوسيط مما يوافق فيه ما جاء عن الفرّاء حول كلمتي التركيب و معناه , و إن خالفه في ضم أولهما. كما ذكر المعني الأول أيضا. علي أنه قد استبدل بالكلمة التابعة كلمة أخري.

---

[٣٣١] كان ذكر – من قبل – أن العرب تقول للشيء الذي لا يعسر تناوله : هو علي طرف الثُّمَام ؛ و ذلك أن الثُّمَام لا يطول فيشق تناوله. و الثَّمّ :لغة في الثمام. و هو نبت معروف في البادية , و لا تَجهَده النَّعَم إلا في الجُدُوبة.

جاء في الوسـيط [٣٣٢]: "و يقال : ما له حَمٌّ و لا رَمٌّ : لا قليل و لا كثير. و ما لك عن ذلك حَمٌّ و لا رَمٌّ : بُدٌّ. و ما له حَمٌّ و لا سَـمٌّ غيرك : ما له همٌّ غيرك".

و تفسير ذلك التغيير في هذه الصورة الأخيرة للتركيب التباس معني الحُمَة , و هي سَـمّ كل شـيء يلدغ , بمعني حُمّة النفس , و هو ما تحب كما مضـي. و يرجع ذلك الالتباس إلي رواية ابن الأعرابي كلمة " الحُمَة" بالتشـديد.[٣٣٣] علي أن ذلك قد يبدو مرجوحا ؛ لغلبة اسـتعمال الكلمة: حَمٌ. و لقد يدفعنا ذلك إلي القول باحتمال وقوع الإبدال بين الثاء في "ثَمٌّ" و السـين في "سَـمٌّ". و قد وقفنا علي ما في مادة الكلمة الأولي من الدلالة القريبة من معني الكلمة الثانية.

يبقي – بعدئذ – أن نقول إن الكلمات "حَمّ – حَمَة أو حَمّة – رَمّ – ثَمّ" لا تستعمل في الكتابة , و لا في غيرها , بالمعاني التي أتت بها في صور التركيب المدروس.

و ربما سمعنا في الكلام الدارج : فلان سِمّه[٣٣٤]فلان , أو أن يعمل كذا و ينشغل به.

ذكرنا أنه جاء في الوسـيط : كلمه ؛ فما ردّ عليه حَوْجاءَ و لا لَوْجاء ؛ بمعني : ما ردّ عليه كلمة قبيحة و لا حسنة. و يقال: ما في صدري حَوْجاء و لا لَوجاء.

و ذكر اللسـان أنه قد جاء في الحديث : "قال له رجل : يا رسول الله , ما تركتُ من حاجة , و لا داجة إلا أتيت. أي : ما تركت شيئا من المعاصي , دعتني نفسي إليه إلا و قد ركبته. و داجة إتباع لحاجة".[٣٣٥]

أمّا "حوْجاء" فهي من الحاجة. و هي كلمة معروفة لا غني عن استعمالها لدي الكافة. و هي واسعة التصرف , غزيرة المادة. و

---

[٣٣٢] مادة حمم.
[٣٣٣] اللسان / حما.
[٣٣٤] و الكلمة مثلثة السين ؛ أي : تحرك بالحركات الثلاث. القاموس / سمم.
[٣٣٥] اللسان / حوج , و لوج.

أمّا "لَوْجاء" فهي علي العكس من ذلك , علي ما نجد في اللســـان. فليس ثمّة ذكر إلا للفعل "لاج" الشـــيءَ لَوْجًا ؛ أي أداره في فيه , و بيان أنّ "اللوجاء" هي الحاجة. ثم إن المعجم ذكر الصــيغة الإتباعية بصور أربع.

و يشـــير الفعل "لاج" إلي : لاك يلُوك. يقال : لاك الطعام, يلوكون الكلام , أو سيرةَ فلان. و هذا الفعل الثاني هو المستعمل علي ألســـنة الفصـــحاء وغيرهم. فقد تســـمع بعض العامة يقول إنه يَلُوك الطعامَ (أو يِلَوِّكه , كما يقولون) إذا كان لا يســتسـيغه. و لعل "لاج" غير المعروف هذا هو الأصل للفعل "لاك". و يبدو أنّ كلمة "لوجاء" الفريدة قد اكتسبت معني "الحاجَة" من اقترانها بـــ"حَوْجاء" , و إن كان من اللازم أن تفيده أو تفيد معني قريبا منه. فما يَلُوج المرء في فيه هو شـيء, أو حاجة. فمادتها تفيد المعني , وإن كانت غير شـائعة. و يبدو أنها قد آل أمرها إلي أن تكون مجرد مصـــدر لتلك الصـــيغة الإتباعية المستعملة في النفي.

و "خَبٌّ ضَـبٌّ" بمعني : بخيل ممسـك. و الخَبّ من الخِبّ, و هو الخدّاع. قال ابن فارس : "و يقولون : هو ضَبّ كُدية ؛ إذا وصفوه بالضـيق و التشـدد".[٣٣٦] و قد سبق إيراد التركيب عن الوسيط , الذي اتفق مع التفسير السابق لمعني كلمتيه , و إن كان أكثر إيضاحا لمعني الثانية بذكره أنها تعني: البخيل الممســـك. و قال إن معني التركيب : مراوغ خَدَّاع.

و الكلمتان صـــفتان مشـــبهتان علي وزن "فَعْل" و إن كانتا جامدتين , علي ما ســـنري. و الخَبّ و الخِبّ من "خبب" التي تعني الإسـراع[٣٣٧] , و هو يناسـب الاختفاء , و عدم الوضـوح , و هذان من سمات المراوغ الخدّاع.

---

[٣٣٦] الإتباع و المزاوجة لابن فارس ٢٩.

[٣٣٧] قال في القاموس : "الخَبَب : ضرب من العدو , أو كالرَمَل , أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعا و أياسره جميعا , أو أن يراوح بين يديه , و السرعة". و ذكر أن الخَبّ تعني : الخِداع و الخبث و الغش.

و الضَّـبّ مصـدر ضَـبّ الناقةَ يضُـبّها , إذا حلبها بخمسـة أصـابع. و تفيد الكلمة أيضـا معاني الاحتواء علي الشـيء , و شـدة القبض كيلا ينفلت من اليد , و السـكوت , و الغيظ , و الحقد الكامن في الصـدر , أو الضِّـغن و العداوة. و واضـح أن هذه المعاني الثلاثة الأخيرة مجازية. فهي مبنية علي الإمسـاك بالشـيء جيدا , و عدم الإبانة عنه. و لذلك عد الزمخشري دلالة الكلمة علي هذه المعاني من المجاز. و قد استعمل جمعها في البيت :

فما زالت رُقَاك تَسُلّ ضِغْني و تُخـرج من مكامـنها ضِبَابي

و عدّ الزمخشري التركيب الإتباعي من المجاز. قال : "يشبه الضبّ في خدعته. يقال : أخدع من ضَبّ. و امرأة خَبّة ضَبّة".[٣٣٨]

و كما أكدت الكلمة التابعة معني الخداع و المراوغة , و هو ما لعله يتبادر إلي الذهن عند سـماع الكلمة – فإنها تؤكد أيضـا معني الحرص الشـديد , الذي يلائم المعني المسـوق أولا للتركيب : خَبٌّ ضَـبٌّ , و هو البخل و الإمسـاك. و هذان المعنيان قد يلزمهما الخداع الذي تدل عليه الكلمة المتبوعة. و قد ذكر القاموس أنه يقال : خَـبّ الرجلُ : منع مـا عنـده , و نزل المنهبِط من الأرض ليجهَل موضـعه بخلا.[٣٣٩] و أضـيف إلي هذا المعني الحقيقي آخر مجازيّ يقرب منه , أو ينضم إلي الحقل المعنوي نفسه.

جاء في التاج : "و من المجاز : جاء تَضِـبّ لِثَتُه. يضـرب ذلك مثلا للحريص علي الأمر. و قال بشر بن أبي خازم:

و بني تميم قد لَقِينا منهمُ خيلا تَضِبّ لِثاتها للمغنم

... و في لسـان العرب : جاءنا فلان تَضِـبّ لِثَته , إذا وصـف بشـدة النهَم للأكل , و الشَّبَق للغُلْمة , أو الحرص علي حاجته و قضائها... و في الأساس : في المجاز : و يَضِبّ فوه : إذا اشتد حرصه عليه".

و لا تسـتعمل كلمتا التركيب. و ربما اسـتعمل المجيدون من الكتاب كلمة "الخِبّ".

و يسـتعمل العامة الفعل (يِخُبّ) و صـفا للثوب , أو الجلباب الطويل. و الطول أحد معاني الفعل , كما سـبق , و إن جاء بهذه

---

[٣٣٨] تاج العروس / ضبب.

[٣٣٩] القاموس / خبب. و ذكر أيضا أنه يقال : خبّ النباتُ : طال و ارتفع.

الدلالة في مجال الحديث عن النبات. و لعلهم أرادوا الإشارة إلي جرّ أطراف الثوب لطوله. و هو ما يمكن أن يندرج تحت دلالة المادة علي السرعة , و إن كان في ذلك قدر من التسمّح.

و "خَصِيٌّ بَصِيٌ" كلمتاه علي وزن "فَعِيل" , وثانيتهما هي الأغرب , بل إنها تكاد لا تعدو أن تكون إتباعًا للأولي , و تأكيدا لما دل عليه معناها. فالكلمتان معًا مثال جيّد للتراكيب التي يلزم اقتران جزءيها ؛ ليكون لدينا معني تام.

و الكلمة الأولي "فَعِيل" بمعني مفعول , و هي من : خَصَي الفحلَ خِصاءً ؛ أي : سَلَّ خُصْيَيْه. يكون في الناس و الدواب والغنم.[٣٤٠]

و مادة "بصا" في اللسان لا تحتوي إلا علي ما يلي :

- أنها تستخدم في النفي , مع الدلالة علي الاستقصاء. يقال : "ما في الرَّماد بَصْوَة ؛ أي : شَرَرَةٌ و لا جَمْرةٌ".

- و من دلالتها علي الاستقصاء ما جاء عن الفرَّاء من أنه يقال : "بَصَا إذا استقصي علي غريمه". و كذلك ما جاء عن أبي عمرو : "البِصاء أن يستقصي الخِصاء. يقال منه : خَصِيٌّ بَصِيٌّ."

- و ذكر عن ابن سِيده أن اللِّحْياني لم يفسّر الكلمة الثانية. قال ابن سيده : " و أُراه إتباعا[٣٤١], و قال : خصاه الله و بَصَاه و لَصَاه".

و "خَظًا بَظًا" يوصف به المكتنز من الأشخاص , أو المتراكب لحمه الممتلئ. قد سبق أنه في الوسيط , و إن جاءت الكلمتان منقوصتين منونتين , و وصفت به المرأة ؛ فقيل: خَظِيَةٌ بَظِيَةٌ. و في المقاييس[٣٤٢]: "الخاء و الظاء و الياء. ليس في الباب غيره. و هو يدل علي اكتناز الشيء. و لا يكاد يقال هذا إلا في اللحم. يقال : خَظِيَ لحمُه إذا اكتنز. و لحمه خَظَا بَظَا, و رجل خَظَوان :

---

[٣٤٠] اللسان / خصا.

[٣٤١] و اللسان / خصا.

[٣٤٢] خظي.

ركب لحمه بعضــه بعضــا". و خَظِيَ , و أخظَي و بَظَا , بمعني : سـمِن و اكتنز. و يقال في هذا الأخير: "بَظَا لحمُه يبظُو بُظُوًّا : اكتنز و تراكب. و البُظَاء ؛ بالضـــم : لحمات متراكبات. وحظِيت المرأة و بَظِيت : إتباع".[٣٤٣]

و "خَظًّا" مصـــدر خَظِي لحمُه , كما يقال خَظا لحمُه يخظُو خُظُوًّا. و جعل ابن الأعرابي "البَظَا" بمعني اللحمات المتراكبات. و قيل إن الكلمة توكيد لما قبلها , علي ما يكون في الإتباع. كذلك اعتبرت كلمة "بظِيَت" إتباعا ؛ "لأنه ليس في الكلام ب ظ ي".[٣٤٤]

و قد اســتعمل الفعل "بَظَا" علي غير ما يوجبه تصــريفه في هذا التركيب: "حظِيَت المرأة و بظِيَت" , و كذا علي جهة المجاز أيضــا للدلالة علي عظم ما نالته المرأة عند زوجها من مكانة. فلكأنها شــبهت بشــيء ضــخم , أو كأن أصــل التركيب : حظِيَت المرأة عند زوجها بمكانة بَظِيت ؛ أي بمكانة كبِرت , و عظمت. و اختصـرت هذه الجملة المطولة إلي التركيب الإتباعي, الذي صـــارت جملته البسـيطة الثانية مؤكدة لسـابقتها ببنائها الصـوتي , و إن لم يتنبه إلي أصل معناها.

و "خازِ بازِ" التي يشــار بها إلي الذباب , أو إلي نوع منه, كما مضـي – يشـهد علي ما ذهب إليه العلماء في القديم و الحديث من التعليل لنشــأة اللغة , أو لصـوغ بعض من مفرداتها – علي الأقل – من محاكاة الأصـــوات في الطبيعة , و كذا لما يقال عن العلاقة بين الكلمات و معانيها , علي الأقل في المرحلة الأولي لاستعمالها.

"و الخَازِبَازِ : ذباب , اسمان جعلا واحدا و بنيا علي الكسر ... قال عمرو بن أحمر :

تَفَقّأ فوقه القَلَع السَّوَاري و جُنَّ الخازِبازِ به جنونَا

---

[٣٤٣] القاموس / بظي , و انظر أيضا : خظي.
[٣٤٤] اللسان / خظا , بظا.

... و سمي الذِّبّان به , و هما صوتان جعلا واحدا ؛ لأن صوته : خازِ بازِ. و من أعربه نزَّله بمنزلة الكلمة الواحدة ؛ فقال : خازِبازُ".[٣٤٥]

و قيل إن الكلمة في البيت تعني : النبْت. و هو ممّا ترعاه الإبل. و هي ربما أصابها داء في حُلُوقها أو قُرحة. و هذا الداء يسمي الخازِبازِ , أو الخِزْباز. "قال أبو علي : أما تسميتهم الورم في الحلق خازِبازِ ؛ فإنما ذلك لأن الحلق طريق مجري الصوت. فلهذه الشرِكة ما وقعت طريق التسمية".[٣٤٦]

و هكذا يربط الفارسي بين كون الكلمة حكاية لصوت , و تسمية هذا الداء بها ؛ فثمة علاقة مجازية , هي الآليّة. فموضع الداء ممر الصوت , بقطع النظر عن نوعه , أو طبيعته.

و "خاشَ ماشَ" بمعني المتاع , ليس أمره بعيدا عما سبق.

و لعل صوت الشين فيهما , بالإضافة إلي الحركة الطويلة قبله , يشيران بعض إشارة إلي ما تستلزمه معانيهما.

و هما كلمتان مبنيتان علي الفتح أو الكسر , و تتفقان في الإشارة إلي معني : قماش البيت.[٣٤٧] و هذا يراد به الأوقاب , و الأوغاب و الثُّوَي. و هي متطلبات العربي القديم في خيمته.[٣٤٨]

و يمكن أن يلتقي جذرا الكلمتين في الدلالة علي معالجة الشيء.

فالمَيْش : أن تمِيش المرأة القطنَ بيدها , إذا زبّدته بعد الحَلْج , و خلْط الصوف بالشعَر , و خلط لبن الضأن بلبن الماعز.

---

[٣٤٥] اللسان / خوز. ذكر من بعد أن التسمية حكاية لصوت الذباب ؛ فسماه به , و أن الكلمة تطلق علي ذباب يكون في الروض.

[٣٤٦] اللسان / خوز.

[٣٤٧] اللسان / خوش , ميش. و في الوسيط (موش) : " الماش :متاع البيت الذي لا قيمة له".

[٣٤٨] و تتفق الكلمة الأولي في معناها مع معني كلمتي التركيب. و مفردها وَقْب , و من معانيها: النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء. و الوَقْبة : الكُوّة العظيمة فيها ظل, أمّا الأوغاب و الوِغَاب جمع الوَغْب و الوغْبة , و هي الغرارة و سقَط المتاع. و أمّا الثُّوِيّ – و كذا ضبطها القاموس – فهي خِرَق كالكُبّة علي الوتَد , يُمخَض عليها السِّقاء لئلا يتخرق. راجع القاموس في الألفاظ الثلاثة.

و خاوَش الشـــيءَ : رفعه. و خاشَ الشـــيءَ : حشـــاه في الوعاء.[٣٤٩] و هذه المعاني تتصل – بشكل أو بآخر - بما يستعمل من متاع البيت. فهو إمّا أن يعدّ و يرَتب , أو يوضـــع في الآنية أو الغرارات.

بقي أن نقول إن اللسان لم يشر إلي كون التركيب من الإتباع , لكنه – علي أي حال – جاء علي هيئته.
و لا بدّ من أن نربط بين كلمة "ماش" في التركيب و بين (الماشة)المستعملة لوضع الجَمْر في موضعه من (النارجيلة) التي يُدَخَّن بها التَّبغ في المقاهي.

و "خِيم بالمكان و رِيم" تعبير[٣٥٠]يدل علي النزول في موضع بعينه , بعد القصد إليه. و "خِيم" و "رِيم" فعلان مبنيان للمجهول من "خام" و "رام". و كلاهما يدل علي الاتجاه نحو موضع ما , بعامة , و إن بدا ذلك واضـــحا في الفعل الثاني. يقال: "رام الشـــيءَ يرُومه رَوْمًا و مَرَامًا : طلبه".[٣٥١]
و يقال : خَام يَخِيم , وخَيّم يخيّم إذا أقام بالمكان. و خام عن القتال يَخِيم خَيْمًا , و خام فيه : جبُن عنه.[٣٥٢]

و يبدو أنّ الوصف "لَعِب" قُرِن بـ "دَعِب" علي سبيل الشرح و التفسير , أو بيان معني الكلمة , لا علي أن يكون لدينا إتباع , أو أنّ ذلك جاء علي سبيل الازدواج. علي أنه يبدو أنّ هناك ما يستدعي هذا الاقتران بين الكلمتين , و هو أنّ الثانية "لَعِب" أريد لها أن تكشف لنا درجة تحقق المعني في الأولي.
فإذا كانت الدُّعَابة و المداعبة هي المُمازحة , فإنها تكون بالقول المســـتملح , و يكون منها ما هو حُمْق , و يكون منها التدلّل.

---

[٣٤٩] و الوسيط / خوش.
[٣٥٠] لم يشر اللسان إلي أنه من الإتباع.
[٣٥١] اللسان / روم.
[٣٥٢] اللسان / خيم.

قال ابن شُـــمَيْل : "و إنه لدَعِبٌ : و هو الذي يتمايل علي الناس و يركبهم بثنيّته ؛ أي بناحيته. و إنه ليتداعب علي الناس ؛ أي : يركبهم بمُزاح و خُيَلاء , و يغُمّهم و لا يسبهم".[٣٥٣]

و "زَعِر" من "الزَّعَر في شـعَر الرأس , و في ريش الطائر : قلّة و رقة و تفرق. و ذلك إذا ذهبت أصـــول الشـــعر , و بقي شَكيره. قال ذو الرُّمّة :

كأنها حاضِب زُعْرٌ قوادمُه أَجْنَا له باللِّوَي آءٌ و تَنّـُومُ

و منه قيل للأحداث زُعْران. و زَعِر الشّـعَرُ و الريشُ و الوَبَرُ زَعَرًا. و هو زَعِرٌ و أزعَرُ , و الجمع زُعْرٌ. و ازعَرّ : قَلّ و تفرّق. و زَعِرَ رأسُه يَزْعَرُ زَعَرًا".[٣٥٤]

و "مَعِر" تكاد تتطابق في معناها مع "زَعِر".

و تســتقل مادة "معر" بدلالتها علي نَصــل الظُّفر أو خروجه , و الافتقار, و الهزال , أو قلّة اللحم. و كذا الإجداب و تغيّر لون الوجه , في مثل قولهم : غضـــب فلان فتمعّر لونُه و وجهه ؛ بمعني : تغيّر و علته صُفْرة.[٣٥٥]

و نسمع من الشوام كلمتي "الأزعر – الزعران" للدلالة علي المعني نفسه الذي ذكره اللسان للجمع , أو ربما للدلالة علي الأغرار , أو الأشقياء.

و عامتنا يقولون : هذه زعارة , و فلان أزعر ؛ يريدون بذلك الإزراء بالبخل , أو بمن يتصف به , أو وصف بعضهم بضيق ذات اليد. و هذان المعنيان يمكن للمادة أن تدل عليهما مجازيًّا. و الأصـــل أن يوصف الخلُق بالزعارَّة ؛ بتشديد الراء و تخفيفها ؛ فيقال : في خلقه زَعارّة. و ربما قالوا : زَعِر الخُلُق. و قد ســجل ابن منظور أن الزُّعْرُور : السيّء الخُلُق , و أن العامة تقول : رجل زَعِر.

---

[٣٥٣] اللسان / دعب.
[٣٥٤] اللسان / زعر.
[٣٥٥] اللسان / معر.

و قولهم : "ما له سَبَدٌ و لا لَبَدٌ" يشبه ما سبق من قولهم: "ما له حَمّ و لا رَمُّ" في أحد معنييه , و هو نفي امتلاك المحدَّث عنه لشيء , و إن كان الأصل فيه نفي أن يكون له بعض صنوف الماشية. و قد أشار ابن قتيبة إلي التركيب في كتابه "أدب الكاتب".[٣٥٦]

و السّبَد من تسبيد النبات , و هو ما يطلع من رؤوسه قبل أن ينتشر. و قد سمي الوبَر أو الشعَر بالسّبَد. و المراد بالتركيب: "ما له ذو وبَر و لا صوف متلبّد. يكني بهما عن الإبل و الغنم , و قيل : يكني به عن المَعْز و الضأن , و قيل : يكني به عن الإبل و المَعْز. فالوبر للإبل , و الشعر للمعز ... و قال غير الأصمعي : السَّبَد من الشعَر , و اللبَد من الصوف. و بهذا الحديث سُمّي المال سَبَدًا".[٣٥٧]

و اللبَد من التلبّد الذي هو التجمّع.[٣٥٨] و لعل الكلمة تشير إلي أصلها هذا؛ فتكون أبعد عن الغموض بالقياس إلي متبوعتها. و في القرآن الكريم كلمتا "لِبَد" و "لُبَد". والأولي جمع اللِّبْدة , و هي الصوف المتراكم , و استعملت في قوله – تعالي - (١٩/الجن) : "... كادوا يكونون عليه لِبَدًا" مرادا بها جماعات الجنّ , المزدحمة لسماع القرآن من النبي , صلي الله عليه وسلم. و جاءت الكلمة الثانية في (٦ / البلد) : "يقول أهلكت مالا لُبَدًا" أي : جمًّا.[٣٥٩] و واضح ما في الاستعمال القرآني من التعويل علي أصل استعمال المادة , و هو الدلالة علي الكثرة الشديدة , و هو ما يراد التعبير عنه في الموضعين.

إذن كلمتا التركيب الإتباعي استعملتا للدلالة المجازية علي ما يمثلان أحد أجزائه , أو مكوناته , و هي هذه الأنعام التي اختلف في نسبة كلتا الكلمتين إلي واحد منها ؛ ربما لاختلاف الأحوال التي يكون عليها من تلبّد أو قِصَر.

و يستعمل العامة الفعل "لبد"[٣٦٠] , و الاسم "لابِد" في الحديث عن المترصّد لغيره , أو الدائم الإقامة بالمكان. و الأول قد تُوسّع في

---

[٣٥٦] ذكره في باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام , ص ٤٣.
[٣٥٧] اللسان / سبد.
[٣٥٨] في القاموس (لبد) : تلبّد الصوف و نحوه : تداخل و لزق بعضه ببعض.
[٣٥٩] القرطبي ١٠ /٢٢،٢٣.
[٣٦٠] و هم يحرفونه بكسر أوله و ثانيه.

معناه , و هو يستعمل في سياق يستدعي أن يكون الترقب والانتظار للكَيْد للغير.

قال القالي : "و يقولون : سَغِل وَغِل. قال : السّغِل : المضطرب الأعضاء , السيء الخُلُق. كذا قال الأصمعي. و قال غيره : السّغِل : السيء الغذاء. فأمّا الوَغِل فالسيء الغذاء , لا أعرف فيه اختلافًا. و الوَغِل في قول أبي زيد : المقصّر , و في قول الأصمعي : الداخل في قوم ليس منهم".[٣٦١]

و في اللسان أن السّغِل : الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف. و سَغِل الفرسُ سَغِلا : تخَدّد لحمُه و هَزُل. و يقال : صبِيٌّ سَغِل بيّن السَّغَل. و السَّغِل الوَغِل : السيء الغذاء المضطرب الأعضاء , السيء الخلق.[٣٦٢]

و يبدو أنّ كلتا الكلمتين تستقل بمعني , و إن تداخلتا حتي إنهما تتفقان معا , علي ما أورد القالي. فقد ذكر الخليل أن الوَغْل : الرجل الضعيف , و يجمع علي أوغال.[٣٦٣]

و "السَّليخ المَلِيخ" هو غير المقبول بين الأقران أو الرفاق , كما يشير إلي ذلك شرحهم لمعني التركيب قديمًا ؛إذ ذكر القالي أنه الذي لا طعم له. و قد جاء التركيب في بيت للرقَبَان الأسدي , يقول فيه :

سَلِيخٌ مَلِيخٌ كلحم الحُوَار فلا أنت حُلْوٌ و لا أنت مُرّ[٣٦٤]

---

[٣٦١] الأمالي ٢/٢١٣.

[٣٦٢] اللسان / سغل , و قارن بالوسيط.

[٣٦٣] العين / وغل.

[٣٦٤] ذكر أبو زيد الأنصاري البيت باستبدال كلمة "مَسِيخ" بـ"سَلِيخ" , و فعل الشيء نفسه في روايته التركيب عن ثعلب. الأمالي للقالي ٢/٢١١, و النوادر لأبي زيد٢٨٩،٢٩٠. و قد جعل القالي وصفي السليخ و المليخ بمعني مسلوخ الطعم منزوعه. و هو – علي ذلك – يقصرهما علي وصف اللحم , علي ما جاء في البيت. لكن توجيهي للتركيب يعتمد علي أن في هذا البيت تشبيها للمخاطَب المتوَجَّه إليه بالكلام. ففي أول البيت : "و أنت".

و "السَّـــلِيخ" فَعِيل ؛ بمعني : مفعول , من الفعل "ســـلخ". و غرابته راجعة إلي الصيغة وحدها.

و "المَلِيخ" اللّزِج الســهل في اللّهَوَات و الحلْق. فكأن المراد أنّ الموصوف مقتطَع , أو مقتَطَع منه. فهو ضعيف غير قويّ البنية , أو هو يسهل الإيقاع به ؛ فكأنه يبتلع كالطعام ؛ فلا فائدة تُرجَي منه.

و يقال : مَسِـيخٌ مَلِيخٌ. و الكلمة الأولي بمعني ممسـوخ ؛ أي متحَوَّل به. و هو معني يقرب من معني "سَـــلِيخ" أو يشـــبهه. فهذا المحوّل عن أصـــل خِلْقته , أو المشـــوَّه , لا يكون مقبولا , أو ذا وجاهة كمن كان علي غير هذه الحال.

و يقال : سَـــلِيه مَلِيه. و هما كلمتان غريبتان , لا نعثر في اللســـان علي أكثر من معناهما , و أنهما أتيا في هذا التركيب, الذي معناه كمعني "سَـــليخ مَلِيخ". و قيل إن كلمته الثانية إتباع. و ذكر أيضا كلمة "الأسلَه" و هو الذي يقول : أفعل في الحرب و أفعل , فإذا قاتل لم يُغن شيئا. و جاءت الكلمة في البيت :

و من كل أَسْلَه ذي لُوثة إذا تُسْعَر الحرب لا يُقدم

و ذكر أيضا أنه يقال : رجل مَلِيه و مُمتلِه ؛ بمعني : ذاهب العقل.[٣٦٥]

و نلاحظ تقارب معني الكلمتين , إن كانت الثانية مســـتقلة بمعني. فهذا السليه , أو الأسله لا يستطيع تقييم الأمور ؛ فكأنه ذاهب العقل. و الكلمتـان تشـــيران إلي مَن لا فـائدة ترجي منـه , و لا نفع لضعفه , أو لضعف عقله ؛ فهو لذلك غير مقبول.

و كلمات التركيب , في صـــورته الأولي , غير مســـتعملة لغرابة الصيغة الصرفية الواردة عليها , و لغرابة كلمتيه في الصورة الثـانيـة.[٣٦٦] علي أنّ الأفعـال المـأخوذة من جذور كلمـات الصـــورة الأولي معروفة مستعملة.

فالفعلان : سَـلَخَ , و مَلَخ يسـتعملان في الفصـحي و العامية.

ففي القرآن الكريم : "و آية لهم الليل نَسْـلَخ منه النهار؛ فإذا هم مظلِمون"(٣٧/يس).

---

[٣٦٥] اللسان / سله , مله.

[٣٦٦] لم ترد مادتا (سله – مله) في الصحاح.

و يقال للسادر في الغَيّ : هو يملخ في الباطل مَلْخًا.[٣٦٧] و قد لا يستعمله إلا الحريصون علي جودة الأساليب و استعمال الرفيع منها.

و قد تسمع في الكلام الدارج شكوي بعضهم من أنّ يده أو ذراعه به مَلْخ أو (اتمَلخ).

و يستعمل الفصحاء "مسخ". فربّما قالوا : مُسِخت المسألة , أو جاءت ممسوخة. و قد يقول بعض المجوّدين : جاء هذا الشيء مَسْخًا ؛ باستعمال المصدر حالا.

و قولهم : "هو لك أبَدًا سَمْدًا سَرْمَدًا" يفيد دوام تملك المخاطب لشيء ما. و تفيد كلمة "أبدا" منفردةً هذا المعني. و تفيده أيضا "سَرْمَدًا" , التي وردت في القرآن الكريم في الآيتين ٧١ , ٧٢ من سورة القصص : "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سَرْمَدًا إلي يوم القيامة ... " , "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سَرْمَدًا ... ".[٣٦٨] و هذا يزيل عنها الغرابة بعض الشيء , بما يرشد إليه السياق الواردة فيه. و لا شك أننا نستطيع أن نستهدي بمعني الكلمتين في تفهم معني هذه التي توسطتهما في التركيب الإتباعي. و قد ساوي القاموس بينها و بين تاليتها , و قال في الوسيط : السَّمْد : الدائم السرْمَد.

و قد ذكر ابن فارس في المقاييس أن "سمد" أصل يدل علي مُضيّ قُدُمًا من غير تعريج. و أشار إلي ورود اسم الفعل منها مجموعا في الآية ٦١/ النجم: "و أنتم سامدون" ؛ بمعني : لاهون.[٣٦٩] قال : "و هو قياس الباب ؛ لأن اللاهي يمضي في أمره غير معرّج و لا متمكّث".

---

[٣٦٧] في العين / ملخ : "المَلْخ : قبضك علي عضلة عضًّا و جَذْبًا. و مَلَخت العُقَابُ عينَه و امتلختها ؛ أي: أخرجتها. و امتلخْت اللجام من رأس الدابّة. و يقال : تَمَلّخ بالباطل ؛ أي : تلَهَّي به."

[٣٦٨] و في اللسان / سرمد : "السَّرْمَد : دوام الزمان من ليل أو نهار. و ليل سرمد : طويل".

[٣٦٩] في القاموس أن السُّمود يكون حزنا و سرورا. أقول : و يمكن أن ندرج تحت السرور رفع الرأس تكبرا و علوًّا , و تحت الحزن قيام المرء متحيرا ولِها.

و قد جاءت كلمات التعبير منصـــوبة علي الظرفية , أو الحالية. و هو – كما نري – من النماذج التي يقتصـــر التماثل بين كلماتها علي الصوت الأخير.

و "سَـــمْهجٌ لَمْهجٌ" ترتبط كلمتاه , وبخاصـــة الأولي بكلمتي التركيب "سَمْج لَمْج" الذي عرضنا له في تراكيب المجموعة السابقة (ب). فالسَّمْج والسمِيج : القبيح. "و لبن سَمْج : لا طعم له. و السَّمْج : الخبيث الريح. و السَّمْج و السَّميج : اللبن الدسِم الخبيث الطعم , و كذلك السَّمهَج و السّمْلَج ؛ بزيادة الهاء واللام".[٣٧٠]

و لم يذكر الجوهري كلمة "لَمْهَج", و كذا فعل ابن منظور. و قال الفرّاء : يقال : لبن سَـــمْهج لَمْهَج , إذا كان حُلْوًا دَسِـــما. و ذكر الصـغاني في "التكملة" أن معني : لبن سَـمْهَج : خُلِط بالماء. و هكذا نكون بصـدد كلمة , تبدو قد اصـطنعت اصـطناعا, تماثل سـابقتها في الوزن , و لا تخالفها إلا في الصـوت الأول ؛ و ما ذلك إلا للتوكيد. و تكاد الكلمة المتبوعة تلحق بتاليتها في الغرابة و ندرة الاســتعمال. و لم يذكرها الجوهري.

و في قولهم : "سَـنَامٌ سـامكٌ تَامِكٌ" نجد وصـف السَّـنام بكلمتين تدلان علي الارتفاع و العلوّ. غير أنّ الكلمة الثانية تنفرد بالدلالة علي الترارة , و هي السِّـمَن و البضـاضـــة. و ربما كان ذلك هو المعني الأسـاسـي , الذي قد يسـتتبع الدلالة علي العلو و الارتفاع , عندما تكون في مثل سـياقنا. بل إن الكلمة قد صـــارت بمعني السَّـنام , بعد كثرة وصفه بها.و هو ضخم مرتفع, كما هو غني عن البيان.

جاء في اللسـان[٣٧١]: "و سَمَكَ الشـيءَ يسـمُكُه سَـمْكًا ؛ فسَـمَك: رفعه فارتفع. و السِّمَاك : ما سُمِك به الشيء... و السِّمَاك: ما

---

[٣٧٠] اللسان / سمج , و سمهج.
[٣٧١] مادة سمك.

سَمَكت حائطا أو سقْفا. و سَمْك البيت : سقفه. و السَّمْك:القامة من كل شيء بعيد طويل السَّمْك".و قال: "و سَنَام سامِكٌ و تَامكٌ : تارٌّ مرتفع عالٍ. و سَمَك يسمُك سُمُوكًا: صَعِد". و قال أيضا : "و السماء مسموكة ؛ أي : مرفوعة كالسُّمْك. و جاء في حديث علي – رضي الله عنه – أيضا : اللهمّ بارئ المسموكات السبع , و ربَّ المدحُوّات. فالمسموكات: السموات السبع , و المدحُوَّات الأرَضون".

و فيه[٣٧٢]: "تَمَك السَّنَامُ يَتْمِك و يتْمُك : تُمُوكا و تَمْكًا : اكتنز و تَرَّ. و في الصحاح : أي طال و ارتفع ؛ فهو تامك . و ناقة تامِكٌ : عظيمة السَّنَام".

و لابدّ أن يشير الفعل "تَمَك" إلي "دَمَج" المشهور الاستعمال , هو و ما جاء مزيدا منه كمطاوعه "اندمج" و "أدمَج". و الدَّمج يعني التداخل ؛ و هو ما يجعل المُدمَج ضخما قويا. و هذا قريب من دلالة "تمك"علي الاكتناز. كما نجد أنّ الفعلين يشتركان في الدلالة علي الطول , و إن أفاد الفعل "دمج" مع ذلك معني عدم الاعوجاج , أو الاستمرار علي نحو معين.

قال في اللسان[٣٧٣] :"رجل مُدْمَج , و مُنْدَمِج : مُدَاخَل ؛ كالحبل المحكم الفَتل". "و تدامجوا علي الشيء : اجتمعوا". و "دَمَج الأمرُ يَدمُج دُمُوجًا : استقام".

و "سَهْدٌ مَهْدٌ" تركيب إتباعي يوصف به الشيء الحسَن. و يبدو أنهم توسعوا في دلالة السُّهْد ؛ فجُعل الأرق[٣٧٤] , أو عدم النوم سببا للتنبه و اليقظة المفيدة للنفس أو الغير. و لذا نقف علي هذه التعبيرات : "ما رأيت من فلان سَهْدة ؛ أي أمرًا أعتمد عليه من خير أو بركة , أو خير أو كلام مقنع. و فلان ذو سَهْدة ؛ أي ذو يقظة , و هو أسْهد رأيا منك".[٣٧٥]

---

[٣٧٢] تمك.

[٣٧٣] دمج.

[٣٧٤] في اللسان / سهد : السُّهْد و السُّهاد : نقيض الرقاد. الجوهري : السهاد : الأرق , و السُّهُد : القليل النوم.

[٣٧٥] اللسان / سهد.

علي أن هذا المعني قد يكون قاصـــرا علي اســـتحســـان فطنة الموصوف و ذكائه. و لذلك نسارع بالقول : إن المادة تدل أيضا علي تمام نموّ الجسـم وقوته؛ إذ "السَّـهْوَد : الطويل الشـديد. شَـمِر: يقال : غلام سَـهْوَد ؛ إذا كان غَضًّـا حدَثا ... ابن الأعرابي : يقال للمرأة إذا ولدت ولدها بزحرة واحدة : قد أمْصعت به , و أَخْفدت به , و أَسْهَدت به , و أمْهدت به , و حَطَأَت به".[٣٧٦]

و الكلمة التابعة تتفق مع متبوعتها , و تصـــلح نتيجة لمعناها أيضـا. فاليقظ, أو حسَن الطلعة و الجسم مَهْدٌ[٣٧٧] و ميسَّر لأن يفيد منه مَن يجلس إليه , أو يستعين به.

و ليســت كلمة "مَهْد" غريبة علي الاســتعمال في الكتابة. و هي واردة في القرآن الكريم في الإشـارة إلي بسْط الأرض , وتيسير العيش فوقهـا. قـال – تعـالي – (١٠/ الزخرف) : "الـذي جعل لكم الأرض مَهْدًا". كما وردت غير مرّة في ذكر قصـــة عيســـي , عليه الســـلام , كما في قوله – تعالي - : (٢٩/ مريم) : "قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صـــبيًّا". و لقد يظن بالكلمة الغرابة لاقترانها بكلمة "سَـــهد" , علي أنها إنما جيء بها لتزيل غرابتها , عند من لم يعرف معناها , و تؤكد هذا المعني لمن يعرفه.

و شـيء شَـذٌّ فَذٌّ بَذٌّ ؛ بمعني متفرّد. و هو وصـف بالمصـدر , أو بالاسم. و لعل الكلمة الثانية أقرب لأن تكون معروفة مستعملة , علي غير حـال قرينتيهـا. فكلمـة "بَذّ"[٣٧٨] ربمـا لا تســتعمل كثيرا مثلمـا يسـتعمل الفعل "فاق" في مثل القول: فاق فلان أقرانَه. بل الشـائع أن يقال : تفوّق عليهم. و الشـــائع القول : هذا شـــاذ , فلان شـــاذٌّ ؛ أي : يوصف باسم الفاعل. فبعض الغرابة هنا راجع إلي طبيعة الصيغة.

و "شَـذّ عنه يَشِـذ , و يشُـذّ شـذوذا : انفرد عن الجمهور و ندَر؛ فهو شاذ. و أَشذّه غيرُه. ابن سيده : شذ الشيءُ يشِذ و يشُذ شَذًّا و

---

[٣٧٦] السابق , و قد سبق أن التركيب أورده الوسيط.

[٣٧٧] و في القاموس : المَهْد : الموضع يهَيَّأ للصبي و يوطَّأ , و الأرض. و انظر : اللسان / مهد.

[٣٧٨] و في الوسيط : بَذّه ـُ بَذًّا : غلبه , و فاقه , و سبقه.

شُـــذوذًا : نَدر عن جمهوره... الليث : شـــذ الرجل , إذا انفرد عن أصـــحابه. و كذلك كل شـــيء منفرد فهو شـــاذ. و كلمة شـــاذة ... ابن الأعرابي : يقال : ما يدع فلان شاذا و لا نادًّا إلا قتله , إذا كان شجاعا لا يلقاه أحد إلا قتله. و يقال : شاذ أي : متنحٍّ".[٣٧٩]

و في القاموس : "البَذّ : الغَلَبة... و فَذّ بَذّ : فرْد".[٣٨٠]

إن المنفرد متميز , و ربما أردنا بالتميز السبق أو التفوق , و هو ما رأينا الوســـيط يشـــير إليه في تناوله الفعل "بَذّ". و قد رأينا اتفاق مصدره مع مصدري الكلمتين الأخريين في المعني.

و "شَـغْبٌ" من التركيب "شَـغْبٌ جَغْبٌ" , معناها : الخلاف, و تهييج الشر و الفتنة و الخصام. و هذه هي الصيغة الفصيحة للكلمة , و المشهور استعمالها بتحريك وسطها بالفتح. و اختلف في ذلك قديما بين أن يكون لغة , أو مما ينطق به العامة.[٣٨١] و هذا الاختلاف القديم يعضّده ما نراه من شيوع استعمال الصيغة المحركة الوسط , حتي علي ألسنة المثقفين.

أمّا "جغب" فقد وقفنا علي أمرها من قبل , عند دراســـة ما لم يرد من جذور المفردات الإتباعية في الوســـيط. و عرفنا أن الكلمة وضعت وضعا لتكون تابعة تؤكد ما تليه , و ربما اشتقت منها صيغة علي غرار ما يؤخذ من "شغب" الجذر المستعمل المتصرف , علي ما فعل الخليل ؛ فقال : "جَغِب مُتجَغّب : شَغب متشغّب".

و ســـبق أن تناولنا كلمة "شَـقِيح " في المجموعة (ب) و عرفنا أنها تعني تغير اللون بالحمرة , أو الصـــفرة , علي ما يحدث لثمر النخل , و أنّ الشَّقْح : الإبعاد , أو الكسر ؛ و لذا يقبُح الموصوف بذلك.

و "لَقِيح" يمكن أن توجه علي غير وجه , حســـب الموصـــوف بالتركيب. فإن كان الموصـــوف الثمر , كانت علي الأصـــل , و هو

---

[٣٧٩] اللسان / شذذ.
[٣٨٠] القاموس / فذذ , بذذ.
[٣٨١] التاج / شغب.

إلقاح الرياح الشـــجرَ , و النخل. فكأن المراد أن الثمر نتج , و آن نضجه ؛ لما كان من هذا الإلقاح. و إن كان الموصوف رجلا ؛ فربما كان المراد أنه ضـــعيف منهَك , يبدو عليه أثر ذلك لما حُمِّله من الإرهاق و الأذي. و الوصف "نَبِيح"؛ بمعني اسم المفعول , يؤيد ذلك التوجيه. فكأنه متغير اللون لما يزعجه من أصـوات , أو كثرة تطلّب لـه. و كلمتا "شـــقيح – لَقيح" تتطابقان معا في الدلالة علي معني التغير.

و في القاموس[٣٨٢] : "و رجل مُلَقَّح : مُجَرَّب. و شـقيح لَقِيح : إتباع". و ربما حدا بنا ذلك إلي توجيه التركيب إلي الدلالة علي المجرِّب الذي عركته الأحداث ؛ فأثرت فيه , و أودعته الخبرات.

و "الشَّكْس , و الشَّكِس , و الشَّرِس جميعا : السيّء الخلُق... و قال الفراء: رجل شَـــكِس عَكِص ... الفرَّاء : رجل شَـــكِس. و هو القياس. و إنه لَشَكِسٌ لَكِسٌ؛ أي : عَسِر. و تشاكس الرجلان : تضادَّا. و في التنزيل العزيز : "ضـــرب الله مثلا رجلا فيه شـــركاءُ متشاكسون" أي : متناقضون متضادّون".[٣٨٣]

و قد سبق تقرير أنّ كلمة "لَكِس" التابعة , ليست في العين ؛ لأنها – في الأصـــل - وصـــف مأخوذ من أحد الفعلين : "لَكَث – لَكَز". و حدث أن غُيِّر الصـــوت الأخير لمناســـبة الصـــفة المتبوعة, علي ما جرت عليه العادة في الباب. و قد رأينا اقتصار الوسيط علي ذكر كل من "لَكَث – لَكِز – لَكَش".

و "شَهْلة كَهْلَة" و صف للمرأة بأنها نَصَفٌ مقبولة.

قال ابن فارس : "الشين و الهاء و اللام أصل في بعض الألوان , و هي الشُّـــهْلة في العين ؛ و ذلك أن يشـــوب ســـوادَها زُرقة. و مما

---

[٣٨٢] مادة لقح.

[٣٨٣] اللسان / شكس , و الآية ٢٩/ الزمر.و في الوسيط : شَكِس ـَ شَكَسًا و شَكاسة : ساء خلُقه و عسِر في معاملته.

ليس في هذا الباب امرأةٌ شَهْلَةٌ. قالوا : هي النّصَف[٣٨٤] العاقلة. قالوا : و ذلك اسم لها خاصة , لا يوصف به الرجل. ... و ممّا شذّ أيضا : المُشَاهِلة : المُشَارّة. و أظن الشين مبدلة من جيم. و كذلك قولهم للحاجة شَهْلاء. و هو من باب الإبدال , و الأصل الكاف : الشكلاء".[٣٨٥]

و الشُّهْلة "أقل من الزرَق في الحَدَقة , و أحسن منه , أو أن تُشرَب الحدَقة حُمْرة , و ليست خطوطا كالشُّكْلة, و لكنها قلة سواد الحدقة؛ حتي كأنه يضرب إلي الحُمْرة."[٣٨٦] و في هذا ما يدل علي الدقة في وصف المرأة بـ"فَعلاء" من هذا الاسم. فهي و إن كانت قد جاوزت مرحلة الشباب , ماتزال تجمع بين سماتها ؛ لتمتزج بسمات المرحلة التالية , و هي مرحلة الكهولة.

و في القاموس :"الكَهْل : من وَخَطه الشيبُ , و رأيت له بَجَالة , أو من جاوز الثلاثين , أو أربعا و ثلاثين إلي إحدى و خمسين. ج : كَهْلون و كُهُول و كِهَال و كُهْلان و كُهَّل ؛ كرُكَّع. و هي بهاء , ج :كَهْلات , و يحرَّك , أو لا يقال : كَهْلة إلا مزدوِجا بشَهْلة".

و هكذا نجد الكلمة التابعة متطابقة في المعني مع سابقتها , و ذلك بعد أن نتجاوز الحقل اللغوي الأصلي للكلمة الأولي , علي ما أشير إليه سابقا. و لعل الكلمة صارت مما توصف به المرأة , و أريد لها أن تكتسب معني حقيقيا جديدا ؛ فأُتبعت كلمة تدل علي هذا المعني صراحة , و هي : كَهْلة. و قد رأينا دلالة الكلمة علي الكمال أو الوقار , و احتمال عدم التقدم الكبير في العمر , و هو ما يناسب تطابق معني الكلمتين , و إن كانت الأولي مجازية , علي العكس من الثانية.

و لا تعرَف "الشَّهلة". و يشيع في الكلام الدارج (شهّل) إذا أسرع في العمل الذي يسند إليه. و لعله من : "تَشَهّل ماءُ وجهه: ذهب من هُزال و نحوه. و يقال : تَشَهَّل الرجل".[٣٨٧]فكأنهم ربطوا

---

[٣٨٤] في اللسان / نصف : "النَّصَف : الكَهْل , كأنه بلغ نصف عمره ... و الأنثي نَصَف و نَصَفة... و قيل : النصَف ؛ بالتحريك : المرأة بين الحدَثة و المُسِنّة".

[٣٨٥] المقاييس / شهل.

[٣٨٦] القاموس / شهل. و في الوسيط أن الشّهْلة : العجوز , و المرأة النصَف العاقلة.

[٣٨٧] الوسيط / شهل.

بين الهُزال و أثر الإسراع في العمل , و عبروا بالنتيجة عن السبب. علي أنهم غيّروا صيغة الفعل.

و يعرف العامة و الخاصة كلمة "الكَهل" , لكن ربما لا يستعملون "الكَهْلة". و يبقي أن العامة يخلطون –غالبًا- بين معني "الكَهل" و "الهَرِم" ؛ فيستعملون الأولي مكان الثانية , و الهَرِم هو الشيخ يبلغ أقصي الكِبَر , كما ذكر الوسيط.

و "كَزٌّ لَزٌّ" بمعني : متقبّض بَخِيل. ففي العين أن الكزازة : اليبس و الانقباض. و يقال : كزَزْت الشيءَ : ضيّقته ؛ فهو مكزوز. و الكُزَاز : داء يأخذ من شدّة البرد و العَفْر , و تعتري منه الرِّعْدة. و ذكر أن الرجل الكَزَّ : الصُّلْب القليل الخير و المواتاة.

و يذكر الوسيط المعاني السابقة , مضيفا أنه يقال : كَزَّ الوجهُ : قبُح. و يورد معني كنائيًّا هو معني التركيب الإتباعي , و هو : رجل كزّ اليدين : بخيل.

و تأتي الكلمة التابعة ؛ لتؤكد معني الصلابة , و ما يترتب عليها. فاللّزّ : اللاصق بالشيء. يقال : لززت الشيءَ بالشيء : إذا ألصقته به و قرنته إليه. و العرب تقول : هو لِزاز شر ,و لَزيز شرّ , و لِزّ شرّ.[٣٨٨]

ولئن كانت الكلمتان قد آلتا إلي التطابق أو شبهه ؛ لما رأينا من معني للأولي عند الخليل – إنه يمكننا أن نخص كلتيهما بمعني. فالأولي تعني الاتصاف بالصلابة وحدها , و الثانية للاتصاف باللصوق و الاقتران. فهو لصلابته ؛ أي بخله , قد لصق به المال , أو كان قرينه. علي أن الكلمة قد جاوزت المعني الحسي , و صارت تستعمل للدلالة علي البخل, و عدم الأريحية , إلي جانب هذه الدلالة الأصلية. و لعل ما جاء عن الخليل في تعريف الرجل الكَزّ , يشير إلي أن وصفه بالصلابة أصل لوصفه بما بعدها. و يؤكده ما جاء عن الوسيط من وصف اليدين بالكزازة.

---

[٣٨٨] الأمالي ٢١٦/٢, و انظر : المقاييس / لزز. و ذكر أنّ الملَزّز : المجتمِع الخَلْق , و ذكر التركيب الإتباعي . و قال : يجوز أن يكون "لَزّ" إتباعًا. و ذكر الوسيط أن اللّزّ : حَلْقة الباب , أو الحُقّة.

و جاء اســم المفعول من "لزّ" في وصــف ربيعة بن مقروم بعيره بأنه موثّق مجتمع ؛ إذ يقول :

جُلالٌ مـائر الضــبعيْن يَخْـدِي علـي يَسَــرَات مَلْزوز سِرَاع[٣٨٩]

و يستعمل الكتاب و الأدباء كلمتي "كَزّ" ,و "كَزازة" لوصف الكلمة , أو الكلام و الأسلوب , حينما يكون مجافيا لقواعد القبول.

و قد حرّف العامة كلمة "مُلَزَّز" التي ذكرناها عن ابن فارس في حاشية سابقة ؛ لتصير (مِلَزلَز) مع تفخيمهم صوت الزاي. و لها عندهم نفس المعني تقريبا.

و جاء التركيب بصــيغة "كظّ لَظّ" فيما نقله الســيوطي عن الصحاح.

و واضح ما بين الصيغتين من العلاقة الصوتية. فلقد صارت الزاي ظاء مطبَقة في كلتا الكلمتين. تقدم اللسان عن موضعه الأول , موضـع نطق الزاي , وهو اللثة ؛ ليرتكز طرفه بين الأسـنان العليا و السـفلي (أو بين الثنايا العليا و السـفلي). كما يقتضــي النطق بالظاء انطباق اللســان علي ســقف الحنك , و تقعر مؤخّره ؛ و ذلك لأجل التفخيم , بل لتحقق أعلي درجاته , و هو الإطباق.

و لا شك في كون هذه الصيغة تومئ بقوة إلي المعني بأكثر مما نجده في ســابقتها. و لعل ذلك يبدو جليا في مجيء الأمر من الفعل "لَظّ" في قوله – صــلي الله عليه و ســلم – : " أَلِظُّوا في الدعاء بياذا الجلال و الإكرام".[٣٩٠]

و يســتعمل التركيب "لَحِزٌ لَصِــبٌ" للدلالة علي ما يدل عليه سابقاه.

قال أبو علي : "فاللَّحِز : البخيل. و اللَّصِــب : الذي لزِم ما عنده".[٣٩١]

---

[٣٨٩] المفضليات ١٨٨.

[٣٩٠] اللسان / لظظ.

[٣٩١] الأمالي ٢١٢/٢. و هو هنا علي "فَعِل" اختصــارًا لصـيغة "فاعِل" , التي سـبق مجيء التركيب علي وزنها , مع إبدال الميم بالباء في الكلمة الثانية. و قارن بالتاج / لصب. ففيه أن

و التقارب الصـــوتي واضـــح بين "لَزّ" و "لَحِز". و ليس من فرق بينهما إلا استبدال الحاء بالزاي الأولي ؛ لتفيد الكلمة معني الشح و البخل. و هو معنًي غير بعيد عن المعاني التي سبق أن أشرنا إلي دلالة الفعل "لزّ" عليها. بل إنّ الفعل "لحز" هو نفسه يحتوي علي ما يقرب من معاني "لَزّ" , كضِـــيق النفَس, و تعارض القوم فيما بينهم بالكلام , و الإلحاح , و هو يقرب من معني اللصوق لـــ"لَزّ". و ذكر الوسيط معني الملازمة أيضا.

و لا تستعمل كلمتا التركيب. علي أن ثانيتهما تهدينا إلي أصل إحدي الكلمات الدارجة , و هي (ملصّـــم) في وصـــفهم للشـــخص أو للشيء الضعيف الذي يكاد يصيبه أذي , أو يكاد يسقط. والكلمة اسم مفعول من "لَصِب السيف و الجلدُ باللحم ؛ كفرِح , يَلْصَب لَصَبًا ؛ فهو لَصِـــب : لَزِق به هُزالا".[٣٩٢] و واضـــح ما دخل المشـــتق من التحريف بإبدال الباء ميما , و إن كانت صـــيغة "لاصِـــم" في إحدي روايتي التركيب تشـــهد لهذا التطور. كذلك نجد أنّ الكلمة قد كُسِـــر أولها و ما قبل آخرها , بدلا من أن تكون حركتاهما الضم , و الفتح , علي الترتيب.

و "صَـقِرٌ"صـفة من : صَـقَرته الشمس ؛ أي : أصـابته شـدة حرارتها.[٣٩٣] و قد وصـــف بذلك الرُّطَب لتمام نضـــجه بفعل حرارة الشمس , ثم تنوسي أصل إطلاق الوصف ؛ فصار يعني كثرة العسل. و هكذا صارت الكلمة قريبة في المعني من تابعتها, أو كأنهما بمعنًي. فالمَقْر إنقاع شيء في ماء , أو غيره. و هو هنا إنقاع في عَسَل ؛ لأنه المناسب للموصوفين السابقين.

اللَّصـب : البخيل العسِر الأخلاق. و يقال : فلان لَحِزٌ لَصِـب : لا يكاد يعطي شـيئا. وراجع أيضـــا : العين و المقاييس. و قد ذكر الوســـيط مادة لصـــب بأبرز معانيها المذكورة في المعجمات القديمة.

[٣٩٢] التاج / لصب.

[٣٩٣] اللسـان / صـقر. و من دلالة المادة علي التأثير الشـديد في الشـيء , جاء في الوسـيط: "صَـقَر فلانا بالعصـا ـُ صَـقْرًا : ضـربه بها علي رأسـه , و – به الأرضَ: صَـرَعه , و – الحجرَ : كسره بالصاقور".

قال القالي : "فالصّـقِر :الكثير الصَّـقَر. و صَـقَره :عَسَـله. و المَقِر : المنقوع في العسَــل ليبقي.و كل شـــيء أنقعته في شـــيء فقد مَقَرته. و هو ممْقور و مَقِير. و منه الســـمك الممقور. و هو الذي قد أنقِع في الخلّ".[٣٩٤]

و الكلمتان "صَلَتان" و "فَلَتان" تفيدان الإسراع و العدو.

و لعل الكلمة الثانية جاءت لتحدد المعني المراد لســـابقتها , و تؤكده ؛ إذ إنهما تلتقيان فيه , و إن اختصـــت كلتاهما بجانب منه. فالفلتان , أو الانفلات يشـير إلي إسـراع بتجاوز مانع , و هو ما لا نجده في معني "صلت" ؛ إذ يقال : "انصلت في الأمر: انجرد. أبو عبيد : انصـــلت يعدو , و انكدر يعدو. و انجرد, إذا أســـرع بعض الإسراع. و المنصلت : المسرع من كل شيء".[٣٩٥]

و للصـلَتَان معاني أخري هي الشـدة و الصـلابة , وحِدّة الفؤاد , و قصـر الشـعر. و هي بسـبب من المعني الأول , و بخاصـة المعني الأول و الثاني. و لعل هذين كانا السبب في كون الموصـوف بهما سريع العدْو. و قد نقل عن الجوهري تخصيص الحُمُر – عند و صفها بالكلمة – بوصفها بالشدة و النشاط, و الخيل بحدّة الفؤاد.

و الصَّيِّر الشَّيِّر ؛ أي : الحَسَن الصورة و الشارة. و هو مأخوذ من دلالة "صير" علي التحول[٣٩٦] و الرجوع. و من ذلك "الصّيّر" و هو رجوع المنتجعين إلي محاضـــرهم. و قريب من ذلك مشـــارفة حدوث الأمر. و منه إجابة من يُســـأل عن حاجته ؛ فيجيب : أنا علي صِير قضائها. قال زهير :

و قد كنت من سلمي سنين ثمانيا
علي صِير أمرٍ ما يَمَرّ و ما يحلو[٣٩٧]

---

[٣٩٤] الأمالي ٢١٣/٢, و انظر العين/ مقر.
[٣٩٥] اللسان / صلت.
[٣٩٦] و قارن بالوسيط / صير.
[٣٩٧] اللسان / صير.

و الكلمة الثانية هنا هي الأصـل في الدلالة علي الحسـن. فهي مـأخوذة من الشَّـوْرة , و هي : الجمـال الرائع ؛ و لـذا فهي بمعني الجميل.[٣٩٨] فكأنها جاءت لتبين لنا معني تحتمله الصـيغة المشـتقة من "صـير" قبلها. و هذه الصـيغة يمكن أن تفيد معني الحسن و الجمال ؛ لدلالتها علي التحول من حال إلي حال ؛ فكأن الموصـوف قد صـار إلي هذه الحال الحسَـنة. كذلك رأينا "صـير" تدل علي الرجوع إلي الموطن , و قرب قضاء الحاجة, و هما مما يستحسَن.

علي أنـا نجـد أنـه يقـال : "فلان خَيّر شَـيّر ؛ أي : يصـلح للمشاورة".[٣٩٩]و هكذا نكون بإزاء تركيب ازدواجي آخر.[٤٠٠]

و "صُـمْعَـةٌ لُمْعَـةٌ" بمعني الـذكيّ المتميّز. والتـابع هنـا إلي الوصـف لمتبوعـه أقرب من أن يكون متطـابق الـدلالـة معـه. فهو مترتب عليه , أو كالنتيجة له. و تطابق الكلمتين يكون بالتجوّز , أو التناسـي لاختصـاص كلتيهما بدلالة محددة. فالكلمة الأولي من مادة تعني حدّة الفؤاد و توقده و فطنته. يقال : قلب أصمعُ. و يوصف بذلك الرأي الحازم. يقال : صَـمِعَ صَـمَعًا , و هو أصْـمَعُ. و الصَّـمِعُ البيّن الصَّمَع : الشجاع.[٤٠١]

و "اللُّمْعة" كما في الوسيط : الموضع المميّز في خِلْقة الجسم , كالسواد حول حلمة الثدي , أو البقعة من السواد خاصة, أو كل لون خالف لونا. و كذلك الموضع لا يصيبه الماء في الوضوء , أو الغسل , و قطعة من النبت أخذت في اليُبْس. الجمع : لُمَع و لِمَاع. و كذلك هي الجماعة من الناس. و هي نعمة الجسد و بريق لونه.

و المعنيان الأخيران مجازيان , أُلحِقا بالمعاني الحسّـيّة الأولي ؛ لما بين الجانبين من التشابه في التميز. و تبدو المجازية أكثر وضوحا

---

[٣٩٨] اللسان / شور.

[٣٩٩] اللسان / شور.

[٤٠٠] لم يذكر اللسان أن قولهم "صيّر شَيّر" من الإتباع. و هذا شأن تراكيب أخري مما وجدت في المزهر.

[٤٠١] اللسان / صمع.

في المعني الأخير. و لا أدري لِمَ ذكر الوسيط هذين المعنيين أولا مع أنهما مجازيان , و إن شابت الحسّيّة أولهما.

و قد جاءت الكلمتان بصـــيغة صـــفة المبالغة الملحق بها التاء المفيدة للمعني نفسه.

و لا تســـتعمل الكلمتان في لغة الكتابة , اللهم إلا إذا فعل ذلك الحريصـــون علي انتقاء المفردات. و ربما كانت الكلمة التابعة أكثر حظا من ذلك.

و التركيب "طَبٌّ لَبٌّ" بمعني : حاذق. و الكلمة الأولي وحدها تفيد هذا المعني , كما جاء في الوســـيط.[٤٠٢] و أظن الفعل "طَبَن" مأخوذا من "طَبّ يَطُب و يَطِبّ" الدال علي علاج الجسـم و النفس و الرفق , و ذلك بعد التخفف من الإدغام بين صـوتيه الثاني و الثالث , و الاســـتعاضـــة عن ثانيهما بالنون ؛ و ذلك للعلاقة القوية بين معنيي الفعلين , و إن غلب اســـتعمال "طَبّ" في مجال المعالجة لأدواء الجسم والنفس.

قال في الصـــحاح : "و رجل لَبٌّ ؛ أي : لازم للأمر ... و أنشد أبو عمرو:

* لَبًّا بأعجاز المَطِيّ لاحِقًا *

و امرأة لَبّةٌ ... أي قريبة من الناس لطيفة". و لدلالة المادة علي لزوم الشـــيء غيرَه كان منها "اللُّبّ" الذي هو بداخل الثمار , يطرح خارجها. و منه لُبّ الرجل , و هو عقله.[٤٠٣] فالماهر الحاذق رفيق متمهل ليعالج الأشـــياء كما ينبغي, و هو لذلك صـــبور , يلازمها ؛ ليري ما يناســـبها من الســـلوك و العمل. و الكلمة التابعة تؤكد معني التعقّل ,أو امتلاك اللُّب و قوة الفهم ؛ و هو ما تشـير إليه الكلمة الأولي ضـــمنًا. و قد جاء الفعل "لَبَّ ـِ لَبَابة : صـــار ذا عقل ؛ فهو لَبِيب (ج) أَلِبَّاء ... فهو لَبٌّ".[٤٠٤]

---

[٤٠٢] اللسان , و القاموس / طبب. و ذكر الصحاح التركيب بعكس ترتيب كلمتيه.

[٤٠٣] العين / لبب.

[٤٠٤] الوسيط / لبب.

و "طَبِنٌ تَبِنٌ"بمعني ذكيّ فَطِن.

في اللســـان : "الطُّبَن ؛ بالتحريك : الفِطْنة. طَبِن الشـــيءَ , و طَبِن لـه , و طَبَن ؛ بـالفتح , يَطْبَن طَبَنًـا , و طَبَـانـةً , و طَبَـانِيَـةً , و طُبُونـةً : فَطِن لـه. و رجل طَبِنٌ : فَطِنٌ حاذق عالم بكل شـــيء. قال الأعشي :

و اسمع ؛ فإنّي طَبِنٌ عالمٌ
أَقْطَـــع من شِقشِـقة الهـادر"[٤٠٥]

و تدل هذه المادة علي الكثرة. فالطَّبْن : الجمع الكثير , و جاء بالطَّبْن ؛ أي بالكثير. و الطَّبْن : ما جاءت به الريح من الحطب و القَمْش ؛ فإذا بُنِي منه بيت فلا قوة له. و الطَّبْن : البيت. و الطُّبَن : اللُّعَب.

كذلك تدل علي الإيجاد أو الصُّنْع ؛ فالطَّبْن : الخَلْق.

كما تدل علي الفصل بين الأشياء ؛ فالطَّبْن : الفِرْق.[٤٠٦]

وكل هذه المعاني تخدم دلالة الصـــفة "طَبِن"علي الفطنة و الذكاء. فالفطن يتخير من الأشـــياء و الأمور الكثيرة أفضـــلها. و يخلص من المشـــكلات المتشـــابكة. و هو بما يفعل لتحقيق هذا يقدم الرأي الصـائب ؛ فكأنه يصـنعه. و هو بما فعل يفصـل بين الأشـياء ؛ باختياره بعضـــها و ترك غيره. و لعل الوصـــف "طَبِن" قد أريد به نسبة صاحبه إلي أن يكون بسلوكه الذكي قد صنع لنفسه بيتا؛ فصار آمنا علي نفسه , أو بعيدا عن الأذي.

علي أن المادة تلتقي مع مادة "تَبَن" في إفادة معني الكثرة , و إن اختلفتا فيما تمثله هذه الكثرة. و مدار هذا الاختلاف بينهما قائم علي تبادل الطاء والتاء موقع الصـــوت الأول فيهما. و كأني بهم جعلوا الطاء لما فيها من الإطباق في المادة التي تدل علي معاني الكثرة التي ذكرنا من قبل ؛ لما فيها من الضـــخامة , أو الكِبر. و هو غير ما تختص به "تبن" من الدلالة علي عَصْـــف الزرع , علي ما سـنري. لكنا سـنجدهم يشـيرون إلي اتفاق المادتين في معني كلمتي الإتباع. ففي اللســـان: "و التَّبانة : الطَّبانة و الفطنة و الذكاء. وتَبِن له

---

[٤٠٥] اللسان / طبن.

[٤٠٦] راجع اللسان /طبن.

تَبَنًا و تَبَنةً و تَبَانيةً : طَبِن. و قيل : التبَانة في الشـــرّ , و الطبانة في الخير".[٤٠٧] و رأي الليث غير ذلك. و قال الأزهري : "هما عند الأئمة واحد. و العرب تبدل الطاء تاء ؛ لقرب مخرجهما. قالوا: مَتَّ و مَطَّ إذا مدّ , و طَرَّ و تَرَّ إذا سقط. و مثله كثير في الكلام".[٤٠٨]

و لعل هذا الاختلاف راجع إلي أساس لهجي.و يبدو – اعتمادا علي قول الأزهري – أن الكلمة المحتوية علي التاء هي الأحدث ؛ و ذلك لميل اللغة في تطورها إلي الرقة , و البعد عمّا يميز نطق البدو من ســمات , يمثل التفخيم أحدها.[٤٠٩] و يبقي أن ذلك احتمال لا يلزم دائما , و إن كان كثير التحقق.

و التَّبِن وصف من الفعل "تَبِن" المأخوذ من "التِّبْن" الذي هو عصِفة الزرع من البُرّ و نحوه. و من المصدر نفسه يقال : تَبَن الدابة يَتْبِنها, إذا علفها التِّبْن. و "التِّبْن" : أعظم الأقداح , يكاد يُروي العشرين.

فكأن هذا القدح سمّي بما لازمه مما تأكل الإبل وما شاكلها من التِّبْن[٤١٠], ثم حُمِل ذكاء الأذكياء و فطنتهم علي الارتواء من مثل هذا القدح الضخم.

و ثمّة معني آخر للوصـــف "تَبِن" أورده ابن برّي , و هو: الذي يعبث بيده في كل شـيء. وهو يضـع أمامنا احتمالا أيسـر للعلاقة بين معني الفطنة , أو الفَطِن و المدلول الحسّـــي. لقد حُمِلت دلالة الذكاء , و التنبه للأمور علي دلالة التِّبْن علي عَصِـــفة الزرع. فالذكي الفطِن سريع الإمساك بالأفكار , أو هو ثائر الفكر , عاصف الذهن للبحث عن الحقائق و الأشياء ؛ فهو في ذلك يماثل هذا التِّبْن. و هذا ابن بري قد أوقفنا علي المعني , الذي إن نحّينا عنه جانب العبث المحض , فإنّا يمكن أن نجعله مفيدا معني دراسة حقائق الأشياء , و عدم الاكتفاء بظواهرها. كذلك هو يعضد القول بأن الفَطِن يعمل علي الإمساك بالأفكار , أو غيرها ؛ فكأنه يمسك بالتبن المتطاير.

---

[٤٠٧] اللسان / تبن , و طبن.

[٤٠٨] السابق.

[٤٠٩] في اللهجات العربية , للدكتور أنيس ١٢٧ , ١٢٨ , ١٣٠ , ١٣١.

[٤١٠] و قديما قال الشاعر : * علفتها تِبْنًا و ماءً باردًا *

و تعرف لغة العامة كلمة "تِبْن" بمعني عَصْـــف الزرع و الحَبّ. أمّا كلمتا التركيب الإتباعي فغريبتان , إلا علي اللغويين و من إليهم.

و "عَوِزٌ لَوِزٌ" بمعني : محتاج. و قد ســبق عن الوســيط. و واضــح أنّ كلمتيه صــفتان علي "فَعِل" , أولاهما من العَوَز , و هو الحـاجـة. "عَوِز الشـــيءُ؛ كفرِح : لم يوجد , و ~ الرجلُ : افتقر , كأَعْوَز و ~ الأمرُ : اشــتدّ". أمّا الصــفة الثانية فإنها من الفعل "لاز إليه يلُوز : لجأ. و المَلاز : المَلْجَأ".[٤١١]

فالكلمتان متقاربتا المعني. فالمحتاج لائذ بمن يسدّ حاجته , و لِوَاذه به من الحاجة , أو اختلال الحال , كما عبر الوسيط , عند بيانه معني "عَوِز الرجلُ". و يبقي أنّ التركيب جعلنا نقف علي صـــورة أخري للفعل "لاذ" , الذي هو الأفصح , علي الأقل لاستعمال القرآن الكريم مصـدره في الآية ٦٣من سـورة النور :" ... قد يعلم الله الذين يتســـلّلون منكم لِوَاذا". و لعـل الفعـل " لاز" هو الأحـدث , مـال المتكلمون إلي اســتعماله تخففا من نطق الذال , و هو ما نشـــهد ميل العامة إليه في نطقهم. علي أن هذا الفعل يتميز بأنه قد روته كتب اللغة عمّن يستشــهد بهم ؛ فهو لذلك مقبول , و إن كان أقل شــهرة و اســـتعمالا. و هو وغيره يمكن التعويل عليه في دراســـة ما لحق أصوات ما بين الأسنان من التحريف علي ألسنة العامة.

و ربما كانت الكلمة التابعة مأخوذة في الأصل من الفعل "لاذَ" , ثم حدث أن اســتُبدل صــوت الذال بالزاي ؛ لتحســن المناســبة بين الكلمتين : التابعة و المتبوعة , ثم نشأ من تلك الصيغة الفعل "لاز" , الذي يبدو أنّ صاحب القاموس قد انفرد بذكره.[٤١٢]

---

[٤١١] القاموس / عوز , و لوز.

[٤١٢] قصر ابن فارس الجذر "لوز" علي أنّ منه كلمة اللَّوز المعروف. و اللسان يقرّر مثل هذا. و قد ذكر التركيب الإتباعي , و أشار إلي أن الكلمة إتباع. و في "عوز" يذكر أنّ كلمة "لَوِز" تأكيد له.

و قد تكون الكلمة التابعة اكتسبت معني الحاجة من سابقتها ؛ لطول ملازمتها لها. و قد جاء في اللسان : "رجل مُلَوَّز , إذا كان خفيف الصورة".

و كلمتا التركيب "عَكٌّ أَكٌّ" يصلحان مثالا للترادف التام. ربما كان أحدهما متطورا عن الآخر , أو صورة أخري له , استعملتها لهجة من اللهجات. قال الخليل : "الأُكَّة لغة في العُكَّة: فورة الحرّ شديدة في القَيْظ. تجعل الهمزة بدل العين...و العُكّة : رملة حمِيَت عليها الشمس. و حرٌّ عَكِيك , و يوم عَكِيك ؛ أي شديد الحَرّ. قال طرَفة :

تطرُد القُرَّ بحَرٍّ صادق و عَكِيك القَيْظ إن جاء بقُرّ

يصف جارية. و عَكِيك الصيف , إذا جاء بحر مع سكون الريح".[٤١٣]

و ذكر القالي أيضا أنّ "الأَكّ" بمعني الضِّيق. قال رؤبة:

تفرّجت أكَّاتُه و غُمَمُه عن مستثِير لا يُرَدّ قَسَمُه

كما أنه يقال : أَكّه يؤُكُّه أَكًّا , إذا زَحَمه , و الزِّحام : تضييق.[٤١٤]

و معني التضييق لابُدّ أن يستحضره معني شدّة الحرارة و سكون الريح. فما أشبه أن يكون الأول قد حُمِل علي الثاني لأن هذا الثاني بفضي إليه, و كذلك معني الزحام , إن لم تكن تلك المعاني قد وضعت لها المادة من أول الأمر , مراعًي في هذا ما بينها من التناسب.

و يشيع علي ألسنة العامة استعمال كلمة "عَكّ" وصفا للأقذار.

كما يستعملونها للدلالة علي كثرة الكلام , أو ما لا يستقيم منه , و من الفعل أيضا. والدلالة الثانية مبنية علي الأولي , و إن كان المعجم لم يشر إليها إلا فيما يتصل بانتقاص حق المرء , أو إيذائه. جاء في القاموس : "عَكَّ فلانًا : حدّثه بحديث ؛ فاستعاده منه مرّتين

---

[٤١٣] العين / عكك , و الأمالي ٢ /٢١٥.
[٤١٤] الأمالي ٢/٢١٥،٢١٦.

أو ثلاثًا , و ماطله بحقّه. و عَكّه بشرٍّ : كرّره عليه. و – عن حاجته : صرفه و حبسه".[٤١٥]

و "عَلْجَمٌ" مأخوذة من "العُلْجُوم" , وهو التام المُسِـــنّ من الوحْش. و منه قيل للناقة المسـنّة : عُلجُوم. و تطلق الكلمة علي خِيار الإبل و شِدادها.[٤١٦]

و "الخَلْجَم و الخَلَيْجَم : الجَســيم العظيم. و قيل : هو الطويل المنجذب الخَلْق. و قيل : هو الطويل فقط"[٤١٧].

و لعل "عَلجَم" اختصـــار للعُلْجوم , مع تغيير في حركتي العين و الجيم لتتفقا مع حركتي الخاء و الجيم من كلمة "خَلْجَم". ومادة الكلمة الثانية صـــغيرة كما رأينا ؛ و هو ما يناســـب أن تكون إحدي كلمتيها تابعة لغيرها , و إن لفّهما الغموض معًا , لكن لعلّ السامع يمكنه استشعار معناهما من بنائهما الصوتي.

و قد جاء وصف الإبل بالكلمتين في قول أبي ذؤيب

إذا ما العلاجِيمُ الخَلاجيم نكَّلوا

و طال عليهم ضَرْسها و سُعارُها[٤١٨]

و لم يذكر صاحب اللسان أن توالي الكلمتين من الإتباع.

و لا بُدّ أن تأخذنا الكلمة الأولي , وكلمة "عُلجوم" التي رجحناها أصلا لها – إلي الكلمة القرآنية "عُرْجُون" في الآية ٣٩من ســـورة يس : "و القمرَ قدّرناه منازلَ حتي عاد كالعُرْجُون القديم". و قد عُدّت الكلمة من الغريب الذي يحتاج إلي البحث عن معناه.[٤١٩] و العُرْجون : العِذْق (قِنْو النخلة) , أو إذا يَبِس و اعوَجّ , أو أصله , أو عود الكِباسة.[٤٢٠]

---

[٤١٥] القاموس المحيط /عكك.

[٤١٦] اللسان / علجم.

[٤١٧] اللسان / خلجم.

[٤١٨] اللسان / علجم.

[٤١٩] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١١٧/١. و شرح "كالعرجون القديم" بأنه : أصل العِذْق العتيق المشحون الممتلئ. و نقل القرطبي عن الجوهري أن العرجون : أصل العِذق الذي يعوجّ و تقطع منه الشماريخ فيبقي علي النخل يابسًا. تفسير القرطبي ٨ /٣٠.

[٤٢٠] القاموس / عرجن.

و قد مرّ بنا أن العُلجوم تعني التمام و الشـــدّة. و هذا قريب من دلالتها أيضـــا علي الاكتناز و الكثرة ؛ فهي تعني الأتان الكثيرة اللحم , و البستان الكثير النخل , و الجماعة من الناس.

و روي الأزهري : العُرجوم و العُلْجُوم : الناقة الشـــديدة. و قال أيضـــا في باب ما زادت فيه العرب النون من الحروف : ناقة عَلْجَن , و هي الغليظة المستعلية الخَلْق المكتنزة اللحم. ناقة عُلْجُوم و عُلْجُون , أي شديدة.[٤٢١]

إذن فالجذور "عرجن – علجن – علجم " ملتقية في الدلالة علي الكثرة و التراكب و الاكتناز. و قد رأينا كيف أن الإبدال يقرّبها من بعضها.

و لا بُدّ أن يلفت الجذر "علجم" انتباهنا إلي ما لعلنا نسمع من نطق بعضـــهم لكلمة "عَلقَم" وصـــفا للشـــيء المُرّ – بالجيم القصـــيّة (القاهرية , أو غير المعطشـــة , أو غير المركّبة) مبدلة من القاف. و ليس ذلك غريبا ؛ إذ يتيحه القرب بين المادتين في بعض المعاني. فالعَلْجم : الغدير الكثير الماء , و العُلْجوم : الماء الغَمْر الكثير. و هذا يتناســـب مع دلالة المادة علي الكثرة و التراكم و الشـــدة و الضـــخامة. "و العَلْقَم : أشـد الماء مرارة. و قال ابن دريد : العَلْقَمة : اختلاط الماء و خثورته. الجوهري : العَلقَم : شجر مُرّ".[٤٢٢]

فالعلْجَم و العَلْقَم كلتاهما تطلق علي الماء , لكن في حالتين مختلفتين. علي أنهما ربما استَوَتا عند بعضهم , أو التبستا. و ربما جعلهم ذلك يسـلكون السـلوك نفسـه في نطق الكلمة مرادًا بها الدلالة التي أشار إليها الجوهري.

و التعبير "ما له عافِطة و لا نافطة" يشـــبه ما ســـبق من تعبيرات ,أو تراكيب تستعمل في النفي. و هو يشبه ما سبق من قولهم : "ما له سَـبَد و لا لَبَد". و قد اختلف هنا في معني العافِطة و النافطة أيضا , كما رأينا اختلافهم حول السَّبَد و اللّبَد.

---

[٤٢١] اللسان / علجن.

[٤٢٢] اللسان / علقم , و انظر أيضا : علجم.

فالعافطة : النعْجة لأنها تعْفِط ؛ أي تضـــرِط. و يتفق هذا مع ما جاء عن الأصمعي من أنها الضائنة.[٤٢٣] و العَفْطَة و العَفِيط[٤٢٤]: نثير الضأن.

و قال غير الأصـــمعي من الأعراب : العافطة : الماعزة, إذا عطســت. و هذا خلاف ما ســبق كما هو واضــح. و يتبع ذلك ما قاله ابن الأعرابي من أن العَفْط هو الحُصَاص للشاة.[٤٢٥]

و قيل إنّ العَفْط و العَفِيط : نَثِير الشــاء بأنوفها. و الشــاء تكون من الضـأن و المَعْز.[٤٢٦]و لعل هذا يفسر لنا الاختلاف بين الأصـمعي و غيره في تعريف العافطة.

و قد تُوُسِّـــع في دلالة الكلمة ؛ فأطلقت علي الأمَة. و الأصـــل في ذلك أنها للأمة الراعية. و الراعي يقال لـه : العـافط. فكأنهما سُمّيا بشيء مما تفعل أفراد القطعان التي يرعيانهما , أو شبّه كل منهما بواحد منها. و قيل : "لأن الأمة تَعْفِط في كلامها كما يعفِط الرجل العِفْطِيّ , و هو الألكن الذي لا يفصـــح".[٤٢٧] و كأن كلام هذا الشــخص شــبّه بعطس الماعزة , أو نثير الشــاء , اللذيْن ليس لهما معني يفهم , بل هما مجرد أصوات تسمع. و كذلك كلام الألْكَن.

و "نـافِطة" إتبـاع. و قيل : النـافطـة : العَنْز أو المـاعز , أو الناقة. و قيل إنها الشاة , و نَفْطها : عُطاسها.

و قيل : النَّفْط : العُطَاس.

إذن كلمتا التركيب[٤٢٨]قد تكون ثانيتهما إتباعا , و قد تكونـان بمعني واحد. و لعل التداخل فيما تصــدق عليه كلتاهما من الضــأن و الماعز يرجح ذلك. و قد تختص كل منهما بالدلالة علي معني يستلزم

---

[٤٢٣] في القاموس : الضأْن خلاف الماعز من الغنم , و النعجة : الأنثي من الضأن.

[٤٢٤] و اللسان / نفط.

[٤٢٥] إزالة صوفها من حَصّ الشعَر إذا حلقه.

[٤٢٦] في القاموس / شوه :"الشاة : الواحدة من الغنم للذكر و الأنثي , أو يكون من الضأن و المَعْز , و الظباء , و البقر , و النعام , و حُمُر الوحْش".

[٤٢٧] اللسان / عفط.

[٤٢٨] ذكر في اللسان (نفط) أنه مثل , و قال : أي ما له شيء. و هذا يدل علي تداوله علي الألسنة. وقد ذكر في (عفط) تراكيب أخري تنتمي للحقل نفسه , وتفيد نفس المعني. قال : " و هذا كقولهم : ما له ثاغية و لا راغية ؛ أي لا شاة تثغُو و لا ناقة ترغو. قال ابن بَرّي : و يقال : ما له سارحة و لا رائحة , و ما له دقيقة و لا جليلة. فالدقيقة الشاة و الجليلة الناقة...إلخ".

الثاني ؛ فتدل العافطة علي النعجة , و النافطة علي العنز[٤٢٩] أو الماعز ؛ فتكون هناك مقابلة بين الضـــأن و المَعْز. و نفْي امتلاك المرء لهما يراد به الإشـــارة إلي خلوّ ذات يده , علي ما جاء عنهم قديما. و لا شك أن المقام أو السياق هما المنوط بهما تحديد ما إذا كانت هذه الدلالة هي المرادة أم غيرها.

و الكلمة الثانية من التركيب لا بد أن تســتوقفنا لإشــارتها إلي "النَّفْط" الذي هو وقود الحضارة المعاصرة , غالبا. و لعلنا نفضل كثيرا اســتعمال هذه الكلمة بدلا من كلمة "بترول" ؛ لنبتعد عن استعمال المفردات غير العربية ما أمكن. و معاني مادة "نفط" و ثيقة الصلة بكلمة النفْط.

و يعَرف اللســان النَّفط بأنه : "حَلابة جبل في قعر بئر توقَد به النار". و قيل إنه ما تُطلَي به الإبل للجرَب و الدَّبَر و القِرْدان. و قيل إنه عامة القَطِران. و هذا القول الأخير لم يســلّم به بعض اللغويين , و قدم لنا التعريف الذي سقناه أولا عن اللسان.[٤٣٠]

و يعرف مجمع اللغة العربية بالقاهرة النّفْط بأنه "مزيج من الهيدروكربونات يحصَــل عليها بتقطير زيت البترول الخام , أو قطِران الفحم الحجري. و هو سريع الاشتعال, وأكثر ما يستعمل في الوقود".[٤٣١]

إنّ مادة "نفط" تدل علي القروح و البَثْر يصــيبان الجلد من عمل , أو جُدَريّ , و علي غليان القِدْر. و تدل أيضــا علي الغضــب , بل الاحتراق منه. كل هذه المعاني غير بعيدة عن معني النفط.

و "عَيْمان" من "العَيْمَة : شــهوة اللبن. عام الرجلُ إلي اللبن يَعَام و يَعِيم عَيْمًا و عَيْمَةً : اشتهاه".[٤٣٢] و يقال : عام الرجلُ , و أعام القومُ : هلكت ماشـيتهم أو إبلهم ؛ فلم يجدوا اللبن, أو اشـتاقوا إليه. و يقـال : أعـامـه الله : تركـه بغير لبن , و أعـامنـا بنو فلان ؛ أي :

---

[٤٢٩] و العَنْز : الأنثي من المَعْز.
[٤٣٠] اللسان / نفط. و قال إن الكسر لنون النِّفط أفصح.
[٤٣١] المعجم الوسيط / نفط. و انظر تعريفه للبترول في الجزء الأول.
[٤٣٢] اللسان / عيم.

أخذوا حلائبنا حتي بقينا عَيَامَي , نشـــتهي اللبن , و أصـــابتنا ســـنة أعامتنا. و منه قالوا : عام مُعيم شديد العَيْمَة. و قال الكميت :

بـعام يقول له المــؤلفو ن : هذا المُعِيم لنا المرجِل

و إذا اشـــتهي الرجل اللبن قيل : قد اشـــتهي فلان اللبن. فإذا أفرطت شهوته جدًّا , قيل : قد عام إلي اللبن.[٤٣٣]

و "أَيْمَان" و صـف من قولهم : " آمَ الرجلُ يَئِيمُ أَيْمة , إذا لم تكن لـه زوجـة , و كذلك المرأة". و "تَـأَيَّم الرجل زمـانـا , و تـأيّمت المرأةُ , إذا مكثا أياما و زمانا لا يتزوجان". " و قد آمت المرأةُ من زوجها تَئِيم أَيْمًا و أُيُومًا و أَيْمةً و إِيمَة , و تَأَيّمت زمانا وائْتامت. و ائْتيمتها : تزوجتها أَيّمًا".[٤٣٤]و قد ورد جمع "الأيّم" في قوله – تعالي – (٣٢/ النور) : "و أَنكحوا الأيامي منكم". قال في اللســـان[٤٣٥] : "دخل فيه الذكر و الأنثي , و البِكْر و الثيّب. و قيل في تفســـيره: الحرائر".

فـالكلمتـان تشـــيران إلي فقد الموصـــوف بهمـا لأمرين ضـــروريّين , تســـكن بهما النفس : الرِّيّ من الظمأ , أو الإطعام من المسْـغبة , و السـكون إلي الزوجة. و قد اسـتنبط معني فقْد الصـبر كلازمة من الوصـــف بالكلمتين. و قد رأينا كيف أن الفعل "عام إلي اللبن" ليس كقولنـا : اشـــتهي اللبنَ. و الراجح أنـه يقترب بعض الاقتراب من معني العَوْم الذي هو الســـباحة في الماء.[٤٣٦] و في ذلك ما فيه من التعبير عن تحمل المشقة , أو بذل الجهد لتحصيل الشيء. فهو تعبير مجازي.

و ممّـا يؤكد أنّ المراد التعبير عن مطلق العَوَز و الحاجة , لا ظاهر التعبير[٤٣٧]ما رواه صاحب اللسان قائلا : "و حكي

---

[٤٣٣] السابق.

[٤٣٤] اللسان / أيم.

[٤٣٥] السابق.

[٤٣٦] فالجذران "عوم" و هو أصل العَوْم , و "عيم" و هو أصل العَيْمة و العِيمة يذكر فيهما العامُ المُعِيم. قال في الأول : "و عام أَعْوَم ؛ علي المبالغة. ... و عام مُعِيم كأعوم . عن اللّحياني".

[٤٣٧] لم يذكر اللسان في أيٍّ من المادتين أن التركيب من الإتباع.

أبو زيد عن الطفيل بن يزيد: امرأة عَيْمَي أَيْمَي. و هذا يقضـــي بأن المرأة التي مات زوجها و لا مالَ لها عَيْمَي أَيْمَي".

و في الحديث الشـريف أنه – صـلي الله عليه وسـلم – كان يتعوّذ من العَيْمـة و الغَيْمـة و الأَيْمـة. و هـذه الأخيرة تعني : طول العُزْبة.

و لعلنا لا نبعد بعيدا إذا ربطنا بين دلالة "العِيمة من المتاع" ؛ بمعني خِيرته أو خياره – و ما سـبق من الربط بين "عام إلي اللبن" و الفعل "عام يعوم" بمعني : سبَح يسبح. إن المحصّل لخيار الأشياء يبذل الجهد في سـبيل ذلك , و يركب الصـعاب. و هو ما يرجح أن "العِيمـة" و الفعل : اعتـام يَعتـام اعتِيـامًـا ؛ بمعني : اختـار – وثيقا الصلة بالفعل الدال علي السباحة.

و قد جاء الفعل "اعتام" في بيت طرَفة :

أري الموت يعتام الكرامَ و يصطفي
عَـقِيلة مال الفاحش المـتشدّد[٤٣٨]

و ذكر صـاحب اللسـان التعبير بالتغيير في ترتيب الوصـفين. فكان يقدم ما يناسب المادة التي يعرض لها. و لا شك أنه يسوق ذلك حسـب ما انتهي إليه من الرواية. و ذكر أيضـا أنه يقال في الدعاء علي الإنسـان : مـا لـه ؟ آمَ و عـامَ ؛ أي : هلكت امرأتـه , و هلكت ماشيته ؛ فاشتاق إلي اللبن.

و لَحم غَرِيض أَنِيض : متغيّر. "و الغَرِيض : الطريّ من اللحم و الماء و اللبن والتمْر... و غَرُض غِرَضًـا ؛ فهو غَرِيض ؛ أي :طرِيّ. قال أبو زُبيْد الطائي يصف أسدا:

يـظلّ مُغِبًّا عنده من فرائسٍ
رُفَات عِظام أو غريضٌ مُشَرشَرُ".[٤٣٩]

---

[٤٣٨] شرح القصائد العشر ٨٦.

[٤٣٩] اللسان / غرض. و قارن بالوسيط.

و"الأَنِيض" هو اللحم النيِّء. و قد أَنُض أَناضـــةً , و أَنَضَ يَأْنِض أيضا: تغيّر. و آنَضَه : لم ينضجه.[٤٤٠]

و وردت "أَنيض" بمعني "تغيُّر" في بيت زهير , يصـــف لسان بعض من عابه و هجاه :

يُلجـــلِج مُضغة فيها أَنِيضٌ أَصَلَّت ؛ فهْي تحتَ الكَشْح داءُ

و "الإِنَاض" : حَمْل النخل المدرِك. و أَناض النخلُ يُنَيض إناضـةً ؛ أي أيْنَع.[٤٤١]

إن الكلمتين بمعني واحد. فاللحم الطري هو النيّء ؛ كما تؤكد الكلمة التابعة. و هذه التابعة أو الثانية رأينا كلمة أخري من جذرها تدل علي الطري من ثمر النخل , كما تدل عليه كلمة "الغريض". فالكلمتان متناسبتان , بل متطابقتان , و بخاصة , في إشارتهما إلي طراءة اللحم , أو عدم نضجه.

يبقي أن مادة " أنض" علي غرابتها قد وردت كلماتها في أبيات لمشاهير الأقدمين. و نضيف إلي من سبق لَبيدا , و أبا ذؤيب. و لم يشـر صـاحب اللسـان إلي أن الكلمة الثانية إتباع ؛ و هو ما يؤكد اســتقلاليتها في الاســتعمال , و إن بدت منافســة لتابعتها في الغرابة و غموض المعني.

و كلمتا التركيب علي "فَعِيل" بمعني اســم المفعول. و لعل "الغريض" – أي الطَّلْع - كانت "الإِغْرِيض" – وهي بمعني الطَّلْع و البَرَد – ثم تغير بناء الأولي , و استقلت بالدلالة علي الطلع.

و الكلمتان : "غريض – أنيض" لا تســتعملان في الكتابة و لا في الكلام. و لعل الكلمة الأولي منهما أطلقت علي ما ســبق ذكره من الأشياء – في أول الأمر - باعتبارها أغراضا, أو أهدافا للمرء[٤٤٢] ؛ يبتغي الحصول عليها , ثم غدَت وثيقة الصلة بهذه المسميات.

---

[٤٤٠] القاموس / أنض. و ذكر الوسيط الفعل ببابيه : أَنَض ـِ أَنيضا : فسد و تغيّر. و أَنَض اللحمُ ـُ أَناضة : لم ينضج ؛ فهو أَنِيض. و آنَضَ اللحمَ إيناضا : لم ينضجه.

[٤٤١] اللسان / أنض.

[٤٤٢] قال في اللسان / غرض : "و كل من ورد الماء باكرا فهو غارض. و الماء غَرِيض". و ذكر بعدُ أن : "الغرض هو الهدف الذي ينصب فيرمي فيه , و الجمع أغراض". و ما ذكره في آخر المادة عن ثعلب من تشبيه البَرَد بما في جوف الطلْعة ؛ لتطلق كلمة الإغريض عليه , و ما ذكره عن أن الكلمة تدل علي القَطْر الجليل الذي إذا وقع كأنه أصول نَبْل – يشهدان

و الكلمات "غَضٌّ , بَضٌّ , نَدٌّ" تعني التراة و الامتلاء و النضارة.و الأوليان وصفان علي وزن "فَعْل" , و الثالث يمكن أن يكون مثلهما , أو اسمًا. فالغَضُّ و الغَضيض : الطريّ, و الطَّلْع الناعم. و غَضِضتَ ؛ كمنَعت و سمِعت غَضاضة و غُضُوضةً ؛ فأنت غَضٌّ ؛ أي ناضر.[٤٤٣]

و البَضّ : الرَّخْص الجسد الرقيق الجلد الممتلئ. و النَّدّ: مصدر الفعل: نَدَّ البعيرُ يَنِدّ نَدًّا و نَديدا و نُدودا ونِدادا : شَرَد و نَفَر.[٤٤٤]

ويقترب معني الشرود و النفور للجذر "ندد" من معني النموّ و الامتلاء للكلمتين الأوليين ؛ فهو يخالف حال السكون و التضام , تلك الحال التي تشبهها حال الثمرة قبل أن تبدو ناضجة أو غَضّة بَضّة. علي أنه في اللسان[٤٤٥] أنّ "النِّدّ و النَّدّ: ضَرْب من الطِّيب يدخَّن به. قال ابن دريد : لا أحسب النَّدّ عربيا صحيحًا". فربما وصف الثمر الغضّ بهذا الاسم للدلالة علي طيبه.

و قد ذكر اللسان أنه "يقال : شيء غَضٌّ بَضٌّ , و غاضٌّ باضٌّ". فالكلمتان لا يلزم أن تتبع ثانيتهما الأولي. ولم يذكر أنّه يلزم أن تكون "نَدّ" تابعة. و تبدو كلمة "نَدّ" خفيفة الوقع علي الأذن لمخالفتها الأوليين باختتامها بصوت الدال. علي أن الدال مرقَّق الضاد , و شريكتها في المخرج اللثوي الأسناني. و الكلمة قد تكون غريبة المعني بعض الشيء بالقياس إلي سابقتيها.

للاحتمال الذي أوردته أصلا للربط بين كلمة "الغريض" و دلالاتها. ومن الحق تقرير صعوبة الربط بين كلمات المادة و دلالاتها , لكن ليس ثمة ما يمنع – فيما أري – من إبداء الرأي في ذلك , بخاصة إذا ما وقفنا علي بعض ما يخدم ذلك لدي القدماء.

[٤٤٣] القاموس / غضض. و في اللسان أن المراد بالغضيض الطلْع. و قيل : الثمر أول ما يخرج. و ربما كان المراد وصف حسن الثمر و جودته أول ظهوره لما جاء عن الأصمعي من قوله : "إذا بدا الطلع فهو الغضيض. فإذا اخضرّ قيل : خَضَب النخلُ , ثم هو البلح".

[٤٤٤] القاموس / ندد.

[٤٤٥] ندد. و في الوسيط أن النَّدّ :ضرب من النبات يُتبَخّر بعوده.

و الكلمتان الأوليان ليستا غريبتين علي لغة الكتابة الأدبية. و قد حفظت قديما لشـوقي في وصـف بعض الآثار المصـرية القديمة الغارقة :

قف بتلك القصور في اليمّ غَرْقَي
مُمسكًا بعضها من الـذُّعر بعضا
كعذارَي أخْفَين في الماء بَـضًّـا
سابحات به , و أبديْن بَضًّـا[٤٤٦]

و من الجذر "ندد" جاءت كلمة "أنْداد" المستعملة في القرآن الكريم بمعني : الشـركاء في غير موضـع منه , كما في (٢٢/ البقرة) : "فلا تجعلوا لله أندادًا و أنتم تعلمون" , (٣٣/ سـبأ) : "... إذ تأمروننا أن نكفر بالله و نجعل له أندادًا".

و من الجذر الفعل "نَدّد" بكذا , أو بفلان ؛ أي : سـمّع به و شـهّر. و هو يسـتعمل كثيرا – علي ما هو معلوم – في بيان المواقف السياسية.

و وصـف الفرس بأنه غَوْج مَوْج يراد به أنه جَوَاد , أو طويل القَصَـب, أو أنه يتثنّي ؛ فيذهب و يجيء. و إذا كانت الكلمة الأولي غريبة , فإنّ تاليتها تكشـف القناع عن معناها. فالغَوْج من الأفراس : الذي يتثنّي , يذهب و يجيء.[٤٤٧]و كذلك المَوْج , يذهب و يجيء. و مادة الكلمة تدل علي الاضـطراب و التداخل[٤٤٨] , و هو

---

[٤٤٦] لم أقف عليه في الشوقيات.

[٤٤٧] الوسيط / غوج.

[٤٤٨] و اللسـان / موج. و ما ذكره اللسـان عن معني "غَوْج" يؤيد ما سبق من معان. فقد ذكر أن الجمل الغَوَجّ : العريض الصدر , و أنّ الفرس الغَوْج اللَّبَان : الواسع جِلدة الصدر , أو السـهل المِعطف. و ذكر عن النضـر أنّ الغَوْج : اللّيّن الأعطاف من الخيل. و ذكر من المادة الفعل "تَغَوَّج". يقال : تَغَوَّج الرجل في مشـيته : تثنَّي و تعطَّف و تمايل. و ذكر الفعل الثلاثي "غاج يغُوج " بالمعني نفسـه في بيت لأبي ذؤيب. و ذكر اللسـان التركيب الإتباعي , و أضاف هنا إلي ما فسره به في "موج" : الواسع جلد الصدر. و اقتصار المادة علي ذكر "الغَوْج" و بيان سياق استعمالها , علي ما رأينا , يشهد لقلة دورانها علي الألسنة , و إن استعملت منها بعض الأفعال. و هو ما يشـهد لقول ابن فارس في المقاييس: "الغين و الواو و الجيم كلمة واحدة , و هي الفرس الغَوْج ؛ إذا كان عريض الصـدر. و ربما سـمَّوا كل ليِّن غَوْجًا".

ما يناســـب معني الكلمة المتبوعة , التي يرجَّح أنها حقيقيّة الدلالة , تبعتها الكلمة الثانية المشبّهة للفرس بموج البحر ؛ لإماطة غرابتها. و ليس ذلك غريبا ؛ فالفرس يسمّي "بحرًا"[٤٤٩]؛ تكثيرًا للثروة اللفظية , و تفنّنًا في التعبير عن المعاني.

و كلمتا "الفَدْم" و "اللّدْم" كلتاهما تعنيان اعتراض شـــيء لآخر , أو الاصـــطدام به. و هما مصـــدران بمعني اســـم المفعول , استعملا في التركيب المحتوي عليهما وصفا للعَيِيّ , أو الجبان.[٤٥٠]

و في المقاييس : "الفاء و الدال و الميم أصل صحيح , يدل علي خثُورة و ثِقَل , و قلّة كلام في عِيّ. و من قياسه الرجل الفَدْم , و هو القليل الكلام من عِيّ. و هو بيّن الفُدُومة و الفَدَامة. و هذا كله قياسه الفِدَام الذي تُفَدّم به الأباريق ؛ لتصفية ما فيها من شراب".

و اللّدْم و الالتدام ضـــرْب المرأة صَـــدْرها و عضـــديها في النياحة. و يلتقي معني "اللَّطْم" مع ما ســـبق , إلا أنه يخالفه في كونه خاصًّـــا بالوجه , و صـــفحة الجَســـد باســـتعمال الكفّ مفتوحة. و اللدم يعني الضـــرب بشـــيء ثقيل يسـمع و قعه, و إن كان من المسـتبعد أن يحدث هذا في موقف النائحة.[٤٥١]

و لعلنا نقف بذلك علي التلاقي المعنوي لكلمتي التركيب "فَدْم , لَدْم". فقد وقفنا علي اشتمال كلتيهما علي دلالتي الاعتراض للشـيء (الفِدام للشـــراب , و الضـــرب , أو اللطم) و الثّقل , متمثلا في الخُثورة , أو الثِّقل المعنوي في "الفَدْم" , و الثقل الحقيقي لآلـة الضرب عند "اللّدْم".

و الكلمتان كلتاهما غريبتان , لا تســـتعملان في لغة الحديث أو الكتابة , اللهم إلا أن يعمد إلي إحداهما الأدباء الحريصـــون علي انتقاء المفردات. غير أن ثانيتهما تشير إلي ما يشيع في دارج الكلام من قولهم : (فلان لاضم لفلان – يلضم الإبرة).

---

[٤٤٩] في الوسيط : "البَحْر من الخيل : الواسع الجَرْي , الشديد العَدْو".
[٤٥٠] و انظر الأمالي ٢/٢١١.
[٤٥١] العين / لدم , و القاموس المحيط / لدم , و لطم.

جاء في القاموس أنّ اللَّضْم : العنف و الإلحاح. و قد لَضَمه يَلْضِمه. و استعمال العامة الفعل[٤٥٢] أو اسم الفاعل يتفق مع المعني الثاني , أو ينحو نحوه ؛ إذ هم يعنون أنّ فلانا هذا يعُدّ لغريمه ما يسُوءه منه ؛ فهو يتابع فعل هذا. و ذلك , و إن كان توجيها مقبولا لكلام العامة , قد يرجحه وجود المادة اللغوية في المعجم , لكن قد يكون ما ينطق به العامة ذا صلة بمادة "لدم". ففيها أنّ الرجل المِلْدَم : الضَّغِن.[٤٥٣] و "لَدَم" يعني: رقَع الثوب. و رَقْع الثوب يعني وصل ما تقطّع منه. و هذا الذي (يلضم) لغيره إنما يتابع إحصاء ما يسوءه منه, و يجعل الواحدة من ذلك بجوار أختها ؛ فهو كالراقع الثوب.

أمّا (لَضْم الإبرة) فهو وصلها بخيط[٤٥٤]. فالأصل "لَدْم" بمعني وصل المتقطّع , أو معالجة الثوب اللّدِيم , و هو الخَلَق ؛ و ذلك برقْعه. لكن صارت الدال علي ألسنة العامة ضادا ؛ لاشتراكهما في المخرج اللثوي الأسناني. ثم إنها هي الأوضح في الأذن , و الأكثر تصويرا للمعني المراد , علي ما ظنّه الناطقون , فيما أحسب.

و قولهم : "إنّه لَفَظٌّ بَظٌّ" يراد به أنه سيء التعامل , متجهّم عابس. و قد أكّد ذلك بأداتي تأكيد : إنّ , و لام الابتداء قبل الخبر. و الكلمة الأولي قرآنية , وردت في الآية (١٥٩/ آل عمران) : "و لو كنت فَظًّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك". و الفَظُّ : الغليظ الجانب , السيء الخُلُق , الخَشِن الكلام.[٤٥٥]

و "بَظّ" ليست بعيدة البنية و المعني عن "بَظا" التي عرضنا لها في التركيب "خَظَا بَظَا". فقد عرفنا أنها تعني السِّمَن و الاكتناز. و تدل الكلمة التي معنا علي هذا ؛ إذ يقال : "فَظٌّ بَظٌّ : غليظ , و بَظِيظ : سمين ناعم , و أَبَظّ : سَمِن".[٤٥٦]

---

[٤٥٢] يعدّونه باللام.

[٤٥٣] العين / لدم.

[٤٥٤] هذا هو ما يتواءم مع ما تعنيه "لدم" , لكن ما يفهم من التعبير , مستعملا الآن , هو إدخال الخيط في الثقب.

[٤٥٥] القاموس / فظظ. و قال الوسيط : فَظَّ – فَظَظًا و فَظَاظة : قسا و أساء ؛فهو فَظّ , و الفَظّ : الجافي المسيء, ج: أَفْظاظ.

[٤٥٦] القاموس / بظظ.

و قد ذكر صـــاحب القاموس أن الكلمة إتباع. و ربما بدت للبعض غير ذات معني. علي أنَّا وقفنا علي ما لها من دلالة. و قد ذكر القاموس أيضـــا أنه يقال : "بَظَّ المغني : حرّك أوتاره ليهيّأها للضـرب".[٤٥٧] إن الكلمة التابعة تكمل معني سـابقتها , أو تبينه و تدل عليه. و هي بهذا أو ذاك تؤكده. فالفظ عابس متجهم , يبادر المتعاملين معه بما لا يتوقعون. و الكلمة التابعة يشير لازم معناها إلي ذلك.

يبقي القول إن هذه الكلمة التـابعة لا تســمع إلا علي أفواه العامة , يصـفون بها حال غاضـب أو متشـاجر ,عندما تنتفخ أوداجه , أو يتغيّر وجهه.

و التركيب "فَقِهٌ نَقِهٌ" قد و جدت صاحب اللسان يذكر ما يؤيد اقتران كلمتيه ببعضـــهما , لكن ليس علي ســبيل اللزوم. قال: "و كل عالم بشـــيء فهو فقيه. من ذلك قولهم : فلان ما يفقَه و ما يَنْقَه ؛ معناه : لا يعلم و لا يفهم. و نَقِهت الحديثَ أَنْقَهه إذا فهمتـه".[٤٥٨] فالكلمتان مســـتقلتا المعني , تردان منفردتين , و إن اجتمعتا معا هنا لتأكيد دلالة الفهم الدقيق الذي تفيده مادة الكلمة الأولي و تتخصـــص لـه. يقول ابن فارس[٤٥٩] : "الفاء و القاف و الهاء أصـــل واحد صـــحيح , يدل علي إدراك الشـــيء و العلم به. تقول : فقِهت الحديثَ أَفقَهه. و كل علم بشـــيء فهو فَقْه. يقولون : لا يَفْقَه و لا يَنْقَه. ثم اختُص بذلك علم الشـريعة ؛ فقيل لكل عالم بالحلال و الحرام : فقيه. و أَفْقَهتك الشيءَ إذا بيّنته لك".

" و الفِقْه – في الأصـــل – الفهم. يقال أوتِي فلان فِقْها في الدين ؛ أي فهما فيه. قال الله – عزّ و جلّ – "ليتفقّهوا في الدين"[٤٦٠]؛ أي : ليكونوا علماء به. و فقّهه اللهُ. و دعا النبي – صـــلي الله عليه وسلم – لابن عبّاس ؛ فقال : اللهمّ عَلِّمْه الدينَ وفَقِّهْه في التأويل ؛ أي فَهِّمه تأويله ومعناه ؛ فاســـتجاب الله دعاءه... و قد فَقُه فَقَاهة , و هو

---

[٤٥٧] و في الوسيط : بَظَّ العازفُ العودَ ـُ بَظًّا : حرّكه للضرب.
[٤٥٨] اللسان / فقه. و قال في (نقه) : "و فلان لا يَفْقَه و لا يَنْقَه".
[٤٥٩] المقاييس / فقه.
[٤٦٠] الآية ١٢٢من سورة التوبة.

فقيه من قوم فُقَهاء. و الأنثي فقيهة من نسوة فَقَائه... و قال بعضهم : فَقُه الرجلُ فَقَها و فِقْهًا. و فَقِه الشيءَ : علِمه".[٤٦١] و ليس ثمة ما يشير إلي أصل حسّيّ لدلالة المادة إلا ما قد يبدو في وصفهم الفحْل بأنه فَقِيه إذا كان طَبًّا بالضِّراب حاذقًا.[٤٦٢]

و الأصل أن تدل مادة "نقه" علي البُرْء من المرض. ثم إن الكلمة منها تستعار لمثل ما معنا هنا. يقال : "نَقَه من المرض نُقُوهًا : أفاق ؛ فهو ناقِه. و يقولون : نَقِه الحديثَ , مثل فهِم ؛ بكسر القاف فرقا بينه و بين الأول ؛ لأنه إذا نَقِهه فقد برِئ من الشك فيه. قال اللِّحياني : يقال : أَنْقِه لي سمعَك ؛ أي : أَرْعِنِيه ؛ كأنه يقول : حتي تفهم ما أقول".[٤٦٣]

و لا تستعمل الكلمتان في الكتابة , و بخاصة الثانية. و لا يبعد أن يستعملهما المجوّدون من الأدباء.

و لقد حُرّفت كلمة "فَقِيه" - التي تشبه "فَقِه" في أصل المعني – علي ألسنة العامة ؛ لتكون "فِقِيْ". و هي بذلك تشارك كلمة "فَقِه" الوزن , أو البناء المقطعي. علي أنها قد اختزلت دلالتها في الإشارة إلي قارئ القرآن , لا الذي يستنبط الأحكام منه بعد فهمه. و تطلق الكلمة علما علي بعضهم , كما نعلم.

و قولهم : "له من فَرَقه كَصِيص و أَصِيص" مثال لما ليس من الإتباع ممّا يذكر مع نماذجه , و شاهد علي ما لا يلزم أن يقترن من الكلمات لأنه ليس مما لا يستعمل إلا مقترنًا. و لم يشر اللسان إلي ضرورة تلازم الكلمتين. و لعل هذا يؤكد ما قيل أيضا من أن الإتباع لا تكون كلمتاه متعاطفتين , بل متتاليتين. علي أنّا رأيناهم يجعلون مثل التركيب "حِلّ و بِلّ" إتباعيًّا.

و كلمتا "كَصِيص" و "أَصِيص" تتفقان معًا في الدلالة علي الانقباض و الذعر. و تلتقيان في ذلك , و في غيره , و إن استقلت كلتاهما ببعض معانٍ.

---

[٤٦١] اللسان / فقه.
[٤٦٢] اللسان / فقه.
[٤٦٣] المقاييس / نقه.

يقال : كَصّ يكِصّ كَصًّـــا و كَصِـــيصًـــا ؛ أي : انقبض من الفَرَق. و المصدر يدل علي الصوت عامّة. يقال : سمعت كَصِيص الحرب ؛ أي صـــوتها. و قيل : هو الصـــوت الرقيق الضـــعيف عند الفزع ونحوه.

و تتفق الكلمة مع "أَصِـــيص" في الدلالة علي الرِّعدة و الانقباض من الفَرَق , و التحرك و الالتواء من الجهد. و هذا هو السبب في مصـاحبة الكلمة الثانية للأولي في الجملة المحتوية علي (المتتابعين). و لا بد أن نتوقف عند البناء الصـــوتي لكلتا الكلمتين. إنهما تبدوان مصـــورتين للمعني , أو دالّتين عليه , بتكرار صوت الصاد الصفيري , مع توسط الكسرة الطويلة بين صوتي الصـاد. إننا بصـدد إنتاج صـوت يقرب من الصـوت الذي يصـدره الفَزِع الضـــعيف أمام الشـــدة , أو الحرب. و قد نقول أيضـــا إن الصوت يقرب من أن يشبه صوت الحرب. و هو أحد دلالات الكلمة الأولي , كما سبق. فتوالي أصوات الكلمتين يشبه صوت صليل السيوف , و اشتباك أدوات القتال.

و تتفق الكلمتان أيضـا في الدلالة علي قوة الموصوف بهما , أو ضخامته و تلاحم بنيانه. فالكَصيص من الرجال : القصير التارّ. و البناء الأصِيص : المحكم. و يقال : ناقة أَصُوص : شديدة موثَّقة , أو حائل سمينة. قال امرؤ القيس :

فهل تُسْلِيَنَّ الهمَّ عنك شِمِلَّةٌ مُدَاخَلةٌ صُمّ العِظام أَصُوصُ؟[٤٦٤]

و الأَصّ و الإصّ : الأصل. و قيل : الأَصّ : الأصل الكريم. و الجمع آصـــاص. و علي هذا فالبناء الأصـــيص , و الناقة الأَصوص , كلاهما ذو أصل قوي , و أساس متين قام عليه بناؤهما المحكم. و قد أفادت ذلك الصيغة الصرفية , و أضافت إليه قوة في المعني.

---

[٤٦٤] اللسان / أصص , كصص. و قارن بالوسيط. و ربما كان ذكره أن الفعل : أَصّ القومُ بعضهم بعضا أَصًّا : تزاحموا – من معاني (أصّ) التي تلتقي فيها مع (كصّ) في الدلالة علي الخوف و الذعر. ذلك أنه اهتم في تناوله لـ (أصّ) بمعنيي وثاقة الخَلْق و الإحكام , و قد اهتم في تناوله للفعل (كَصّ) و مصدره بدلالتهما علي الذعر و الخوف. و كما ذكر أن الكَصِيص : الصوت الخفِيّ من أثر الخوف و الجزع – ذكر أنه يعني صوت الجراد.

و لا تستعمل كلمتا "كَصِيص – أَصِيص" , علي أنهما تشيران إلي بعض ما يستعمل علي ألسنة العوام و غيرهم.

لعلنا نسمع من يقول لغيره (كِشّ في الولد) مريدًا بذلك إخافته. و الفعل صحيح لغويًّا. يقال : كَشَّ يَكِشّ , و هو من الكَشِيش , الذي هو أول هدير الجمل.[٤٦٥] فهم قد حمَلوا الإخافة و الشدة علي حال الجمل عند هديره. وهو صوت كما نري, كالكصيص الذي سبق أن رأينا أنه يدل علي صوت الحرب , أو صوت الضعيف المذعور. فاختلاف طبيعة الصوت , أو نسبته إلي مصدره متعلقة بإحلال صوت الشين محل صوت الصاد. و لعل مجيء الشين هنا يناسب الهدير , كما يناسب معني آخر للكشِيش , و هو صوت الأفعي من جلدها.

و الإصّ تشير إلي "الأُسّ" بالضم , الشائع استعمالها في مجال دراسة الرياضيات. و هي بمعناها , و هو الأساس , كما جاء في الوسيط. و يجوز في أولها الفتح و الكسر أيضا.[٤٦٦]

و لعلّ دلالة "الأَصِيص" – بفتح فكسر – علي وعاء الزروع والنباتات , تكون للزينة في المسكن , أو غيره – كانت استعمالا جديدا للكلمة , إبّان زمن تدوين اللغة . ففي اللسان : "و الأَصِيص : الدّنّ المقطوع الرأس... و يقال هو كهيئة الجَرّ , له عُروتان , يُحمل فيه الطين. و في الصحاح : ما تكسّر من الآنية, و هو نصف الجرّ أو الخابية , تزرع فيه الرياحين".[٤٦٧]

و "رجل كِفِرِّين عِفِرّينٌ" لا يبتعد معناه عن معني كل من " خبيث نَبِيث – خَبّ ضَبّ – عِفرِيت نِفْرِيت". علي أنه يجمع بين ما تدل عليه جميعا من الخبث و المراوغة و القوة.

---

[٤٦٥] القاموس / كشش.

[٤٦٦] و في اللسان / أسس : " الأُسّ و الأَسَس و الأَساس : كل مبتدأ شيء".

[٤٦٧] و قوله "نصف الجرّ" صحته : نصف الجَرّة ؛ لأن الجَرّ جمع الجَرّة من الخزَف. و أشار في الوسيط إلي المعنيين الأخيرين. و سجل الثاني هكذا : وعاء من الفخار غالبا , تستنبت فيه النباتات. (ج) أَصائص و أُصُص.

قال الليث : رجل كِفِرِّينٌ عِفِرِّينٌ أي عِفريت خبيث. و الكلمة الأولي بمعني الداهي. و هي صيغة يدل بناؤها الغريب علي المبالغة. و هي من التكفير من العبد لمولاه , و من العِلْج للدّهْقان بأن يضع يده علي صدره , و يتطامن له و يخضع وينقاد. و من ذلك ما جاء في الحديث : إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفِّر اللسان. تقول له : اتّق الله فينا ؛ فإن استقمت استقمنا و إن اعوججت اعوججنا. و التكفير أن ينحني الإنسان و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع. و هو أيضا تتويج الملك.[٤٦٨]

و هكذا ندرك أن هذا الوصف – كِفِرِّين – مأخوذ من التكفير الذي يعني الذلة و الانقياد. غير أنه ليس كذلك في حقيقة الأمر ؛ لما يعنيه الفعل "كفَر" أو مادته من الإشارة إلي التغطية و الستر لشيء موجود.[٤٦٩]

و "عِفِرّين" بناء غريب أيضا , قيل باحتمال كونه جمعا سالما لمثل "طِمِرّ" , غير أنه لم يسمع إلا بالياء في قولهم: ليثُ عِفِرِّينَ. و تطلق هذه التسمية مرادًا بها شيئان[٤٧٠] :

- "دويّبة مأواها التراب السهل في أصول الحيطان, تُدَوّر دُوّارة , ثم تندس في جوفها , فإذا هِيجت رمت بالتراب صُعُدًا".
- الرجل الكامل ابن الخمسين.

"و يقال : إنه لأشجع من ليث عِفِرِّين". قيل إنه الأسد, و قيل إنها دابة مثل الحِرْباء تتعرّض للراكب.

و "عِفِرّين : مأسدة. و قيل لكل ضابط قوي : ليْث عِفِرّينَ".

و لعلنا نري مدي تطابق الكلمتين : "كِفِرّين – عِفِرِّين" في الدلالة علي الخداع و المخاتلة , و إن كانت الكلمة الثانية تفيد أيضا معني القوة إفادة واضحة.

---

[٤٦٨] اللسان / كفر.

[٤٦٩] القاموس / كفر. قال : و كفَر نعمة الله و كفر بها كُفُرا و كُفْرانا : جحدها و سترها.

[٤٧٠] اللسان / عفر , و عنه ما يلي أيضا.

و لم يشـــر اللســـان إلي كون "كِفرّين عِفِرّين" من نماذج الإتباع.

و أورد اللســـان أنه يقال : شَـــفَة كاثِعة باثعة ؛ أي : ممتلئة غليظة , علي أنه قد يكون الأقرب أن تتبادل الصفتان الموقع ؛ و هو ما جاء في المزهر[٤٧١] ؛ لأن "البَثَع" هو صـفة الشـفة , و اللّثَة , الكثيرتي اللحم , و الدم. و البَثَع : ظهور الدم في الشـفتين و غيرهما من الجسد.

و تدل مادة "كثـــع" علي السُّمك و الغِلَظ ؛ فمن أجل ذلك جاءت صيغة فاعل المؤنثة منها مزاوجة لـ"باثعة" هنا.[٤٧٢] فالكَثَعَة : الطين , و الكَثْعة و الكُثْعَة : ما علي اللبن من الدَّسَم و الخُثُورة , و كَثَعت الغنم كُثُوعا : استرخت بطونها ؛ فسَلَحت و رقّ ما يجيء منها , و قيل : استرخت بطونها فقط. فكل هذه المعاني تدل علي الثخانة و الغِلَظ , أو التراكم , و ما قد يستتبعه. و هذا يجعل وصف الشفة الممتلئة دمًا , أو الغليظة بأنها كاثعة مقبولا. و لذا يقال : " كَثَعت اللّثةُ و الشـفَةُ تَكثَع كُثُوعًا , و كثِعت: كثر دمها حتي كادت تنقلب. و قيل : كَثَعَت الشفةُ و اللّثةُ: احمرّت أيضا. و شفة كاثِعة باثِعة ؛ أي ممتلئة غليظة".[٤٧٣]

و الكلمتان غريبتان , و غير مستعملتين.

و "مُخْرَنطِمٌ مُبْرَنْطِمٌ" يشبه ما سبق من قولهم : "عابس كابس". غير أن معني التركيب الذي معنا أكثر دلالة علي غضب الموصوف به ؛ لما تشير إليه كلمتاه من ظهور آثار ذلك واضحة علي الوجه ؛ فتبدو أنفه مرفوعة , و شفتاه منتفختين ؛ مما يدل علي الاستياء.

---

[٤٧١] ١/ ٤٢٤, وكان ذلك فيما نقله عن الصحاح.
[٤٧٢] لم يشر اللسان إلي أن التركيب من الإتباع.
[٤٧٣] اللسان / كثع.

و الكلمتان اسـما فاعل من الفعلين "اخْرنْطَم – ابْرَنْطَم" بمعني : رفع أنفه و استكبر و غضب – انتفخ غضبا. و الخُرْطوم : الأنف , أو مقدَّمه.[٤٧٤]

و قد وردت "الخرطوم" بهذا المعني في قوله – تعالي – (١٦/ القلم) : "سَنَسِمُه علي الخُرطوم" في ذمّ الوليد بن المغيرة و توعّده.

و جاء بناء الكلمتين في التركيب مزيدا علي "افْعَنْلل", و هو رباعي في الأصل[٤٧٥] ؛ لإفادة المبالغة في حدوث الفعل.

و يشيع علي الألسنة وصف الغاضب أو المَغيظ بأنه (يبرْطَم) , يعنون أنه يتَمتِم بما لا يفهم. و هو تجوّز واضح ؛ فشفته الممطوطة من الغضب هي أداة التمتمة.[٤٧٦]

و "ناقة مِسياعٌ مِرْيَاع" أي : تذهب إلي المرعي و تعود. و قد رأينا دلالة مادة "سيع" علي الإضاعة , و ذلك عند التعرض للتركيب" مُضيع مُسِيع" في القائمة (ب).

و قد جاء أن الناقة المِسْياع هي التي تدع ولدها حتي تأكله السباع. علي أن هذا المعني غير مقصود هنا , بل التي تذهب في المرعي.[٤٧٧]

و هي مِرْياع. و هي صيغة مبالغة مثل سابقتها , من راع يَرِيع , إذا نما و زاد و رجع. و لذا فالناقة المِرْيَاع هي التي تذهب في المرعي و ترجع بنفسها.[٤٧٨] و يلاحظ أن الفيروزآبادي ساق هذا المعني للكلمة مع آخرين عاطفا بينها بالحرف "أو" ؛ و هو ما قد يشي بالتردّد في الجزم بها أو ببعضها.

---

[٤٧٤] القاموس / برطم , خرطم. و الوسيط / خرطم.

[٤٧٥] و إن كان الفعل : خَرْطَم بمعني : ضرب الخرطوم (الأنف).

[٤٧٦] في الوسيط أن الفعل "بَرْطَم" يعني : اغتاظ ,و- انتفخ و أدلي شفتيه من الغضب, و- فلانا : غاظه. و تبرْطم : تغضّب من كلام.

[٤٧٧] و القاموس / سيع.

[٤٧٨] القاموس / ريع. وذكر للمِرْياع معنيين آخرين , هما : السريعة الدِّرّة , أو السريعة السِّمن.

و الجملة : "تركتهم هَتّـًا بَتًّا" تفيد أنهم صـــاروا إلي حال ســيئة من ضـــعف القوة , أو فقدها. و الهَتّ و الهَتهتة : الوطْء الشـديد حتي الكسـر. و الهَتّ: كسـر الشـيء حتي يصـير رفاتا. و في الحديث : أقلعوا عن المعاصـــي , قبل أن يأخذكم الله؛ فيدعكم هتًّا بَتًّا.[٤٧٩] و قد عقب في اللسان بالإشارة إلي أنه يقال : هَتَّ ورق الشجر , إذا أخـذه , و أنّ البَـتّ : القطع. قـال : أي قبـل أن يـدعكم هلكى مطروحين مقطوعين.

و قد جاءت "هَتًّا" مصـــدرا في موضـــع الحال , و جاءت تابعتها تؤكد معني الكسـر ؛ لالتقاء معناها به. كذلك فإن "الباتّ" هو المهزول الذي لا يقدر أن يقوم.[٤٨٠] و هذا المعني يؤكد ما ذكرناه عن المراد بالتركيب "هتًّا بَتًّا".

و لم يشر اللسان إلي كون هذا التركيب من الإتباع. و ما ذلك إلا لكون الكلمتين تسـتعملان منفردتين , ذواتي معنيين مسـتقلين , و إن كانا متقاربين مما ســمح بتصـــاحبهما ؛ للدلالة القوية علي معني الضـــعف الشـــديد. و لعل من غير المبالغة الإشـــارة إلي ما لتوالي الكلمتين من إيحاء صوتي بالمعني.

و تعرف لغة الكتابة التعبيرين :

- بَتَّ في كذا ؛ بمعني : أبدي الرأي , أو فصل في الشيء.
- لا أفعل كذا بتاتًا , و قد يستعمل المجوّدون : "البتّة".

و يسـتعمل العامة الكلمتين مقترنتين , لكن مفكوكتي الإدغام ؛ فيقولون (هتَتَـك بتَتَـك) لمـا يقرب من المعني نفســـه الـذي ذكرنـاه للتركيب في الفصـيح ؛ إذ هم يعبرون به عن شـدة العقوبة بالضـرب. كذلك يســـتعملونه للدلالة علي الإقبال النهِم علي الطعام. و واضـــح وجه المناسبة بين هذا الاستعمال و معني الكلمتين.

---

[٤٧٩] اللسان / هتت.

[٤٨٠] اللسان / بتت.

و شـــائع أن يقال هو (يتَهتِه) ؛ في وصـــف المتردّد في نطقه الأصـــوات. و هو صـــحيح. و يقال أيضـــا : يُهَتْهِت , كما جاء في اللسان.[٤٨١]

و "هَذِرٌ مَذِرٌ" ليس من الإتباع أيضـــا , أو هو لا يلزم فيه تتابع الكلمتين , و إن كان ذلك يقوي المعني , و يضيف إليه.

إن الكلمتين وصـفان يدلان علي فسـاد الشـيء , و إن غلب اســتعمال كليهما في حقل بعينه. فالأولي في مجال الكلام , و الثانية تستعمل في غير ذلك ؛ إذ توصف بها البيضة الفاسدة , و كذلك النفس و المعدة , و الجَوْزة.[٤٨٢]

جاء في اللســان[٤٨٣]: "الهَذَر : الكلام الذي لا يُعبَأ به. هَذَر كلامُه هَذَرًا : كثر في الخطأ و الباطل. و الهَذَر : الكثير الرديء. و قيل : هو سَـقَط الكلام. هَذَر الرجل في منطقه , يهذِر و يهذُر هَذْرًا ؛ بالسـكون , و تِهْذارا – و هو بناء يدل علي التكثير- و الاسـم الهَذَر ؛ بالتحريك , و هو الهَذَيان, و الرجل هَذِر ؛ بكســر الذال ... و رجل هَذِر و هَذُر و هُذَرة و هُذُرَّة ... الأزهري : يقال : رجل هُذَرَةٌ بُذَرةٌ".

إذن ســقط الكلام , أو الكلام الخاطئ , و الهذيَان , كل ذلك فسـاد ؛ فناسـبه أن يوصـف بأنه مَذِر. و قد سـبق أن عرضـنا للفعل "مَذِر" في دراستنا للتركيب "شذَرَ مَذَرَ".

و يسـتبدل العامة صـوت الزاي في الفعل "هَذَر" بصـوت الذال , و ذلك بعد أن يجعلوه رباعيا بتضـعيف وسـطه ؛ فيقولون: (هزّر بِهزّر).

جاء في اللســان[٤٨٤]: "رجل هُلَعَةٌ مثل هُمَزَة , إذا كان يَهْلَع و يجزع و يسـتجيع سـريعا ... ابن الأعرابي : الهَوْلَع : الجَزَع. و ذئب

---

[٤٨١] في (هتت) : "و الهَتْهتة من الصوت : مثل الهَتيت. الأزهري :الهتهتة و التهتهة أيضا في التواء اللسان عند الكلام". و كان ذكر أن الهَتِيت مصدر هَتّ البَكْرُ يَهِتّ , و الهَتّ : شبه العصر للصوت.

[٤٨٢] القاموس / مذر.

[٤٨٣] هذر.

[٤٨٤] هلع.

هُلَعٌ بُلَعٌ ؛ الهُلَع من الحِرْص ؛ أي الحريص علي الشيء , و البُلَع من الابتلاع". و كان ذكر أن "الهَلَع : الحِرْص. و قيل : الجزع و قلة الصبر. و قيل : هو أسوأ الجزع و أفحشه. هَلِع يَهْلَع هَلَعًا و هُلُوعًا ؛ فهو هَلِعٌ و هَلُوع ... و رجل هَلِع و هالَع و هَلُوع و هِلْوَاع و هِلْواعة : جَزُوع حَرِيص. و الهَلَع : الحُزن , تميمية. و الهَلِع : الحزين. و شُحٌّ هالِع : محزن. و في التنزيل : "إنّ الإنسان خُلِق هَلُوعًا"[٤٨٥]. قال معمر و الحسن : هو الشَّرِه. و قال الفرَّاء : الهلوع : الضَّجور".

لعلنا نكون بإزاء تفسير لمعني "هُلَعَة" و صفًا لأحدهم ؛ باستعمال الوصف "بُلَعَة" ؛ إشارةً إلي فعل هذا الموصوف , أو إلي أنه ممّن يظَن بهم الاتصاف بما يقرب بهم من هذا. و ليس ثمّة إتباع هنا.

و قد ذكر اللسان أنه يقال : "رجل بُلَعٌ و مِبْلَعٌ و بُلَعَةٌ إذا كان كثير الأكل".

و البناء الصوتي لكلمتي "هائعٌ لائعٌ" أو "هاعٌ لاعٌ" فيه إشعار بالمعني المراد , و هو الوصف بالجبن. فكأن الكلمتين تمثلان صوت خائف منزعج. و لا بد أن نشير إلي أن "التهوّع" يعني التقيّؤ , أو ما يشبه صوته[٤٨٦]. و قد تكون الصيغة الثانية للتركيب أقرب إلي هذه المحاكاة الصوتية ؛ لاختصار بنيتها.

و تدل مادة "هيع" علي شدة الصوت , و الوضوح الشديد و الانبساط. و المعنيان الأخيران يمكن أن يكونا ممّا يوصف به الصوت الشديد ؛ فهو بيّن غير خافت , بل فوق القدر المُسمِع , و هو يُسمَع في مساحة واسعة.

فـ "الهَيْعة : صوت الصارخ للفزع. و قيل ... الصوت الذي تفزع منه , و تخافه من عدوّ. و به فسر قوله – صلي الله عليه و سلم

---

[٤٨٥] ١٩/ المعارج.

[٤٨٦] قيل في التعليل لميل بعض العرب إلي تخفيف الهمزة أو عدم تحقيقها – إن النطق بها بشبه التهوّع.

- : خير الناس رجل ممسك بعِنان فرسه في سبيل الله , كلما سمع هَيْعَة طار إليها. قال :و أصل هذا الجزع. و منه الحديث : كنت عند عمرَ ؛ فسمع الهائعة ؛ فقال : ما هذا؟ فقيل : انصرف الناس من الوِتْر , يعني : الصياح و الضجة".[٤٨٧]

إذن فدلالة المادة علي شدة الصوت اتخذت سببا للدلالة علي الجزع والجبن. و هو ما رأيناه فيما مضي. و استعمل الطّرِمَّاح الفعل "تهِيع" للدلالة علي الجزع في البيت :

أنا ابن حُماة المجد من آل مالك إذا جعلت خُورُ الرجال تَهِيع

و قال ابن منظور : "و هاع الشيءُ يَهِيع هِيَاعًا : اتسع و انتشر. و طريق مَهْيَعٌ : واضح واسع بيّن...و تَهَيَّع السرابُ , و انهاع انهِيَاعًا : انبسط علي الأرض".

و قال : "و رجل هائع لائع , و هاعٌ لاعٌ , و هاعٍ لاعٍ؛ علي القلب – كل ذلك إتباع ؛ أي جبان ضعيف جزوع. و امرأة هاعة لاعة". علي أنا نجده يقول : "و رجل هاعٌ لاعٌ , فهَاعٌ: جَزوع , و لاعٌ : موجَع. هذه حكاية أهل اللغة , و الصحيح متوجع ؛ ليعبر عن فاعل بفاعل. و ليس لاع بإتباع ؛ لما تقدم من قولهم : رجل لاعٌ دون هاع. فلو كان إتباعا لم يقولوه إلا مع هاع".[٤٨٨] و هكذا نقف علي الاضطراب في عدّ التركيب من الإتباع أو عدم عدّه منه. و كان ذكر أنه يقال : رجل لاعٌ و قوم لاعُون و لاعَة , و امرأة لاعة كذلك. و هو من اللوْعَة [٤٨٩], و هي تعني : وجع القلب من المرض و الحب و الحزن , أو حُرقة الحزن و الهوي و الوَجْد. يقال : لاعه

---

[٤٨٧] اللسان / هيع. و معاني الضجَر و سوء الحِرْص مع الضعف (يقال : هاع يَهَاع هَيْعَة و هاعا) و الحيْرة – كلها ذات صلة بالجزع و الجبن. و قد ذكر ابن منظور أنه يقال : "و هاع الرجلُ يَهِيع و يَهاع هَيْعًا و هَيَعانا و هاعًا و هَيْعة (الأخيرة عن اللحياني) : جاع ؛ فجزع و شكا. و قيل : الهاع : التجرّع علي الجوع و غيره". فالفعل "هاع" إنما دل علي الجوع المفضي إلي الجزع.

[٤٨٨] اللسان / لوع.

[٤٨٩] قال : "اللاعة و اللوْعة : ما يجده الإنسان لولده و حميمه من الحُرقة و شدة الحب". و ذكر الوسيط التركيب للمذكر و المؤنث دون الإشارة إلي أنه من الإتباع.

الحـبُّ يَلُوعـه لَوْعًـا ؛ فلاَع يَلاع , و التـاع فؤاده ؛ أي احترق من الشوق.[٤٩٠]

و تـدل المـادة علي الجزع , وعلي الجوع وغيره. و يقال: لِعْت لَوْعًا و لاعًا و لُوُوعًا كجزِعت جزَعًا. و هكذا نقف علي مدي قربها من المادة "هيع" , و هو ما سـوّغ تكوّن التركيب موضـع الدراســة هنـا. علي أنّ من الجائز القول إن "لوع" تدل علي معني الجزع دلالة مباشـرة , أو هي أكثر لصـوقا بهذه الدلالة المعنوية من مـادة "هيع". و يحتمل أن يكون المتكلمون قد توســلوا بدلالـة المـادة الأخيرة علي شدة الصوت ؛ للتعبير عن هذا المعني. و ربما كان ذلك هو السبب في الجمع بين كلمتي "هائع – لائع".

و تعرف لغة الكتابة و الأدب كلمة "لَوْعة". و ربما اسـتعملت كلمة "مُلتاع" أيضـا.

و "الهِيَاط" و " المِيَاط" كلاهما مصـدر بمعني تعاطي الشـيء و علاجه في جلبة و ضجيج.

فالهَيْط و الميْط , و الهِيَاط و المِيَاط : الدفع و الزجر, أو الضِّجَاج و الشر و الجَلَبة. قال الفرّاء : الهِياط : أشد السَّوْق في الوِرْد , و المِيَاط : أشـد السـوق في الصـدْر. و يوافقه تفسـيرهما بالإقبال و الإدبار , أو اجتماع الناس للصلح و التفرق عنه.[٤٩١]

و يقال : "و قع القوم في هِيَاط و مِيَاط , و تهايط القومُ تهايطًا , إذا اجتمعوا و أصــلحوا أمرهم , خلاف التمايُط. و تمايطوا تمايطا : تباعدوا و فسد ما بينهم".[٤٩٢]

و يبدو أن الذي يجمع بين الكلمتين كونهمـا حركتين ذواتي قوة و وقع صــوتي , علي أنهما متضــادتان في اتجاه حركتهما , كما سبق. علي أن اقترانهما في مثل التعبير السـابق , له دلالته الواضـحة , و هي النزاع أو الشرّ , أو الجلبة والضجة, علي أقل تقدير.

---

[٤٩٠] اللسان / لوع..
[٤٩١] اللسان / هيط , و ميط.
[٤٩٢] السابق.

و لم يشر اللسان إلي أن اقتران الكلمتين هنا من الإتباع. و لا غرو فهما متعاطفتان , ثم إنهما ذواتا معني مستقل, علي ما رأينا , و إن التقتا في طبيعة هذا المعني.

و يقرب من "الهَيْط" كلمة "الهَيْص" ؛ بمعني : العنف بالشيء , و دقّ العنُق. و روي عن أبي عمرو : "هَيْص الطير: سَلْحه. و قد هاص يَهِيص هَيْصًا , إذا رمي. و قال العجَّاج :

* مَهَايِص الطير علي الصُّفِّيّ *

أي مواقع الطير ... و مَهَايِص جمع مَهِيص".[٤٩٣]

فـ "هَيْص" تدل علي صوت , ثم علي العنف - بل ما هو أكثر منه (وهو دقّ العنق) - و هذان هما ما تدل عليه "هَيْط". و الصاد لثوية أسنانية (أو لثوية) ؛ فهي من مخرج الطاء , أو من مخرج مجاور له. و هما مطبَقَتان , غير أن الصاد رخوة (احتكاكية) و الطاء شديدة (انفجارية). و هكذا فُصِل بين الكلمتين بالمغايرة بينهما في الصوت الثالث ؛ لتستقل كل منهما بدلالاتها , و مجالات استعمالاتها , و إن ظلت بنيتهما الصوتية تشهد لما بينهما من وشائج.

و يشيع علي ألسنة العوام استعمال كلمة (الهِيصة) يريدون بها معني : الضجة , و قد يريدون ما هو أكبر من هذا كشجار أو عنف. و هي كما رأينا من "الهَيْص".[٤٩٤]

و كلمة "وَتِح" من التركيب "وَتِحٌ شَقِن" بمعني : قليل العطاء. و قد سبق أن عرضنا لكلمة "شقن" في دراستنا لما لم يرد في المعجم الوسيط. و عرفنا هناك أن المادة لم ترد في العين. ورأينا ابن فارس يذكر أن معني "الشَّقن" قلة العطاء , و أنه يقال : شَقَن العطيَّةَ إذا قلّلها. علي أنه يسبق ذلك بقوله : يقولون. فهل يفيد ذلك تشككه فيما يرويه؟ و يأتي ابن منظور ليسوّي بين الشَّقْن و الوَتَح. و

---

[٤٩٣] اللسان / هيص.

[٤٩٤] و قد ترجع (الهيصة) إلي "الهَيْث" مصدر "هاث القوم يهيثون" إذا دخل بعضهم في بعض. و ربما رجعت إلي "الحَيْصة" مصدر :"حاص عنه يَحِيص حَيْصًا و حَيْصةً و حُيُوصًا و مَحِيصًا و مَحَاصًا و حَيَصانا : عَدَل و حاد , كانحاص , أو يقال للأولياء : حاصوا , و للأعداء : انهزموا".(القاموس). و قد عرضنا للفعل "هاث" عند دراسة تركيب "حيص بيص" في المجموعة (أ).

لم نجد إلا مادة ضـئيلة الحجم , و إن كان ذكره لأكثر من صـيغة للوصـف من الكلمة[٤٩٥] , و كذا أكثر من فعل منها[٤٩٦] و ذكر قرينتها في الصيغة الإتباعية – كل ذلك يزيل ما قد يداخلنا من الشك في أمر الكلمة أو المادة , علي أنها تظل غريبة قليلة الاستعمال ؛ لعدم الاستفاضة في عرضها.

و صاحب اللسان يوجز أيضا في عرضه مادة "وتح" ؛ إذ يذكر أن "الوَتْح : القليل التافه من الشيء. و رجل وَتِيْح : خسيس. و طعام وَتْيٌ : لا خير فيه. الوَتِيح : الوَتَيْح".

علي أن الوسيط الذي أهمل مادة "شقن" اهتم بعرض هذه المادة عرضا وافيا منظَّما. يقول : "وَتَح عطاءَه يَتِحه وَتْحًا و تِحَةً : أقلَّه. وَتُح العطاءُ يَوْتُح وَتاحةً و وُتُوحةً و وِتْحَةً : كان قليلا تافها. أوْتَح فلانٌ : قلّ مالُه , و – فلانًا : جَهَده و بلغ منه , و – عطاءَه : وَتَحه. و وَتَّح عطاءَه : وتَحه. تَوَتَّحَ الشرابَ و منه: شربه قليلا قليلا".

و أفادنا اللسان ذهاب بعضهم إلي كون الإتباع إنما هو "قليل شَقْن"[٤٩٧] و نفي ذلك علي بن حمزة قائلا : "لا وجه للإتباع في شَقْن ؛ لأن له معني معروفا في حال انفراده. قال الراجز : * قد دَلِهَت نفسي من الشَّقْن *"[٤٩٨]

و الكلمتان غريبتان , لا تستعملان في لغة الكتابة , علي أن الفعل "وَتَّح" يسمع من العامة ؛ إذ يقولون لمن لا يرغبون في بقائه معهم (وَتَّحه). و هنا نجدهم قد جعلوا المفعول هو الشخص لا العطاء , كما رأينا في الوسيط. و هم أيضا توسعوا في معني الفعل ؛ فجعلوه

---

[٤٩٥] قال : شيء شَقْنٌ و شَقِنٌ و شَقِين : قليل. كذا ذكر المصدر في روايته عن الكسائي: قليل شَقْن , و وَتْح و بيّن الشُّقُونة و الوُتُوحة.

[٤٩٦] قال : "قد قلّت عطِيّتُه و شَقُنت ؛ بالضم , شُقُونة , و أشقنتها , و شقنتها أنا شَقْنًا. و أَشْقن الرجلُ : قل مالُه.

[٤٩٧] لم يذكر التركيب الذي نحن بصدد دراسته , و هو "وتح شقن".

[٤٩٨] اللسان / شقن. و دَلِه ؛ كفرِح : تحيّر , أو جُنّ عِشقا أو غَمّ ًا , و كمنع : سلا. عن القاموس. و أشار أيضا إلي أن الزَّلَه : التحير. و قد جاء منه الفعل في أول هذا البيت المستشهَد به في أول مادة (شقن) باللسان :

و قد زَلِهت نفسي من الجَهْد و الذي أطالبه شَقْنٌ و لكنه نَذْل

للتخلص من الشخص , أو صرفه ؛ لتعلق ذلك بالعطاء. و قد و افق اختيارهم للفعل الدقة في التعبير عما بالنفس تجاه مثل هذا الشخص ؛ إذ دلالة الفعل تعني أنه لا يستحق كبير اهتمام.

و التركيب "وَعِقٌ لَعِقٌ" ذكره اللسان بهذه الصيغة وصفًا للرجل الحريص الجاهل , أو يقع في الأمر بسبب جهله. و ذكر أيضا أنه يقال : رجل وَعْقة لَعْقة للنكِد اللئيم الخُلُق. قال : و يقال وَعِقَة. و قيل : الوَعِق : العَسِر. وأشار اللسان إلي كون التركيب بصيغتيه من الإتباع[٤٩٩]. و الكلمة الأولي وصف من الفعل "وَعَق يَعِق" , جاء علي "فَعِل" أو "فَعْل" أو "فَعْلة" بزيادة تاء المبالغة. و بدأ اللسان المادة بذكر التركيب و معناه , ثم حدثنا أن الوَعِيق و الوُعَاق : صوت كل شيء , ثم جعل يعرض لما قيل حول ارتباط الكلمتين ببعض المعاني الخاصة بالدواب أو الخيل.

و الصفة "أَعِق" تبدو غريبة بعض الشيء لطبيعة بنيتها , و قد تستغرب لاقترانها بالكلمة السابقة , مع أنها ما جاءت في إثرها إلا لتزيل غموضها. و قد عرفنا معني الوَعِق ؛ فهو سيّء الخُلُق عسِر شَرِس. و علي هذا لا بد أن يكون كثير الاشتباك مع غيره ؛ فلكأنه في هذا كمن يلعق الآنية!

وهنا لا بدّ من الإشارة إلي قيمة توقّف القدماء عند العلاقة القوية بين معاني تقاليب المادة اللغوية , و هو ما نلحظه واضحا في مادتي الكلمتين. فالوَعِق يلتقي في المعني مع العائق و المعَوّق , و اللّعِق تشير إلي العالق من عَلِق ؛ لكونها تعني – في الحقيقة – عُلُوق اللسان , أو اليد بما يُلعَق.

* * *

إنّ تراكيب الإتباع تمثل أحد أشكال العلاقة الأفقية, التي تتصاحب فيها الكلمات المتجاورة , أو المتباعدة في السياق, كما

---

[٤٩٩] اللسان / لعق , و وعق.

تتصاحب مع ما هو من خارج السياق. و لذا وجب علي الباحثين أن يدرسوا العلاقة الرأسية بين هذه الكلمات المتصاحبة ؛ فتُدرَس علاقة الكلمة بما يرتبط معها في الجذر, و كذلك تُدرَس العلاقة بين كلمات الحقل الدلالي المعيّن , و كذا الترادف و التضادّ و التكامل.[٥٠٠] و قد جاء هذا الجزء الأخير من البحث منضويا تحت هذا النوع من الدرس.

و ربّما صحّ القول إنّ الكثير من كلمات الإتباع , إن لم تكن كلها , ممّا يندرج تحت اللغة لا الكلام[٥٠١], و هو ما يحتّم العمل علي إماطة الغموض عن معانيها , و بيان أصول أبنيتها. و ما ذلك إلا للتغلب علي الغموض المحيط بهذه الترافقات اللفظية , التي حدثت بين الكلمات بطريقة أو بأخري.[٥٠٢]

إنّ أغلب المفردات التي يدرسها هذا البحث , يندرج تحت المجرّدات , و المدرَكات العامّة. و تتميز معاني المفردات الخاصة بهذا الباب بأنها لا تُحَدَّد إلا عن طريق الربط الذهني. "و الظاهر أنّ الكلمات وحدها هي التي تمنح – في كثير من الحالات – هذه المدركات العامة , و تلك الأمور المجردة نوعًا من الوجود المادّيّ ... فليس ثمّة ما يدعو إلي الدهشة – إذن – إذا اختلفت معاني هذه الأمور و المدركات , أو تداخلت في المعاني , أو تضاربت إلي حد بعيد".[٥٠٣] أقول : و لعله يشهد للحديث عن الاختلاف و التداخل و التضارب في تحديد المعاني – ما رأيناه كثيرًا من الاختلاف حول معاني الكلمات الإتباعية.

و لقد عرضنا فيما مضي , غيرَ مرّة , لمدي التطابق, و التباين بين الكلمات. و في ذلك محاولة للوقوف علي لُبّ المعني و

---

[٥٠٠] المصاحبة في التعبير اللغوي , للدكتور محمد حسن عبد العزيز ٦٠.

[٥٠١] و قارن بما في فصول في علم اللغة العام , دي سوسير , ترجمة الكراعين ٢١٦.

[٥٠٢] يقول دي سوسير : " إنّ الكلمة تستطيع أن تثير أو تستدعي كل شيء يمكن أن يترافق معها بطريقة أو بأخري". السابق ٢١٨. و أشار فندريس إلي صعوبة إدراك معاني بعض الكلمات بالاعتماد علي مرافقاتها في السياق , و أرجع ذلك إلي محدوديّة استعمال هذه الكلمات. اللغة٢٥٣.

[٥٠٣] دور الكلمة في اللغة , ستيفن أولمان , ترجمة الدكتور كمال بشر ٨٩.

جوهره , و تبيّن جوانبه الخارجية , التي تبدو غامضة, و غير ثابتة , تتضح من خلال السياق و المقام.[٥٠٤]

إنّ دراســـة الإتباع هذه أوقّفتنا أمام مجموعات من التراكيب و التعبيرات ذات البناء المتميّز , أو اللافت لانتباه المستمع ؛ لما به من طاقة تعبيرية مؤثّرة , تتمثل في بناء المفردات و طبيعتها و معناها المراد تأكيده. كل ذلك يجعلنا بصـــدد درْس أبنية لغوية, يشـــكل استعمالها ملمحا أسلوبيا في الكتابة و الأدب بعامّة. و لعل فيما رأينا من الربط بين كلمات التراكيب الإتباعية ما يشـهد ببراعة المتكلم في المواءمة بين كل اثنين منها, علي ما قد يبدو بينهما من التباعد. و ما ذلك إلا للفت الانتباه بإظهار التميز في الاســتفادة من علاقة الألفاظ ببعضها , و إن اضطررنا إلي اللجوء لما ندر من الصيغ. نقول ذلك بصـــرف النظر عمّا طرأ علي بعض هذه التراكيب ؛ فجعلها غير صالحة للاستعمال الأدبي ؛ فذلك شأن كلمات اللغة و تراكيبها دائمًا ؛ فهي بين شـيوع و ذيوع , و انحســار و خُفُوت , أو أُفول. إنّ "طاقة التعبير – و بها تحدد اللغة – مزدوجة. فمنها جدول تصـــريحي , و منها جدول إيحائي. فأما الأول فيستمد قدرته الإخبارية من الدلالات الذاتية لمجموع الرصيد اللغوي. و أمّا الثاني فيستمدّها من الدلالات الســـياقية , التي تحملها اللغة بكثافات متنوعة عبر اختراقها لطبقات التاريخ و منازل المجتمع".[٥٠٥] و لعل الجانب الإيحائي يكون أكثر وضوحا في استعمال الكلمات التابعة , التي كثيرا ما يحتّم الســـياق الاختيار من معانيها ما يناســـب معني الكلمة المتبوعة.

---

[٥٠٤] و انظر : المرجع السابق ٩٠.

[٥٠٥] الأسلوبية و الأسلوب , للدكتور عبد السلام المسدي٩٤. و انظر أيضا: ٩١ عن أن الأسلوب يحدّد من خلال روابط الألفاظ بعضها ببعض , و ١٠٣حيث الإشارة إلي ربط ريفاتار بين الأسلوب و اللجوء إلي ما ندر من الصيغ.

خاتمة بنتائج البحث

أوقفتنا هذه الدراسة علي ما يأتي :

١- العلاقة الوثيقة بين بعض الكلمات التي تمثل مجموعة, تشترك في بعض المعاني , و يختص كل منها بمعني أو أكثر. و نرجح أنّ من أسباب اللجوء إلي الإتباع إرادة تأكيد معني بعينه من معاني الكلمة المتبَعة بتلك التابعة المختصة بهذا المعني , أو الغالب استعمالها للدلالة عليه ؛ كما في الإشارة للمرأة النصَف بأنها "شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ".

٢- تقترب بعض الجذور من البعض الآخر فيما تدل عليه من معانٍ عامّة , علي ما رأينا في : عرجن – علجن – علجم ؛ إذ تلتقي في الدلالة علي الكثرة و التراكب و الاكتناز.

٣- يطلعنا الوقوف علي العلاقات الصوتية و المعنوية بين بعض الجذور علي سبب الاختلاف في نطق بعض الأصوات , أو تعدد صور نطقها , علي ما نراه في نطق القاف جيما قصية أو قاهرية. و مثال ذلك ما نجده في العلاقة بين جذري "علقم – علجم". (عرضنا لهذا في تناول التركيب : ناقة عَلجَم خَلْجَم).

٤- تعدد الكلمات , أو التراكيب , التي تدل علي معني واحد , راجع – في الغالب – إلي اختصاص كل منها بجهة , أو بلهجة معينة. و يرجح ذلك وجود الاختلاف الصوتي بين هذه الكلمات , أو التراكيب.

٥- كثيرا ما كانت الكلمات التابعة بمثابة مفردات قديمة , نجد بعضها مشتركا بين العربية و بعض أخواتها الساميَّات.

٦- كما كان غموض المعني من وراء غرابة كثير من مفردات تراكيب الإتباع , فإن من وراء ذلك سببا آخر, يتمثل في التصحيف. وقد أدّي ذلك إلي تعدد صور بعض المفردات , مثل ما رأينا في ""حَشْل" و "خَشْل" , و "شنَّغم" , و "حقِرت نَقِرت" علي ما ذكر في "المزهر". و هذا الأخير ربما يكون متأثّرا في كتابته بالكتابة

المصحفية. فالأصل : حَقِرَةٌ نَقِرَةٌ , لكن كتبت التاء علي اعتبار الوقف عليها , و نطقها وقفًا و وصلاً.

٧- اعتني اللغويون قديما بتصـــنيف الثروة اللفظية و رصـــد ظواهرها , و أبرز ملامحها. ومثّل تلازم بعض الكلمات مع أخري , يجمع بينها وحدة المعني أو تقاربه , عن طريق الإتباع بالتوكيد أو الوصـــف أو العطف – واحدًا من هذه الظواهر. و قد حظي هذا الصنف من المفردات باهتمام أصحاب المعجمات جميعا ؛ فذكر كلٌّ ما أُتيح له أن يذكر منها. و قد رأينا اهتمام المعجم الوســـيط للمجمع اللغوي القاهري بهذا.

٨- مرّت صيغ الإتباع بمراحل ثلاث:

- أولاها : وضـوح التمايز بين كلمتي الإتباع , أو بين التابع و متبوعه. و نرجح أن هذه التراكيب الإتباعية كانت تمثل حينئذٍ ظواهر للازدواج , الذي يعرض له البلاغيون , و الذي جمع ابن فارس كثيرا من نماذجه في كتابه "الإتباع و المزاوجة". و يندرج تحت تلك الطائفة بعض تراكيب الإتباع التي يعطف فيها التابع علي متبوعه.

- المرحلة الثانية : و فيها كاد التابع أن يفتقد معناه لولا ذكر متبوعه. و نســـتطيع أن نمثل له بهذه النماذج الإتباعية المختلف فيها بين اللغويين حول كون اللفظـة الثانيـة إتبـاعًـا , أو ذات معني مستقل.

- المرحلة الثالثة : و هي التي نجد فيها ضـــعف الحضـــور اللغوي لجذر المفردة التابعة , حتي إنها لا تكاد تذكر في المعجم إلا لهذا المعني الذي استعملت فيه إتباعًا لسابقتها.

و هنـاك بعض النمـاذج التي لا تعدو الكلمـة الثـانيـة – أو التابعة – أن تكون تكرارًا للأولي – أو المتبوعة – مع بعض التغيير للتخفيف من ثقل التكرار , و لمراعاة المماثلة في الوزن. و ثمّة من هذه النماذج ما صار يمثل كلمة واحدة.

٩- من تراكيب الإتبـاع مـا يتطـابق فيـه معني المتبوع و التابع أو يكادان , و منها ما يشـترك فيه الاثنان في بعض المعاني أو أحدها. و لعل هذا هو ما قصـد إليه القالي و غيره بقسمته الإتباع إلي

قسمين : أحدهما يكون فيه الاثنان بمعني واحد ؛ فيكون الثاني مؤكّدًا للأول. و القسم الثاني لا يكون فيه الثاني بمعني الأول. و إلي هذا يرجع السبب في الاختلاف بين أن يكون الإتباع من أسباب الترادف , أو أحد مظاهره , و بين أن لا يعد من الترادف.

فهو من الترادف بالنظر إلي كون الكلمتين بمعني واحد. كذلك إذا كانتا بمعنيين متغايرين , فإنهما سيؤول أمرهما إلي التطابق لغموض معاني الكلمات التابعة ؛ إذ لن يلتفت إلي أصولها , مع مرور الزمن , إلا المدقّقون وحدهم.

و لا يعد الإتباع من الترادف بالنظر إلي القسم الأول , و بخاصة ما كان التابع فيه تكرارًا , أو شبه تكرار , أو فقد دلالته الخاصة به , أو كاد. و هو لا يعد ترادفا بالنظر إلي تغاير المعني بين التابع و متبوعه , و استقلال الأول بمعانٍ خاصة به.

علي أنّ الراجح أنّ الإتباع من الترادف , في غير ما غمض فيه معني الكلمة التابعة , أو فقدت شيوع الاستعمال في غير تراكيب الإتباع.

١٠- أوقفتنا هذه الدراسة علي أصول بعض المفردات الشائعة الاستعمال. و بعضها مما يستعمله العامة. و قد عرفنا أنّ من هذا الأخير ما كان فصيحا في حقب ماضية.

المصادر و المراجع

١ - الإتباع و المزاوجة , لأحمد بن فارس. تحقيق كمال مصطفي , مكتبة الخانجي بمصر و المثني ببغداد.

٢- أثر الأصوات في القراءات و النحو العربي , للدكتور عبد الصبور شاهين , ط. أولي بالخانجي ١٩٨٧.

٣- أدب الكاتب ,لابن قتيبة. شرح علي فاعور , دار الكتب العلمية ببيروت ط. أولي ١٩٨٨.

٤- أساس البلاغة , للزمخشري.ط. ٣ بالهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.

٥- الأصمعيات , بتحقيق شاكر و هارون , ط. خامسة بدار المعارف.

٦- الأصوات العربية , للدكتور كمال بشر , مخطوط علي الآلة الكاتبة ١٩٧٩/٧٨.

٧- الأصوات اللغوية , للدكتور إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو ١٩٩٠.

٨- الألفاظ الكتابية , لعبد الرحمن بن عيسي الهمذاني , بتحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب , ط. أولي , دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩١.

٩- الأمالي , لأبي علي القالي , نشر دار الكتاب العربي ببيروت.

١٠ - البارع , لأبي علي القالي , تحقيق هاشم الطعّان. مكتبة النهضة ببغداد ودار الحضارة العربية ببيروت٧٣- ١٩٧٤.

١١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة. شرحه و نشره السيد أحمد صقر١٩٧٣.

١٢ - الترادف في القرآن الكريم بين للنظرية و التطبيق , للدكتور محمد نور الدين المنجد , ط. أولي , دار الفكر بدمشق١٩٩٧.

١٣- التكملة و الذيل و الصلة , للصغاني. نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧١ – ١٩٧٩.

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس , للزبيدي , نسخة عن موقع المكتبة الشاملة.

١٥- تاج اللغة و صـــحاح العربية , للجوهري , تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ط. رابعة ١٩٩٠, دار العلم للملايين ببيروت.
١٦- الجامع لأحكام القرآن , للقرطبي , ط. دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٢.
١٧- جمهرة اللغة , لابن دريد.(مكتبة مشكاة الإسلامية).
١٨ - الخصائص , لابن جنّي , بتحقيق محمد علي النجار, ط.٣ , عالم الكتب ببيروت ١٩٨٣.
١٩- دروس في علم اللغة العام , لفيردينان دوســيســير , بترجمة د.أحمد نعيم الكراعين. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٥.
٢٠- دور الكلمة في اللغة , ســتيفن أولمان , ترجمة الدكتور كمال بشر , مكتبة الشباب ١٩٧٥.
٢١- ديوان امرئ القيس , دار صادر ببيروت.
٢٢- ديوان حافظ إبراهيم , تحقيق ممدوح الشــيخ , مكتبة جزيرة الورد ٢٠٠٨.
٢٣ - ديوان المتنبّي , بتحقيق د. خفاجي , الســحار , د. عبد العزيز شرف. مكتبة مصر ١٩٩٤.
٢٤- ذيل الأمالي و النوادر , للقالي , ط.ثانية بدار الكتب المصــرية بالقاهرة ١٩٢٦.
٢٥- شرح كافية ابن الحاجب , دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٥.
٢٦- الشوقيّات , تقديم و تحقيق ممدوح الشيخ. ط. دار كنوز المعرفة ٢٠٠٨.
٢٧- الصــناعتين , لأبي هلال العســكري , تحقيق البجاوي و أبي الفضــل إبراهيم , ط. المكتبة العصــرية بصــيدا و بيروت ٢٠٠٤.
٢٨- الصــاحبي في فقه اللغة وســنن العرب في كلامها , لأحمد بن فارس , تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع.ط. أولي بمكتبة المعارف ببيروت ١٩٩٣.
٢٩- الطراز , ليحيي بن حمزة العلوي , مطبعة المقتطف بمصــر ١٩١٤.

٣٠- العباب الزاخر و اللباب الفاخر, للصغاني . نسخ و ترتيب مكتبة مشكاة الإسلامية.
٣١- العربية , دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب, يوهان فك , بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب. الخانجي ١٩٨٠.
٣٢- علم الاشتقاق نظريا و تطبيقيًّا , للدكتور محمد حسن جبل , نشر مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٢.
٣٣- علم لغة النص , النظرية و التطبيق , للدكتورة عزة شبل محمد , ط.ثانية بمكتبة الآداب ٢٠٠٩.
٣٤ - الغريب المصنّف, لأبي عبيد القاسم بن سلاّم. تحقيق الدكتور محمد المختار العبيدي , نشر المجمع التونسي للعلوم و الآداب , و دار سحنون بتونس , ط. أولي بالقاهرة ١٩٩٦.
٣٥- فقه اللغة و أسرار العربية , للثعالبي , تحقيق عزت زينهم عبد الواحد , مكتب الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٨.
٣٦- كتاب سيبويه , بتحقيق هارون. الجزء الثالث , ط. الخانجي بالقاهرة.
٣٧- كتاب العين مرتبا علي حروف المعجم , تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي. ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. ط. أولي , دار الكتب العلمية ببيروت٢٠٠٢.
٣٨- القاموس المحيط , للفيروزآبادي , ضبط و توثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي , ط. دار الفكر ببيروت ١٩٩٥.
٣٩- لسان العرب , لابن منظور , طبعة دار المعارف , بتحقيق عبد الله علي الكبير و زميليه.
٤٠- اللغة , لفندريس , بترجمة الدواخلي و القصّاص , مكتبة الأنجلو المصرية.
٤١ - اللغة العربية و علاقتها باللغات الإرترية (الجعزية و التجرية و التجرنية) , الجذور و الامتداد , لإدريس محمود حامد موشي , منشورات كلية الدعوة الإسلامية بليبيا ,ط. أولي ٢٠٠٥.
٤٢- متخيَّرالألفاظ , لأحمد بن فارس , تحقيق هلال ناجي , مطبعة المعارف ببغداد ١٩٧٠.

٤٣ - مجمل اللغة , لابن فارس. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان, ط. ثانية ١٩٨٦, مؤسسة الرسالة ببيروت.
٤٤- المخصَّـص , لابن سـيده , ط. أولي دار إحياء التراث العربي ببيروت١٩٩٦.
٤٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها , لجلال الدين السـيوطي , بتحقيق أبي الفضل إبراهيم و زميليه , ط.ثالثة , دار التراث.
٤٦- مصـطلح المعجمية العربية , للدكتور أنطوان عبدو , الشـركة العالمية للكتاب ببيروت , ط.أولي ١٩٩١.
٤٧- المصاحبة في التعبير اللغوي , للدكتور محمد حسن عبد العزيز , دار الفكر العربي ١٩٩٠.
٤٨- المعجم الكبير , الجزء الثاني , لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط.أولي. الهيئة العامة للكتاب ,١٩٨١.
٤٩- المعجم الوسـيط , لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط.ثاتية. دار المعارف ١٩٨٠.
٥٠ - المفضّـليّات , بتحقيق شـاكر و هارون. ط. تاسـعة بدار المعارف ٢٠٠٦.
٥١- مقامات الحريري , مطبعة المعارف , بيروت ١٨٧٣.
٥٢- مقاييس اللغة , لابن فارس , مراجعة و تعليق أنس محمد الشامي , ط. دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٨.
٥٣- المنتخب من غريب لغة العرب , لعلي بن الحسـن الهنائي (كُراع النمل).تحقيق الدكتور محمد بن أحمد العمري ,ط. أولي بجامعة أم القري ١٩٨٩.
٥٤- نجعة الرائد في المترادف و المتوارد , لليازجي.(نسـخة غير مطبوعة , منشورة علي شبكة المعلومات).
٥٥- النوادر لأبي زيد الأنصـاري , تحقيق و دراسـة الدكتور محمد عبد القادر أحمد. ط. أولي ١٩٨١, دار الشروق.